

أثر القرآن الكريم
في الخطائب الحسينيين
إلى نهاية القرن الأول الهجري

الدكتور

حيدر فخري التميمي

الدكتور

حكمت عبيد الخفاجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
 سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[العنكبوت : ٦٩]

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى اللذين كرمهما الله فأهداهما جنانه...
وكرمهما التاريخ فأعطاهما المنزلة العالية
والذكر الجميل...
وكرمهما الناس فأصبح مشهدهما يناطح السحاب...
وكرمنا بأن يقترن بحثي بهما...
إلى الإمام الحسين (عليه السلام)...
وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام)...
وإلى أصحابهما النجباء (رضي الله عنهم)...
وإلى كل قطرة دم سالت دفاعاً عن أرض بلدي الحبيب العراق
نهدي الكتاب المتواضع هذا...

المؤلفان

قائمة المحتويات

الإهداء	٤
قائمة المحتويات	٥
المقدمة	١٣
التمهيد	١٩
التمهيد	٢١
مقاربة تأصيلية في عنوانات البحث	٢١
الأول: الأثر والخطاب في اللغة والاصطلاح :-	٢١
ثانياً : الفرق بين النص والخطاب :-	٢٦
ثالثاً: الخطاب الحسيني :-	٢٩
الفصل الأول أنساق التركيب القرآني في الخطاب الحسيني	٣٣
توطئة	٣٥
المبحث الأول: النسق المباشر في الاستشهاد بالنص القرآني في الخطاب الحسيني	٣٦
المطلب الأول الاستشهاد بجزء من الآية القرآنية :	٣٦
١- خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) :	٣٧
٢- خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) :	٥٤

- ٣- كلام المختار وأنصاره (عليه السلام) : ٥٩
- المطلب الثاني: الاستشهاد بآية قرآنية كاملة : ٦٤
- أولاً: الإمام الحسين (عليه السلام) : ٦٤
- ثانياً : الإمام السجاد (عليه السلام) : ٧٢
- ثالثاً: السيدة زينب بنت علي (عليها السلام) : ٨٠
- المطلب الثالث: الاستشهاد بمقطع من الآيات القرآنية: - ٨٢
- أولاً: الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) ٨٣
- ٣ - الاستشهاد القرآني عند الإمام الحسين (عليه السلام) في ليلة عاشوراء: ٨٧
- ٤ - اشتداد العطش به (عليه السلام) وبأهله يوم عاشوراء : ٩٠
- ٥ - رده (عليه السلام) على شمر بن ذي الجوشن : ٩٢
- ثانياً: الاستشهاد القرآني في خطاب أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ٩٥
- المبحث الثاني النسق غير المباشر في الاستشهاد بالقرآن الكريم ١٠٣
- المطلب الأول: الاستشهاد القرآني (غير النصي) ١٠٣
- أولاً: خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) : ١٠٣
- ١ - خطابه (عليه السلام) عند قبر الإمام الحسن (عليه السلام) : ١٠٣
- ٢- احتجاج الإمام الحسين (عليه السلام) على معاوية: ١٠٦
- ٣- جواب الإمام الحسين (عليه السلام) على رسالة يحيى بن سعيد : .. ١١٣
- ٤ - كلامه (عليه السلام) مع عمرو بن لوذان : ١١٥

- ٥ - خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) على جيش عمر بن سعد: ١١٧
- ثانيًا: خطاب السيدة زينب بنت علي (عليها السلام): ١٢٢
- المطلب الثاني: الدلالات والمضامين القرآنية:..... ١٣٢
- ١- أشباه أصحاب السبب: ١٣٢
- ٢ - الفتح المرتقب: ١٣٥
- ٣ - حُبَّ الله والرسول (ﷺ) :- ١٣٩
- ٥ - الأخوة الحقيقية:..... ١٤٦
- الفصل الثاني أثر الآيات العقدية وآيات الأحكام في الخطاب الحسيني . ١٥٥
- المبحث الأول التوحيد..... ١٥٧
- أولاً: إثبات الصانع :-..... ١٥٧
- ثانيًا: صفات الذات و صفات الفعل : ١٦٣
- المبحث الثاني : الرضا بقضاء الله وقدره ١٧٤
- أولاً: القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح :..... ١٧٥
- ثانيًا :القضاء والقدر بين أهم الفرق الإسلامية :-..... ١٧٨
- ثالثًا: شذرات من الخطاب الحسيني في القضاء والقدر :- ١٨١
- رابعًا: النهضة الحسينية ومسألة القضاء والقدر :- ١٨٤
- المبحث الثالث : النبوة ١٨٧
- المطلب الأول النبوة العامة:-..... ١٨٧

- أولاً: تعريف النبوة: ١٨٧
- ثانياً- عصمة الأنبياء:..... ١٨٧
- رابعاً: أهداف النبوة:..... ١٩٢
- المطلب الثاني النبوة الخاصة:..... ١٩٥
- أولاً: وظيفة النبي (ﷺ): ١٩٦
- ثانياً: العلاقة بين النبوة والخطاب الحسيني: ١٩٨
- المبحث الرابع: الإمامة..... ٢٠١
- أولاً: تعريف الإمامة: ٢٠١
- ثانياً: معنى الإمامة: ٢٠٢
- ثالثاً: عصمة الأئمة:..... ٢٠٣
- رابعاً: الإمامة والخلافة: ٢٠٨
- المبحث الخامس: آيات العبادات ٢١٨
- المطلب الأول: الصلاة..... ٢١٩
- المطلب الثاني: أعظم الجهاد..... ٢٢٧
- الفصل الثالث المفاهيم التربوية والأخلاقية في النص القرآني وأثرها في الخطاب الحسيني ٢٣٥
- توطئة: ٢٣٧
- المبحث الأول: الإصلاح..... ٢٣٨

المبحث الثاني : التحذير من الغرور بالدنيا والركون إليها	٢٤٥
المبحث الثالث : البكاء في الخطاب الحسيني	٢٥٣
المبحث الرابع : الوفاء بالعهد	٢٦٠
المبحث الخامس : سرعة استجابة الدعاء	٢٧١
المبحث السادس : التوبة	٢٨١
المبحث السابع : الرفق بالحيوان	٢٩٢
الخاتمة وأهم النتائج	٢٩٩
ثبت المصادر والمراجع	٣٠٧



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين
محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين حُجَجِ الله، وسُفُنَ النجاةِ إلى قيام
يوم الدين.

لم تكن النهضة الحسينية حالة من الصدام العسكري فحسب، كحال
الصدامات المسلّحة التي تحدث على امتداد التاريخ البشري، والتي يُمثّل
فيها الصراعُ حربًا موجودة في أعماق الإنسانية، أو أنّه يرتبط ارتباطًا وثيقًا
بالتصورات والمصاديق الثقافية السائدة في مجتمع ما، فقد كانت الصراعات
تدوّن على شكل صدامات بالأجساد والآلات لتخلص إلى طرف منتصر
وآخر مهزوم، دوّنتها كتب المغازي والمعارك والحروب، وقد خلت من
الكلام إلا متفرقات من خطب القادة التحفيزية، أو رجزٍ لفارس ما في مبارزة.
فغاية الأطراف الظفر بالنصر فحسب.

أمّا النهضة الحسينية، فكانت خَلْقًا آخر، وشكلًا مختلفًا، ومضمونًا
هاديًا، لا عادٍ ولا باغٍ، كانت رسالةً عالميّةً من رجلٍ عالميّ، يحمل صفة
الإنسانية العالمية، وسليل الرسالة الخاتميّة، فكانت حياته عنوانًا رساليًا،
ونهضته المسلّحة صورةً مشرقةً، وخطابه آناء المعركة وقبلها وبعدها قرآنيًا

إنسانياً عالمياً بالدرجة الأولى.

لا جرم أن الإمام الحسين (عليه السلام) أراد أن ينقذ البشر من رزايا المحن والخطوب والتسلط بعد أن فتكت بهم ذلة العبودية، فيكونوا بموضع الخول، أراد أن يكونوا أحراراً، فكانت النهضة فكرية استخدمت أرقى الفنون الكلامية في ذلك العصر ولا سيما الخطاب الحسيني الباهر الذي جاء مفعماً بالروح الإسلامية الأصيلة ؛ لتلبسه بالقيم القرآنية الأخلاقية والتربوية ، فضلاً عن انطوائه على فصاحة الكلم وبلاغة التفسير الماتح من كلام جده المصطفى (عليه السلام) وأبيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد اتسم بالإصلاح والتحذير من الدنيا وغرورها ، فضلاً عن استشعار التوبة والرجوع إلى ساحة الله (عز وجل).

وقد جاء هذا الخطاب متناسلاً مع آيات القرآن الكريم وكأنهما خرجا من مشكاة واحدة، وجاء هذا الخطاب المربي متناغماً مع القيم العليا والمثلى للدين السمح والشجاع في الوقت نفسه.

جاء الكتاب يستشف تلك التناصات المباشرة وغير المباشرة، وتلك القيم العليا التي تضمنها الخطاب الحسيني، فالدراسات السابقة للخطاب الحسيني كثيرة، لكنها بمجملها كانت تركز على شخصية منتج النص وسلوكه وأخلاقه، ولا تنظر إلى أصول ذلك الخطاب الحسيني القرآني، فجاءت هذه الدراسة لتكشف لنا أصول هذا الخطاب، ومجالات استعماله

وتفعيله للآيات القرآنية الكريمة المحكمات والمتشابهات، وقد سلط البحث الضوء على تلك الأمور، والتي تناغم وتناسق هذا الخطاب الحسيني، ومن هنا، جاءت الدراسة لتكشف الأثر القرآني في هذا الخطاب العظيم، فلولا هذا الأثر المحمود لما كُتِبَ لهذا الخطاب سرّ الخلود والديمومة جيلاً بعد جيل، فضلاً عن ذلك سعت الدراسة إلى بيان أثر المقتبسات القرآنية الكريمة، وحُسن استعمالها وتناصها في تنشيط العقل البشري.

وبعد الاستقراء قيد الطاقة والوسع، شرعت بمعية أستاذي برسم خطة الكتاب فجاء مقسماً على تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد: (مقاربة تأصيلية لعنوانات الموضوع في اللغة والاصطلاح)، وبيّنا الفرق بين النص والخطاب من حيث دلالتهما المعرفية، وجذورهما التأصيلية، وبيّنا الفرق بين الخطاب الحسيني والخطاب المضاد الذي جاء للتمويه والخديعة، إذ جاء متأثراً بردّات الفعل التي أنتجها الخطاب الحسيني المتناص مع القرآن الكريم والطبع والفطرة.

وجاء الفصل الأول: بعنوان: (أنساق التركيب القرآني في الخطاب الحسيني) وفيه مبحثان الأول: النسق المباشر في الاستشهاد بالنص القرآني في الخطاب الحسيني. وتضمّن الاستشهاد بجزء من الآية القرآنية، والاستشهاد بآية قرآنية كاملة، والاستشهاد بمقطع من الآيات القرآنية.

والآخر: النسق غير المباشر في الاستشهاد بالنص القرآني في الخطاب

الحسينيِّ وضمّ: الاستشهاد غير النصي ، والدلالات والمضامين القرآنيّة.

وجاء الفصل الثانيّ: بعنوان (أثر الآيات العقديّة في الخطاب الحسينيِّ)،

إذ تشكّل من مباحث عدة :

وتناول المبحث الأول: أثر آيات التوحيد وصفات الله تعالى، التي تضمّنها الخطاب الحسينيُّ الهادف بالتذكير بعظمة الله وصفاته، وأنّه القاهر فوق عباده.

وعرّج المبحث الثاني: على ذكر مبدأ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره لا عن طريق الرؤية الجبرية التي دشّنها ونشرها بنو أميّة، لأنها تخدم مصالحهم. وأنّ القضاء والقدر مبحث قرآني يربط العبد برّبّه مع الاتكال والعمل.

وتطرق المبحث الثالث: إلى الآيات الدّالة على النّبوة الخاصّة والعامة من حيث وظيفة الأنبياء بوصفهم هداة حقيقيين يرتبطون بالله (عزّ وجلّ)، وكون تلك الآيات تدلّ على أنّ النبوة اصطفاء لا عبث فيها، ولا قهر ولا تسلط.

وعرّج المبحث الرابع: على الآيات التي تنصّ على الإمامة، بوصفها تتطلب شروطاً معينةً بالإمام من قبيل الاصطفاء والعلم، وأنّها لا تصلح إلّا لأصحابها المنصوص عليهم وصفاً واسماً.

وذكر المبحث الخامس: الآيات التي تدعو إلى العبادة، وأنّ العبادات شرّعت لربط العبد برّبّه، إذ اشارت إلى أنّ المُلْكَ لله تعالى والعبادة له التي تستوجب الطاعة له وحده لا إلى سلطانٍ جائرٍ.

وجاء الفصل الثالث: بعنوان: المفاهيم التربوية والأخلاقية في النصّ القرآنيّ وأثرها في الخطاب الحسيني، وتضمن سبعة مباحث :

ذكرنا في المبحث الأول: أهم ميزة من مزايا المفاهيم التربوية والأخلاقية وهي مفهوم الإصلاح، الذي يرتبط بمحورين، الأول: بالمُصلح الذي هو نتاج اصطفاء إلهي، فهو المؤهل لقيادة هذا الإصلاح ، الثاني: أهمية الإصلاح لتدارك المجتمع ككل بعد انزلاقه وانحرافه.

و تطرقنا في المبحث الثاني: التحذير من الغرور بالدنيا والركون إليها، لأنّ تلك الصفة القبيحة هي التي تجعل الإنسان ينزلق في مهالك الشهوة ، وحبّ الهوى الذي يفضي إلى تسلّط الأشرار والتحكّم بمصائرهم مما يحولهم إلى البهيمية.

وعرجنا في المبحث الثالث: عن توظيف البكاء في الخطاب الحسيني وأهميته الكبيرة في نشر مظلومية أهل البيت (عليه السلام).

وجاء المبحث الرابع: متحدثاً عن الوفاء بالعهد من أصحاب الخطاب الحسيني ، وكيف وفوا به على الرغم من المحن والشدائد التي مرّت بهم. وتكلمنا في المبحث الخامس: عن سرعة استجابة الدعاء من أصحاب الخطاب الحسيني ، وتم تعزيزها بأمثلة حيّة على ذلك ، ليبين مدى قربهم من الله (ﷻ).

أمّا المبحث السادس: فتحدثنا فيه عن التوبة وهي من المفاهيم التربوية

الأخلاقية ، التي تصحح الخطأ الذي وقع فيه بعضهم، ثم الرجوع إلى الله تعالى نادماً عما فعل.

وجاء المبحث السابع : وهو خاتمة مباحث هذا الفصل بالحديث عن (الرفق بالحيوان)، ذلك الكائن الذي خلقه الله لمنفعة الإنسان، وكيفية تعاملهم معه. ثم ختمت الدراسة بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والحمد لله ربّ العالمين على هنيء عطائه وجليل آلائه وتوالي نعمائه والصلاة والسلام على خير المرسلين مُحَمَّد بن عبد الله الصادق الأمين (عليه السلام) وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعلى صحبه الميامين المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.



التمهيد

التمهيد

مقاربة تأصيلية في عناوات البحث

سنبين هنا المقاربة التأصيلية في اللغة والاصطلاح لعناوات البحث وذلك من خلال عرضهما على شقين إثنين :-

الأول: أثر القرآن الكريم.

والآخر: الخطاب الحسيني إلى نهاية القرن الأول الهجريّ.

فصار لزاماً على المؤلفان تقسيم التمهيد إلى ثلاثة أقسام :-

أولهما: يورد فيه أقوال العلماء في اللغة والاصطلاح في مفردات الأثر والخطاب.

ثانيهما: الفرق بين النص والخطاب، وسنبين من خلال هذا المطلب الفرق بين النص والخطاب عند العلماء وأيهما أوسع دلالة.

ثالثهما: الخطاب الحسيني، وسيذكر المؤلفان في هذا المطلب المقصود بالخطاب الحسيني ومن هم المنسوبين لهذا الخطاب.

الأول: الأثر والخطاب في اللغة والاصطلاح :-

أ- الأثر لغة :

لفظة الأثر في المعاجم اللغوية يقصد بها:

١ - ('بقية ماترى من كل شيء وما لا يرى بعد بقاء علقه. والأثر خلاص السمن وذهبت في أثر فلان اي استفتيته، والمآثرة المكرمة، وإنما اخذت من هذا لأنها يؤثر بها قرن عن قرن يتحدثون بها، ومآثر كل قوم مساعي آباءهم، والأثير الكريم تؤثره بفضلك عن غيره')^(١).

٢ - والأثر: ('الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر وأصله من أثر مشيه على الأرض فإن من مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر، والأثر الخبر وأثر السيف ضربته، وأثر الجرح أثره يبقى بعد البرء')^(٢).

٣ - ذكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ): ('أن الأثر من مادة أث ر - (الأثر) بوزن الأمر فرند السيف والمآثور (السيف) الذي يقال: إنه من عمل الجن، واثر الحديث ذكره عن غيره فهو (آثر) بالمد، ومنه حديث مأثور أي: ينقل خلف عن سلف، وخرج في (إثره) بكسر الهمزة، أي في أثره، و (الأثر) بفتحيتين: ما بقي من رسم الشيء، (وأثارة) من علم: بقية منه والتأثير إبقاء الأثر في الشيء')^(٣).

٤ - وقال ابن منظور (ت: ٧١١هـ): ('أن الأثر بقية الشيء، والجمع آثار

(١) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٨/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) الفائق في الحديث، الزمخشري، ١/ ٢٠، النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين بن الأثير،

١/ ٢٣، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي، ١٣/ ١٧٩ هامش رقم ١.

(٣) مختار الصحاح: ٦٠٥.

وأثر، وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأثرتة وتأثرتة تتبعته أثره، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثراً^(١).

هذه هي مجمل الإطلاقات التي أوردها أرباب اللغة في معنى لفظ الأثر لغةً، فمنهم من قال: أنه ماتبقى من أي شيء سواء كان إنساناً أو حيواناً. وذهب الآخر إلى أنه بمعنى الأجل، لأن الإنسان لا يخلد في هذه الدنيا وإنما هو فانٍ لا محاله بالموت ويبقى فقط أثره. ويتعلق بحثنا بالأثر القرآني للخطاب الحسيني، أي بيان مدى تأثر الخطاب الحسيني بالقرآن الكريم، وهذا ما سيتعرض له البحث في فصوله ومطالبه.

ب - الأثر اصطلاحاً:

١- ذكر الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) ثلاثة تعريفات للأثر. الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء^(٢).

٢- فيما قال أبو البقاء العكبري (ت: ١٠٩٤ هـ) في كليته: "أثر على الأمر عزم، وأثر إختار، واستأثر بالشيء إستبد به، خص به نفسه، وما بقي من رسم الشيء فهو أثر بالكسر والسكون وبفتحهما أيضاً"^(٣).

(١) لسان العرب ١/ ٤٢-٤٣-٤٤.

(٢) ظ: كتاب التعريفات: ٦٥.

(٣) الكليات، ٣٣.

٣- وذكر القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمـد نكري (ت : ١١٧٣هـ): إنَّ أثر الشيء حكمه المترتب عليه بطريق المعلولية ، وقد يقال أثر الشيء ويراد غرضه وغايته، والأثير الخالص المختار، ويقال للأفلاك وما فيها من الكواكب اجرام أثرية لكونها خالصة مختارة لصفائها^(١).

ت - الخطاب لغةً :

١- قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ): (الخُطبة : مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخُطبة قام في النادي فقال : خطب، ومن أراده قال : نكح ، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطاب، والأخطب: طائر وهو الشقراق، والأخطب: لون إلى الكدرة مشرب حمرة في صفرة)^(٢).

٢- وذكر ابن فارس (ت : ٣٩٥هـ): (خطب) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خَاطَبُهُ يخاطبُه خِطَابًا، والخُطبة من ذلك^(٣).

ث - الخطاب اصطلاحًا:

١ - الخطب والمخاطبة والتخاطب : المراجعة في الكلام. ومنه الخطبة

(١) ظ: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المسمى (دستور العلماء)، ١/ ٣٧.

(٢) العين: ٢٢٢/٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٢ / ١٩٨.

والخطبة، وأصل الخطبة : الحالة التي عليها الإنسان إذا خطب، نحو الجلسة. والخطب : الأمر العظيم الذي يكثف فيه التخاطب. وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب^(١)، وقيل: (هو الكلام المقصود منه إلهام من هو متهيئ لفهمه)^(٢).

وفطن الباحثون المعاصرون لأفكار المحدثين واستثمروها في تعريف الخطاب فقالوا: (هو كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف للتأثير على الثاني بطريقة ما)^(٣). توضّح للبحث أنّ المعنى الاصطلاحي للخطاب هو الإلهام والتوضيح والتبليغ وهناك تقارب كبير بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، واتكأ المعنى اللغوي على معناه الاصطلاحي.

ج - النص لغةً:

النصّ: (رفعك للشيء، كنصّ الحديث، ونصبت ناقتي: إذا رفعتها في السير، والماشطة تنصّ العروس فتقعدها على منصة، ونصبت الشيء:

(١) ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ٣/ ٨٢.

مفاتيح الأصول: السيد محمد الطباطبائي، ١١.

(٣) الأفعال الكلامية في الخطاب الأخلاقي عند الإمام الحسين (عليه السلام)، بحث، د. رحيم

الشريفي ود. حسين الفتلي، ٤/ ص ٢٥٠٥.

حركته، ونصبت الرجل: إذا استقصيت مسأله عن شيء^(١).
وعرف الزركشي (ت : ٧٩٤هـ) النص بأنه: «الظهور ومنه المنصة»^(٢).
والنص لغة: (من مادة ن ص ص) (نص) الشيء رفعه، (نص) كل شيء
متناه^(٣).

ح - النص اصطلاحاً:

١- النص: (ما ازداد وضوحاً على الظاهر بمعنى في المتكلم، وهو
سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال: أحسنوا الى فلان الذي يفرح
بفرحي ويغتتم بغمي، كان نصاً في بيان محبته)^(٤).

٢- وعرف عبد المجيد زارقط النص بأنه: «المجموعة من
الملفوظات، أي إنَّ الجمل المنفذة، حين تكون خاضعة للتحليل،
تسمى نصاً، فالنص عينة من السلوك الألسني مكتوبة أو محكية»^(٥).

ثانياً: الفرق بين النص والخطاب: —

بعد الإنتهاء من تعريف الخطاب والنص لاحظ المؤلفان: إنَّ المعنى

(١) المحيط في اللغة: صاحب بن عباد، ٨ / ٩١، لسان العرب: ابن منظور، ٤ / ٣٠٣٩.

(٢) البحث المحيط في أصول الفقه، ٣ / ٢٥.

(٣) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ٦٦٢ - ٦٦٣.

(٤) التعريفات، الشريف الجرجاني، ٣٣١.

(٥) النص الأدبي ومعرفة: ١٠٦.

الاصطلاحى للخطاب مستند على المعنى اللغوى، فذكر علماء اللغة أن معنى النص لغة هو: رفع الشيء، فنص كل شيء هو انتهاه. كما ذكروا بأن أصل النص هو: أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع. بينما قيل: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصبت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده. والنص هو التوقيف، وإنه التعيين على شيء ما، ونص الأمر شدته. أما المعنى اللغوى للخطاب فهو مراجعة الكلام، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخطيب على المنبر، ويأتى بمعنى الفصل هو المعنى الذى شهدت عليه الآيات القرآنية، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَّاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِى نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ﴾^(٢). إذا معنى الخطاب هنا هو الفصل بين المتنازعين.

سيعقد البحث مقارنة يبين بها الفرق بين الخطاب والنص بصورة عامة، وبعدها سيعرج على الخطاب القرآنى، موضحاً أنواعه مع ذكر الأمثلة عليه. فيما يخص الفرق بين الخطاب والنص تعددت

(١) ص: ٢٠٠.

(٢) ص: ٢٤.

آراء العلماء في الفرق بينها ما بين شدِّ وجذبٍ وكلُّ يريد الانتصار لمذهبه. عمومًا سيذكر الباحث الفروق الجوهرية التي إستطاع إيجادها بينهما وهي بالجدول الآتي^(١):

ت	الخطاب	ت	النص
١-	نفترض وجود السامع الذي يتلقى الخطاب.	١-	يتوجه النصُّ إلى متلق غائب عن طريق القراءة.
٢-	الخطاب نشاط متواصل يتأسس على اللغة المنطوقة.	٢-	النص يكون مدونة مكتوبة.
٣-	اللغة الشفوية تنتج الخطابات.	٣-	اللغة المكتوبة تنتج النصوص.
٤-	تواصل لساني ينظر إليه كإجراء بين إثنيين المتكلم والمخاطب.	٤-	لا يوجد فيه تواصل لساني لأنه مكتوب فلا بد من قراءته ليحدث التواصل.
٥-	عملية تكاملية تحدث بتكامل عناصر الخطاب (القاريء، المتلقي، الخطاب).	٥-	لا توجد فيه عناصر تشبه الخطاب.

بعد سرد جميع الآراء التي تحدثت عن الفرق بين النص والخطاب من وجهة نظر العلماء العرب توضحت أهم الفروق الجوهرية بينهما من خلال الجدول الذي ذكرناه سابقًا وكذلك من الآراء التي ذكرت أعلاه ، فالخطاب مأخوذ فيه قيد الشفوية، أما النص فمأخوذ فيه الكتابة.

(١) ظ: المصادر السابقة ومنتديات ستار تايمز ، www.startems.com.

ثالثاً: الخطاب الحسيني:-

يقصد المؤلفان بالخطاب الحسيني: الخطاب الذي قاله الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه وكل من طلب الثأر لدم الإمام الحسين (عليه السلام) في تلك المدة الزمنية التي تم تحديدها ؛ وقد ابتدأ الخطاب لحظة وفاة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، فعلى الرغم من أن هناك خطب ومقولات للإمام الحسين (عليه السلام) قبل ذلك مع الكثير من الأشخاص إلا أننا لسنا بصدد الحديث عنها لأن الخطاب برأينا بدأ مع تولي الإمام الحسين (عليه السلام) للإمامة، وكان للخطاب الحسيني جذور منذ أن أعطى الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سلمة (رضي الله عنها) التربة أو القارورة التي فيها التربة^(١).

فقد روى الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) بإسناد صحيح عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو أشعث مغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله مالي أراك أشعثاً مغبراً؟ فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء ، فرأيت فيه مصرع الحسين إبنی وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل القط دماءهم فها هي في يدي، وبسطها إلي فقال لي: خذها واحتفظي بها

(١) ظ: الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصبي، ٢٠٣، الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي، ١٠٦، مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ٢١٣/٣، لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ٢٠، مستدرک سفينة البحار: علي النمازي الشاهرودي، ٣/ ٣٤٥.

فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر فوضعت في قارورة وشدت رأسها واحتفظت بها. فلما خرج الحسين (عليه السلام) من مكة متوجهاً الى العراق، كنت أنظر إلى تلك القارورة في كل يوم وليلة فأشمتها وأنظر إليها، ثم أبكي لمصابه فلما كان اليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام) أخرجتها في أول النهار فإذا هي بحالها ثم عدت لها آخر النهار، فإذا هي دم عبيط، فضججت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي فكتمت، مخافة أن يسمع اعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشّماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي فتحقق مارأيت^(١).

أي أن الرسول الكريم (ﷺ) قام بالإخبار عن شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم ولادته. وظهر لنا من خلال المقاربة اللغوية للخطاب الحسيني أنّه خطابٌ مدرار ومِعطاء لأنّ أجزاء الخطاب تكاملت فيه فهو خطابٌ حيٌّ ومن هنا نال صفة الخلود، التي امتدت الى آلاف السنين لأنّه منهج حياة علمي متكامل بما يوحى على إتيانه منظومة تفسيرية وتشريعية وأخلاقية متكاملة ولا يزال يُعطي دروساً وعبراً للعالم أجمع.

(١) ظ: الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٨١-٢٨٢، إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، ١/ ٤٢٩ - ٤٣٠، روضة الواعظين: الفتال النسابوري، ١٩٣، بحار الأنوار: المجلسي، ٤٤ / ٢٣٩ - ٢٤٠، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ عبد الله البحراني، ١٢٨، لواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ٢٢-٢١، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام): السيد تحسين آل شبيب، ٤٤-٤٥.

ولم يقتصر الخطاب الحسيني على أولئك الذين عاصروا الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه (عليه السلام) الذين عاشوا معه بل هو للبشرية أجمع لأنه خطاب شامل لكل أولئك الذين بلغهم هذا الخطاب ، ورزقهم الله الوعي والبصيرة ، لتلبية ذلك الخطاب الذي يسعى لإزالة الظلم والشرك ومجاهدة الظالمين، وتثبيت أركان التوحيد في الأرض، الذي سيأتي ذكره لاحقاً، وهدم بنيان الشرك والظلم والاستكبار^(١).

والخطاب الحسيني أيضاً : كل ما قاله أبو الفضل العباس وأخته الحوراء زينب وسفير الحسين مسلم بن عقيل والإمام السجاد (عليه السلام)، وكذلك الثلة الطيبة من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، الذين كانوا بحق القدوة الصالحة التي يُقتدى بها. وضم الخطاب الحسيني أيضاً بعض الأشخاص الذين قاموا بطلب الثأر لدم الإمام الحسين (عليه السلام) مثل سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيد الثقفي (عليه السلام)، وغيرهم...

وهناك رواية أخرى مع اختلاف قليل في مضمونها نقلها يعقوبي (ت: ٢٨٤هـ) مفادها: (كانت أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله، كان دفع إليها قارورة فيها تربة، وقال لها: إن جبريل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين، وأعطاني هذه التربة، وقال لي: إذا صارت دمًا عبيطاً

(١) ظ: خطاب الاستنصار من مكة إلى المدينة، محمد مهدي الأصفهاني، ٦١ - ٦٥.

فاعلمي أن الحسين قد قُتِلَ، وكانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دمًا صاحت: وا حسينا! وا ابن رسول الله! وتصارخت النساء من كل ناحية، حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط^(١).

كانت تلك أولى العلامات التي تدل على أنَّ الحسين (عليه السلام) سيكون أحد الذين سيقفون بوجه الظلم والطغيان وسيظهر كلمة الحق بوجه الحكام المنحرفين عن تعاليم السماء، الذين كان همهم اشباع رغباتهم وعلى الرعية عدم معاندتهم.

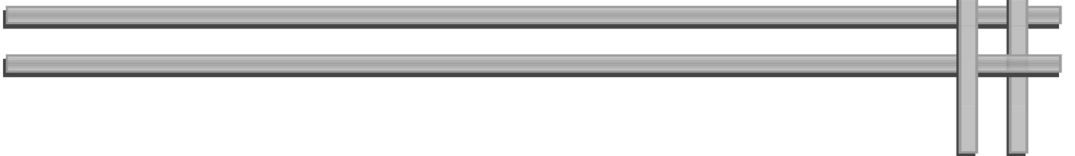
انتهى البحث هنا من ذكر تعريف الأثر والخطاب في اللغة والاصطلاح ومدى التقارب بين التعريفين ثم وضح الفرق بين النص والخطاب من وجهة العلماء، وبَيَّن المراد بالخطاب الحسيني ومن هم أصحابه.

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٤٦، معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، ٣/ ١٣٨، رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ: السيد لطيف القزويني، ١٢٦، مسند الإمام الشهيد (عليه السلام): عزيز الله العطاردي، ٢/ ١٧٥.



الفصل الأول

أنساق التركيب القرآني
في الخطاب الحسيني



المبحث الأول : النَّسَقُ المباشرُ في الاستشهادِ بالنَّصِّ القرآنيِّ في الخطابِ الحسينيِّ .

المطلب الأول : الاستشهادُ بجزءٍ من الآيةِ القرآنيَّةِ .

المطلب الثاني : الاستشهادُ بآيةٍ قرآنيَّةٍ كاملةٍ .

المطلب الثالث : الاستشهادُ بمقطعٍ من الآياتِ القرآنيَّةِ .

المبحث الثاني : النَّسَقُ غير المباشرِ في الاستشهادِ بالنَّصِّ القرآنيِّ في الخطابِ الحسينيِّ

المطلب الأول : الاستشهادُ غير النَّصِّيِّ (المحور) .

المطلب الثاني : الدلالات والمضامين القرآنيَّةِ .

توطئة

زخر الخطاب الحسيني بالكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي استشهد بها قائلوا هذا الخطاب، ليبينوا للأمة شدة ارتباطهم بالقرآن الكريم قولاً وفعلاً، وكذلك لحاجة الأمة للإرتباط بالقرآن الكريم بعد أن ابتعدت عنه في تلك المرحلة. فكانت تلك الآيات ذكرى لمن يستمع القول فيتبع أحسنه، ومن اللافت للنظر في تلك الاستشهادات كيفية اصطفاء الآيات القرآنية المناسبة للموضوع، أو الغرض الذي سيقى من أجله. فهي تمثل إعلاماً فعالاً يعطي قوة وتأثيراً في نفوس السامعين، وسعى الباحث في ضوء جمع تلك الآيات القرآنية من المصادر الموثقة أن يجمع بعضها، وإن تكررت في مواضع مختلفة جمعاً دقيقاً وتكشيف دالاتها عند بعض المفسرين. وسيوضح ذلك في دروب البحث، ومن هنا، فإننا سنذكر في هذا الفصل أنساقاً للاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني، سواء كان استشهاداً مباشراً بآيات القرآن الكريم، أو استشهاداً غير مباشر، انتظمت فيه مجموعة من المفاهيم والمضامين القرآنية، ونقطع جازمين أن الكتاب العظيم (القرآن الكريم) قد زهر في الخطاب الحسيني، ويكفي القاريء أن يقف على قسم من نصوصه الدينية، ليلمح الاستثمار والاستشراف لكتاب الله (ﷻ)، إذ تنوعت تقنيات الاقتباسات، وتلونت وهي تمثل أنساقاً وأنماطاً من الأثر القرآني في الخطاب الحسيني.

المبحث الأول: النسق المباشر في الاستشهاد بالنص القرآني في الخطاب الحسيني

المطلب الأول الاستشهاد بجزء من الآية القرآنية :

أول ما تلقانا من هذه المقبوسات في هذا المطلب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) إذ جاء الاستشهاد بجزء من الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وقد استشهد بها أكثر من قائل للخطاب الحسيني، ولا سيما الإمام الحسين (عليه السلام) في أكثر من موضع في خطابه ولا يخفى أن تكرار هذا الجزء من الآية في الخطاب الحسيني من لدن الإمام الحسين (عليه السلام) فيها إقرار وتوكيد أن المآل والرجوع والمعاد إلى الله (عز وجل). وهذه المقبوسة العظيمة تدل على زهد الإمام (عليه السلام) بالدنيا من جهة، وقربه وذوبانه في الذات الإلهية من جهة أخرى، ومن هنا ورد في الروايات أن قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ منها من الأجر والثواب العظيمين فضلاً عن ذلك تخفف المصاعب والهموم، وتُسلي المؤمن وتُعلي من صبره وتخفف حزنه.

١- خطاب الإمام الحسين (عليه السلام):

أولاً: عندما جاء الوليد بن عتبة بكتاب نعى فيه معاوية، ودعا فيه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى البيعة فقال له الحسين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾... أمّا ما سألتني من البيعة، فإنّ مثلي لا يعطى بيعته سرّاً، ولا أراك تجتزئ بها منّي سرّاً دون أنّ نظهرها على رؤوس الناس علانية.... قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان... والله ما أحبُّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنّي قتلت حسيناً - سبحان الله - أقتل حسيناً إنّ قال: لا أبايع؟، والله إنّي لا أظنّ امرءاً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة^(١).

ثانياً: عندما هجم الجماعة التي بعثها عبيد الله بن زياد حتّى أتوا الدار التي فيها بن عقيل، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، عرف أنّهم قد أتوه فخرج إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فشدّ عليهم فقاتلهم ثمّ أقبل محمد بن الأشعث على مسلم بن عقيل (عليه السلام)، فقال: يا فتى لك الأمان لا تقتل نفسك فأقبل يقاتلهم، فقال له: محمد بن الأشعث إنّك لا تكذب، ولا

(١) ظ: مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، أبو مخنف الأزدي، ٦-٥، وتاريخ الطبري: محمد بن جرير

الطبري، ٤/ ٢٥٠-٢٥٢، والإرشاد: الشيخ المفيد، ٢٢١، وبحار الأنوار، المجلسي، ٤٤/ ٣٢٤.

تخدع ، ولا تغر إنَّ القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك وقد أثنى بالحجارة وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار فدنا محمد بن الأشعث فقال: لك الأمان. فقال: آمن أنا؟ قال: نعم ، وقال القوم: أنت آمن، وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم واجتمعوا حوله ، وانتزعوا سيفه من عنقه فكأنه عند ذلك آيس من نفسه فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر، قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس قال: ما هو إلا الرجاء أين أمانكم؟ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. وبكى وقال: إني والله ما لنفسي أبكى ولا لها من القتل أرثى، ولكن أبكى لأهلي المقبلين إليَّ أبكى لحسين وآل حسين^(١).

ثالثاً: عند سماع الإمام الحسين (عليه السلام) بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (رحمهما الله)، روى الطبري (ت: ٣١٠ هـ) بسنده : حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمل الأسديين، قالوا: لما قضينا حَجَّنا لم يكن لنا همة اللِّحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا مُسرِّعين حتى لحقناه بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالوا: فوقف الحسين كأنه يريد ثم تركه ومضى ومضينا نحوه، ثم قلنا فَمَنْ

(١) ظ : مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، أبو مخنف الأزدي، ٧٦، وتاريخ الطبري: ٢٩٩/٤، وموسوعة

مقتل الحسين (عليه السلام) : عبد الرزاق المقرم وآخرون، ٦٥٦.

الرجل؟ قال: أسدي، فقلنا: فنحن أسديان فمن أنت؟ قال: أنا بكير بن المشعبة، فانتسبنا له ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (عليهما السلام) فرأيتهما يجبران بأرجلهما في السوق، قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فقلنا له: حدثنا الراكب الذي استقبلك عشاء أمس، وهو ذو رأيٍ وصدقٍ وفضلٍ وعقلٍ، أنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة وحتى رأهما يجبران في السوق بأرجلهما فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١).

رابعاً: في حديث الإمام الحسين (عليه السلام) مع ولده علي الأكبر (عليه السلام)، في مسيره من قصر بني مقاتل باتجاه منطقة حديثة.

نقل الطبري (ت: ٣١٠هـ) عن أبي مخنف^(٢) بسنده قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ والحمد لله رب العالمين. قال: ففعل ذلك

(١) ظ: تاريخ الطبري، ٤ / ٢٩٩، والإرشاد: مع إختلاف في اسمي الأسديين عند المفيد هما: (عبد

الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل)، ٢٤٧، واللهم في قتلى الطفوف: ابن طووس الحلبي، ٦٤.

(٢) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، نقل عنه النجاشي، يروي عن الصادق (عليه السلام)، نقل عنه كالطبري وابن الأثير، وغيرهما له مؤلفات عدة منها: كتاب (مقتل الحسين) الذي نقل عنه العلماء المتقدمون واعتمدوا عليه، وتوفي سنة " ١٥٧ هـ"، ظ: الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي: ١ / ١٤٨.

مرتين أو ثلاثا. قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال له: يا أبتِ جُعِلَتْ فِدَاكَ مِمَّ حَمِدْتَ الله واسترجعت؟ قال: يا بني إنني خفقت برأسي خفقةً، فعَنَّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسرون والمنايا تسرى إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا^(١).

لاتخفى في النص إشارات مضيئة تدلُّ على القرب الإلهي من لدن الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد نذر نفسه قربانا إلى الله (ﷻ)، فهو يعلم أن الموت محاط به، إذ المشروع العظيم الذي يريد القيام به يتطلب هذا الفداء، وهذا ما تلمسه في يقينية الأمر وإقراره في تكرار هذه المقبوسة مرتين أو ثلاثا، وقال علي الأكبر (عليه السلام): ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا.

خامسا: صبيحة يوم عاشوراء عندما وقف الإمام الحسين (عليه السلام) أمام جموع الكوفة خطيبا فيهم، مرشدا لهم، مبينا منزلته من رسول الله (ﷺ)، فمما قاله: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متفرقة بأهلها حالا بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، ... فنعم الربُّ ربنا وبئس العبيد أنتم، أقررتُم بالطاعة، وآمتُم بالرسول محمد (ﷺ) ثم إنكم زحفتُم على ذريته وعثرته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله

(١) ظ: تاريخ الطبري، ٣٠٨/٤، وبحار الأنوار: ٣٧٩-٣٨٠، ومسند الإمام الشهيد: عزيز الله

العظيم فبنا لكم لما تريدون، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١).
 تُرَقَّبَ في ضوء كلام الإمام الحسين (عليه السلام) أمرين، أولهما: أنه لا يجوز
 الفصل بين الإيمان بالرسول محمد (ﷺ)، والإيمان بذريته وعترته
 فالإيمان بمحمد (ﷺ) ونبوته إيماناً بعترته لأنهما لا يفرقان حتى يردا
 الحوض، والآخر: أن هؤلاء الجموع قد استحوذ الشيطان عليهم، فأنسأهم
 ذكر الله العظيم ومصيرهم الخسران والذل، لذا جاء هذا الاقتباس القرآني من
 أجل بيان أن الله (ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ) تكلم عن النبي (ﷺ) وذريته (عليه السلام) من جهة، واتخاذ
 الشيطان خليلاً من دون الله، فأنسأكم ذكره من جهة أخرى.

سادساً: لا بُدَّ من القول: إنَّ هذه المقبوسة القرآنية ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
 قد نَدَّت من كلام الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) حينما استرجع
 (عليه السلام) عند وصوله المدينة المنورة بعد الأسر، قال: الحمد لله رب العالمين،
 باريء الخلائق أجمعين، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وألم
 الفجائع.... أيها القوم، إنَّ الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في
 الإسلام عظيمة، قُتِلَ أبو عبد الله وعترته وسُبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه
 في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية...، إلى أن

(١) ظ: المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، محسن الأمين، ١ / ١٠٦، والحسين من

خلال القرآن: عبد الرسول عبد الحسين غفار، ٣٣٨.

تمثل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفظعها وأمرها! فعند الله نحسب فيما أصابنا، وما بلغ بنا إنه عزيز ذو انتقام^(١).

في ضوء ما تقدم من ذكر المواضع التي استشهد الإمام الحسين (عليه السلام)، وولده الإمام علي السجاد (عليه السلام)، بهذه الآية المباركة، تبين أنها من أكثر الآيات تكراراً في الخطاب الحسيني...

وفيما يخص آراء المُحدِّثين والمفسِّرين في بيان تفسير الآية المباركة موضع الشاهد ومحطَّ الدليل في الخطاب الحسيني وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فقد ورد في سنن أبي داود (ت: ٢٧٥هـ): بسنده (عن أبي عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله (p): إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم، عندك احتسبت مصيبتني فأجرني فيها وأبدل لي بها خيراً منها)^(٢).

وقال الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسير الآية: يعني تعالى ذكره وبشراً محمد الصابرين، الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمنِّي، فيقرُّون

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف الأزدي، ٦٧، وتاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٩، و بحار الأنوار :

٤٤ / ٣٨٢، ومسند الإمام الشهيد: ١ / ٤٢٦.

(٢) أبو داود السجستاني: كتاب الجنائز، ٢ / ٣٩٩.

بعبوديتي، ويوحدونني بالربوبية ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي ويخافون عقابي، ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن ابتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها تسليماً لقضائي ورضاً بأحكامي... ونقل عن ابن عباس (رضي الله عنه) حديثاً قال: أخبر الله أن المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله ورجع واسترجع عند المصيبة، كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى^(١).

ونقل ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) حديثاً عن السيدة فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) عن أبيها عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ثواب من ذكر هذه المقبوسة القرآنية في العسر والضيق، قال: «ما من مسلم ولا مسلمة تصيبه مصيبة وإن قدم عهداً فيحدث له استرجاعاً إلا أحدث الله له عند الله عند ذلك وأعطاه ثواب ما وعده بها يوم أصيب بها»^(٢). ومن هنا فإن الإمام قد استثمر المعجم الحديثي المتمثل بنمير جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضيع لبان حكمته في تكرار هذه الآية المباركة، لما تمثله من ثواب عظيم، وأجر أثيل.

(١) ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٧/٢-٥٨.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٥٧٦/١، وبحار الأنوار، ١٤٠/٧٩، ومسند الإمام الشهيد:

٢٩٦/٣ مع اختلاف قليل في متن الحديث.

ويُزهر هذا الاستثمار الحديثي للمقبوسة القرآنية جلياً في ظل الرواية التي وقفنا عليها في (مثير الأحزان) ل (ابن نما الحلبي ت: ٦٤٥ هـ) التي مفادها: أن سيد الكائنات الرسول الأعظم (ﷺ) استرجع ليلة ولادة الحسين (عليه السلام) بعد إخباره بمقتله في كربلاء من جبرائيل (عليه السلام) (١).

واستخلص الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حقيقة انطوت عليها الآية المباركة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. مفادها أن " كلمة الاسترجاع " هذه خلاصة كل دروس التوحيد، والانقطاع إلى الله، والاعتماد على ذاته المقدسة في كل شيء وفي كل زمان. وأولياء الله ينطلقون من هذا التعليم القرآني، فيسترجعون لدى المصائب كي لا تهزمهم الشدائد، وكي يجتازوا مرحلة الاختبار بسلام في ظل الإيمان بمالكية الله والرجوع إليه. إنها -حقاً وصدقاً- القوة الضاغطة التي يمنحها الله (ﷻ) للإنسان في مواصلة جهاد النفس، وتحمل ألوان المحن، وصنوف العذابات، وأجمل بقول الإمام الحسين (عليه السلام) بعد أن تفاقم الخطبُ الجللُ أمامه في كربلاء، ولا سيما بعد استشهاد أهل بيته وأصحابه: (هُوَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينَ اللَّهِ) (٢).

في ضوء ما تقدم تبين لنا المعنى الإجمالي للآية القرآنية الكريمة في كونها تلائم الموقف، ولا سيما بعد أن كثر المنحرفون، وطغى الفساد

(١) ظ: مثير الأحزان، ٨.

(٢) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٦٦/١.

والخذلان، وأصبح الكثير من أعوان الشيطان وزمرته، فلا جرم أن نلمح تكرار هذا النص من منتج الخطاب الحسيني الذي يؤدي - بلا شك - أعلى درجات التواصل والإبلاغ من جهة، وأسمى أبعاد الانفعال والتأثر من جهة أخرى.

ويستدُّ التصوير التقريبي لدى الإمام الحسين (عليه السلام) في مجلس معاوية حينما استشهد بقوله تعالى: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْأُمَمَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾^(١).

ونقل ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): أن إبليس قد تصور في صورة سراققة بن مالك يدبر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون، وذكر لنا أنه رأى جبريل (عليه السلام) تنزل معه الملائكة، فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة، فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله وكذب عدو الله، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي

بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وهذا تبيان لخوف الشيطان من الله
(عَلَيْهِ السَّلَام) (٢).

ونقل فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨ هـ): أَنَّ معنى ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ﴾ لا يغلبكم أحد من الناس، لكثرة عددكم وقوتكم. ﴿وَإِنِّي
جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي: ناصركم ودافع عنكم السوء. وهذه وسوسة نفسانية.
والمعنى: أَنَّهُ ألقى في خاطرهم وخيّل إليهم أَنَّهُم لا يغلبون ولا يطاقون، لكثرة
عددهم، وأوهمهم أَنَّ أتباعهم إِيَّاه فيما يظنون أَنَّها قربات مجير لهم، حتّى
قالوا: اللَّهُمَّ انصر أهدى الفئتين، وأفضل الدينين، وذكر ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ
الْفَيْتَانِ﴾ أي: تلاقى الفريقان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ رجع القهقري، أي: بطل
كيده، وعاد ما خيّل إليهم أَنَّهُ مجيرهم سبب هلاكهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنْكُمْ﴾ من إمداد الملائكة للمسلمين. يعني: تبرأ منهم، وخاف عليهم،
وأيس من حالهم، لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة (٣).

وتبين هنا صورة الشيطان الحقيقية القائمة على التضليل والموارة
والنفاق، وهي صورة تنطبق على معاوية وحاشيته انطباقاً كلياً، فقد روي أَنَّ

(١) الحشر: ١٦.

(٢) ظ: تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣) ظ: زبدة التفاسير، ٣/ ٥١.

الشیطان تمثل لهم، وقال لهم تلك المقالة، وهي: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَكُمْ﴾ أي: مجير لكم من كل عدو، ومعنى الجار: الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ﴾ فئة المسلمين والمشرکین ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾، رجع ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ تبرأ منه لما رأى نصر المسلمين بإمداد الله لهم بالملائكة^(١).

ويتجلى الأثر القرآني في الخطاب الحسيني في كلامه (عليه السلام) عند لقائه عبيد الله بن الحر الحنفي، في طريقه إلى مكة، إذ استشهد بجزء من قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٢)

«سار الحسين (عليه السلام) حتى نزل القططانة»^(٣)، فنظر إلى فسطاط مضروب فقال: لِمَنْ هذا الفسطاط؟ فقل: لعبد الله بن الحر الحنفي، فأرسل

(١) ظ: زبدة المعاني من تفسير الشوكاني، الشوكاني، ١٨٣.

(٢) الكهف: ٥١.

(٣) هي موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف كان به سجن النعمان بن المنذر، وقيل بينها وبين الرهيمية نيف وعشرون ميلاً مغرباً إذا خرجت من القادسية تريد الشام. ظ: معجم البلدان: ياقوت الحموي ٢٧٤ / ٤.

إليه الحسين (عليه السلام)، فقال: أيها الرجل إنك مذنب خاطئ وإن الله (تعالى) أخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله (تبارك وتعالى) في ساعتك هذه فتنصرني، ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا ابن رسول الله، والله لو نصرتك لَكُنْتُ أَوَّلَ مَقْتُولٍ بين يديك، ولكن هذا فرسي خُذْهُ إِلَيْكَ، فوالله ما ركبته قط، وأنا أرومُ شيئاً إلا بلغته، ولا أُرَادَنِي أَحَدٌ إِلَّا نَجَوْتُ عَلَيْهِ، فدونك فخذهُ! فأعرض عنه الحسين (عليه السلام) بوجهه ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾، ولكن فَرًّا، فلا لنا ولا علينا فَإِنَّهُ مَنْ سَمِعَ وَاَعْتَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْنَا، كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(١). تجلت هنا الرحمة الإنسانية التي يتمتع بها الإمام الحسين (عليه السلام) في أسمى معانيها فهو يظهرها إلى شخص لم يقم بنصرته وهذا هو ديدن الأئمة.

ولأقوال المفسرين أهمية كبيرة في استجلاء الدلالات المترشحة من النص القرآني الذي وظَّفه الإمام الحسين (عليه السلام) في خطابه، فذكر الثعلبي

(١) ظ: بحار الأنوار: ٣١٥/٤٤، وينايع المودة: القندوزي، ٣/٣٩٣، ومسند الإمام الشهيد: ١/

(ت: ٤٢٧ هـ)^(١): أَنَّ المقصود بالآية: ﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عِزًّا﴾ أي إنَّ النبي محمد (ﷺ) لم يتخذ الكافرين أنصارًا وأعوانًا^(٢).

فيما ذكر الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): أَنَّ المضلين هم الشياطين الذين يضلون الناس، ولهم أعوانٌ يعضدونني عليه، وكثيرًا ما يستعمل العضد بمعنى العون، وإنما وحده هنا لوافق الفواصل، والعضد: ما بين المرفق إلى الكتف^(٣).

من هنا فإنَّ الخطاب الحسيني قد وظَّف العطاء القرآنيَّ الأوسع من أجل كشف مبدئه الثابت، ومنهجه الواضح في عدم اتخاذ هؤلاء المضلين أعوانًا وأنصارًا، بسبب فساد طريقتهم، واعوجاج منهجهم، فلا يخفى أنَّ النصَّ القرآنيَّ بمعاينة أسلوبه المعجز قد ألح لهذا المعطى الدلالي الذي قصد إليه الإمام الحسين (عليه السلام) بلحاظ النفي ب (ما)، و (كنت) التي تفيد الاستمرارية، زد على ذلك مجيء صيغة اسم الفاعل (المضللين) لبيان شدة ضلالهم وانحرافهم وسقوطهم في حبال الشيطان.

(١) الثعلبي أو الثعالبي: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، شافعي المذهب شاع صيته من مؤلفيه (قصص الأنبياء) و (الكشف والبيان في تفسير القرآن)، قيل سُمي بالثعلب لأنه كان يخطط جلود الثعالب، (ت: ٤٢٧ هـ). ظ: حديث الثقلين: نجم الدين العسكري، ٥١.

(٢) ظ: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ١٧٧/٦.

(٣) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٥٤-٣٥٥.

وعند وصول خبر استشهاد قيس بن مسهر الصيدائي (عليه السلام) إلى الحسين (عليه السلام) استشهد بجزء من قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ ﴿١٥٧﴾ لبيان العاقبة الحسنى لأصحابه الموالين الذين عاهدوا الله في نصرة الدين، والدفاع عن المقدسات والقيم الإسلامية السامية. وموضع الإستشهاد بالآية الكريمة، نقله أبو مخنف (ت: ١٥٧هـ):

أقبل أربعة نفر من الكوفة على رواحلهم إلى أن وصلوا إلى الحسين (عليه السلام)، فقال لهم: أخبروني خبر الناس وراءكم، فقال له مجمع بن عبد الله العائذي، وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه: أمّا أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم، يستمال ودّهم ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك. قال: أخبرني فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيدائي، قالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك، ويلعن أباك فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر، فترقرقت عينا الحسين (عليه السلام)، ولم يملك دمه ثم قال:

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ اللَّهُمَّ اجعل لنا، ولهم الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك^(١).

ويبدو أن سبب نزول الآية كان في بيان حال الذين ثبتوا مع النبي محمد (ﷺ) في بدر وأحد، قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (روى البخاري ومسلم والترمذي عن أنس قال: قال عمي أنس بن النضر - سميت به ولم يشهد بدرًا مع رسول الله (ﷺ) فكبر عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله (ﷺ) غبت عنه، أما والله، لئن أراي الله مشهداً مع رسول الله (ﷺ) فيما بعد، ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله (ﷺ) يوم أحد من العام القابل، فاستقبله سعد بن مالك فقال: يا أبا عمرو أين؟ قال: واهاً لريح الجنة! أجدها دون أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت عمتي الربيع بنت النضر: فمأعرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ لفظ الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقيل: النحب الموت، أي مات على ما عاهد عليه، والنحب أيضا الوقت والمدة. يقال: قضى فلان نحبه إذا مات،

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام)، أبو مخنف، ٨٨، والإرشاد: ٢٦٦، ومسند الإمام الشهيد: ٢/ ٥.

والنحب أيضا الحاجة والهمة، والمعنى في هذا الموضع بالنحب النذر كما قدمنا أولاً، أي منهم من بذل جهده على الوفاء بعهده حتى قتل، مثل حمزة وسعد بن معاذ وأنس بن النضر وغيرهم^(١).

هذه الآية تشير إلى فئة خاصة من المؤمنين، وهم الذين كانوا أكثر تأسيًا بالنبي (ﷺ) من الجميع، وثبتوا على عهدهم الذي عاهدوا الله به، وهو التضحية في سبيل دينه حتى النفس الأخير، فتقول: إنهم صدقوا على العهد، وإنهم لم ينحرفوا قيد أنملة عن خطهم، ولم يألوا جهداً في سبيل الله، ولم يتزلزلوا لحظة، بعكس المنافقين أو ضعاف الإيمان الذين بعثرتهم عاصفة الحوادث هنا وهناك، ... وروى العالم المعروف (الحاكم أبو القاسم الحسكاني) - وهو من علماء السنة - بسند عن علي (عليه السلام) أنه قال: فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأنا - والله - المنتظر وما بدلتُ تبديلاً، ومِنَّا رجال قد استشهدوا من قَبْلُ كحمزة سيد الشهداء (ﷺ). وقال آخرون: إن جملة من قضى نحبه إشارة إلى شهداء بدر واحد، وجملة: (ومنهم من ينتظر) إشارة إلى المسلمين الصادقين الآخرين الذين كانوا بانتظار إحدى الحسنين: النصر، أو الشهادة، ولا منافاة بين هذه التفسيرات مطلقاً، لأنَّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كل شهداء الإسلام الذين استشهدوا

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٤ / ١٦٠.

قبل معركة الأحزاب، وكل من كان منتظراً للنصر أو الشهادة، وكان على رأسهم رجال كحمزة بن عبد المطلب وعلي (عليه السلام) ولحق بهم الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه (عليه السلام) ^(١).

لا يخفى أن الشاهد القرآني الذي استشهد به الإمام الحسين (عليه السلام) هو مصداق من مصاديق الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في زمن النبي محمد (ﷺ)، سواء أكانوا في معركة بدر أم معركة أحد أو غيرهما، وأن الإمام الحسين (عليه السلام) استشهد بالآية نفسها عند شهادة المسيب بن نجبة الفزاري ^(٢). ومن هنا فإن للشاهد القرآني اشعة كأشعة الشمس تطلع كل نهار لإشراقة جديدة، في كل زمان ومكان، وهذا ما ترسمه الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله: (إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، لكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين) ^(٣).

(١) ط: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ١٩٩-٢٠٠.

(٢) ط: مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف الأزدي، ٣٠٣، وموسوعة مقتل الحسين (عليه السلام): ٦٧٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠٤/٣٥، ومستدرک سفينة البحار: ٤٤٨/٨، وموسوعة أحاديث أهل البيت

(عليه السلام): ١٢ / ٨.

٢- خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) :

في مجلس ابن زياد كان ردُّ الإمام السجاد (عليه السلام) صارخاً بوجه ابن زياد في ظل جزء من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). إذ استشهد بها الإمام السجاد (عليه السلام) في خطابه بالكوفة حيث مجلس ابن زياد، قال السيد ابن طاووس الحلبي (ت: ٦٦٤هـ) : قال الراوي : ثم إنَّ ابن زياد جلس في القصر للناس، وأذن إذناً عاماً وجيء برأس الحسين (عليه السلام) فوضع بين يديه وأدخل نساء الحسين (عليه السلام)... ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فقال: من هذا ؟ فقيل: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟ فقال علي (عليه السلام): قد كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قتله الناس. فقال: بل الله قتله. فقال علي (عليه السلام): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، فقال ابن زياد: ألك جرأة على جوابي اذهبوا به ، فاضربوا عنقه ، فسَمِعْتُ به عمته زينب فقالت: يا ابن زياد إنك لم تُبقِ منّا أحداً فإن كنتَ عزمْتَ على قتله فاقتلني معه، فقال علي (عليه السلام) لعمته اسكتي ياعمّة حتى أكلّمه. ثم أقبل، فقال: أبالقتل تهددني يا ابن زياد؟! أما علمت أنَّ القتلَ لنا عادةٌ وكرامتنا

الشهادة^(١).

نزلت هذه الآية كالصاعقة على رأس ابن زياد ومن كان موجود في المجلس لعظم رد الإمام السجاد (عليه السلام) وفي هذا الوقت بالذات وهو مهدد إياه بالقتل فكان هذا السهم الأول في نحر الدولة الأموية بعد واقعة الطف.

وفي تفسير هذه الآية الكريمة: قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): قيل: إنَّ الموت - هنا - المراد به النوم. والتوفي - هنا - توفي النفس لا الروح، لأنَّ ابن عباس قال: في ابن آدم نفس وروح، فإذا نام قبضت نفسه وبقيت روحه فإذا مات قبضت نفسه وروحه. فإن قيل: كيف قال هنا ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ وقال في موضع آخر ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٢) وآية أخرى ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾^(٣). قيل: إنَّ الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله، ومعه رسل وأعوان، فلذلك قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقيل: توفها نومها لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾^(٤).

وقوله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ معناه أنَّه يقبضها إليه إذا أراد

(١) ظ: اللهوف في قتلى الطفوف، ٩٣ - ٩٥، ولوائح الأشجان، السيد محسن الأمين، ٢١٠، ومسند

الإمام الشهيد: ٢ / ٢٢٣. ومسند الإمام السجاد (عليه السلام): عزيز الله العطاردي ١ / ١١٦.

(٢) الأنعام: ٦١.

(٣) السجدة: ١١.

(٤) الأنعام: ٦٠.

إماتها بأن يقبض روحها بأن يفعل فيها الموت، فلا يردّها إليه، ويرسل الأخرى التي يريد إبقاءها إلى أن تستوفي أجلها الذي قدره لها. وذكر الشيخ الفرق بين قبض النوم والموت وهو: إن قبض النوم يضاد اليقظة، وقبض الموت يضاد الحياة، وإن أرواح الأموات إذا أرادت الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات وأرسل أرواح الأحياء^(١).

ولا يخفى أن استشهاد الإمام السجاد (عليه السلام) بهذه الآية ردّ على المجبرة الذين يقولون: إن الله يُجبر العباد على الأعمال، وأن ما يصدر عنه في حقهم حتم لازم، ولا مجال للتخير والإرادة، وهذا مانهجه بنو أمية، فيقول ابن زياد: بل الله قتله، وهذا مصداق للنهج الانحرافي الذي ارتسموه من أجل تسويغ أفعالهم وأقوالهم المنحرفة والمضلة.

ونلّمح التابع الاستشهادي القرآني من لدن الإمام السجاد (عليه السلام)، حين أتى ركب السبايا إلى الشام، فأقيموا على باب المسجد، فأتاهم شيخ من شيوخ أهل الشام مُضلل بفعل الإعلام الأموي الذي زيف الحقائق، وقلب الموازين، ودونك قول هذا الشيخ الذي نقله الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): الحمد لله الذي قتلكم، وأهلككم، وقطع قرون الفتنة. فلم يأل عن سبهم وشتمهم. فلما انقضى كلامه. قال له علي بن الحسين (عليه السلام): إني قد أنصتُ

لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فانصت لي كما أنصت لك. فقال له: هات. قال علي (عليه السلام): أما قرأت كتاب الله (تعالى)؟ قال: نعم. فقال (عليه السلام) له: أما قرأت هذه الآية: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١). إذ نرغب هنا المنهج الجبري الذي خيم على أهل الشام، فقول الشيخ هو مصداق لقول يزيد: الحمد لله الذي قتلكم واهلككم، وقتل قرون الفتنة، هذا الفكر المنحرف جعل الناس في غفلة من معتقداتهم، فضلاً عن ذلك محاولة إبعاد أهل البيت (عليهم السلام) بوصفهم قادة الأمة، والمصطفين الأخيار، والمنصوص على فضلهم وطهارتهم ووجوب مودتهم من ساحة الإيمان والإسلام من جهة، وتغيب أثرهم في حماية الإسلام والقيم الإسلامية من جهة أخرى^(٢).

من هنا بدأ الإمام السجاد (عليه السلام) مصححاً معتقد هذا الشيخ من جهة، وتصحيح معتقدات الجمهور الجاهل الذي ضلّته السياسة الأموية، من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة)، في ضوء الاستشهاد القرآني القطعي؛ لأنه يمثل القول الفيصل في رصد الدليل، وهو ما يتفق عليه الجميع بأنه كلام الله (تعالى)

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الاحتجاج: ٣٣/٢.

قال علي بن الحسين (عليه السلام): إنما قد أنصتُ لك حتى فرغت من منطقك، وأظهرت ما في نفسك... قال: بلى. فقال (عليه السلام): نحن أولئك فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقا خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا. فقال: أما قرأت هذه الآية ﴿وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾^(١)؟ قال: نعم. قال علي (عليه السلام): فنحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم. فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟ فقال علي (عليه السلام): (نعم) فهل قرأت الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٢)؟ فقال له الشامي: بلى. فقال علي (عليه السلام): فنحن ذو القربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقا خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا. قال علي بن الحسين (عليه السلام): أما قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)؟ قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: اللهم إني أتوب إليك! ثلاث مرات، اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، وأبرء إليك ممن قتل أهل بيت محمد، ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت به قبل اليوم^(٤).

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) ظ: الاحتجاج، ٢/ ٣٤.

٣- كلام المختار وأنصاره (عليه السلام) :

لعل الاستشهاد القرآني لم يقف عند خطاب الإمام الحسين وولده الإمام السجاد (عليه السلام)، بل تلحظ الاستشهاد القرآني، عند المختار الثقفي وأصحابه (عليهم السلام).

وأول ما يلقانا من كلام المختار الثقفي (عليه السلام) حينما دخل قصر الكوفة، وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر، إذ قال: تباعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾^(١)، فلما سمعوها قال بعضهم: أبشروا كأنكم والله به قد قتلهم^(٢).

ندرك إن الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني عند المختار الثقفي (عليه السلام) جاء ضمن سياق جزء من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾^(٣) ولا يخفى الاقتباس القرآني المحمود من المختار الثقفي (عليه السلام)، إذ إن بمعينة السياق القرآني

(١) السجدة: ٢٢.

(٢) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام)، أبو مخنف، ٣٤٤-٣٤٥، وتاريخ الطبري: ٤ / ٥٠٧ - ٥٠٨، والكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٤ / ٢٣٥، وذوب النظر: ابن نما الحلبي، ١٠٧، وبحار الأنوار: ٤٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠، والعوالم: عبد الله الحسن، ٦٨٩ - ٦٩٠.

(٣) السجدة: ٢٢.

ولاسيما الآية التي تسبق الآية المقبوسة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١). تلمح الوصف الدقيق لعاقبة هؤلاء الذين انتهكوا حرمة رسول الله (ﷺ) بقتل ذريته، وسهمهم العذاب والخزي في الدنيا والآخرة.

قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ): (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى، وهو عذاب الدنيا، دون العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة)^(٢). زد على ذلك وصف هؤلاء المارقة والسفاحين بالمجرمين في ضوء النص المقبوس، فالمجرم هو المذنب والمكتسب الإثم^(٣).

ويزهر الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني عند يزيد بن أنس (رضي الله عنه) وهو أحد قادة جيش المختار الثقفي (رضي الله عنه) إذ شجع وحمس جيشه من أجل الظفر بالنصر، والنكبة على جيش يزيد قال: يا شرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوكم تظفروا، ثم تمثل بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وهذا الجزء من الآية ضمن السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

(١) السجدة: ٢١.

(٢) زبدة المعاني من تفسير الشوكاني: ٤١٧.

(٣) ظ: المصباح المنير، الفيومي، مادة جرم، ٦٧.

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿١٦١﴾^(١)

ولا يخفى الترغيب الحثيث للمؤمنين والتنشيط لهم بأن قتالهم لهذا المقصد السامي، والمعلم العالي، في سبيل الله (ﷻ)، ورسوله (ﷺ) والإسلام، والبيان الواضح أن هؤلاء الكافرون يقاتلون في سبيل الشيطان (الطاغوت)، هؤلاء أتباع الشيطان وتابعيه، فلا جرم أن مكره ضعيف وإه^(٢).

ذكر السيد محمد حسين فضل الله (ت: ١٤٣١ هـ): أن هذه الآية هي الخط الفاصل بين قتال المؤمنين وقتال الكافرين، إذ يختم الله هذا النداء بتقرير الحقيقة الإيمانية: المؤمنون يقاتلون في سبيل الله، فليس لهم أي هدف يتصل بالحالة الشخصية للمقاتل، أو بالأشخاص الذين يمثلون خط الطاغوت في الفكر والعمل والموقف، بل كل ما هناك، أنه يقاتل في سبيل الله وهو الوجه المشرق لسلامة الحياة والإنسان. أما الكفار، فإنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، بما يمثله من الفكر الباطل والحكم الطاغوي والأهواء الضالة، وهذا ما يوحى للمؤمنين دائماً بتحديد الساحة التي يقاتلون فيها، من خلال تحديد القيادة التي تقود الساحة، فذلك الذي يحقق له مصداقية شخصيته الإيمانية من جهة، ويمنح موقفه الشرعية الإسلامية؛ فلا يمكن للمؤمنين أن يقاتلوا أولياء الله، مهما كانت الظروف والنتائج، لأن ذلك يعني الحرب على

(١) النساء: ٧٦.

(٢) ظ: زبدة المعاني في تفسير الشوكاني، ٩٠.

الله بشكل غير مباشر. وأولياء الشيطان يستمدون قوتهم من الشيطان الذي يملك قوة محدودة تتحرك من خلال الوسائل المادية التي يقدمها لأتباعه، ولكنها سرعان ما تتهاوى أمام الموقف الصلب الذي يقفه المؤمنون انطلاقاً من قوة الله المطلقة التي لا تقف عند حد ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

استطاع يزيد بن أنس (رضي الله عنه) من خلال استشهاد هذه الآية القرآنية رفع الروح المعنوية لمقاتليه وشحذ هممهم، وبأنهم على الحق فهم يقاتلون في سبيل الله عكس الطرف الآخر الذي يقاتل طلباً للمال والسلطة، وهذا كله من فعل الشيطان ورغم موت أمير الجيش يزيد بن أنس (رضي الله عنه) إلا أن الجيش انتصر في المعركة.

مناقشة ورأي:

انتهى الكتاب من ذكر الاستشهاد المباشر بجزء من الآية القرآنية الكريمة في الخطاب الحسيني، وتبين دقة اختيارهم لتلك الآيات الكريمات، لكي تكون مناسبة للغرض الذي سبقت من أجله وهو دليل صارم على عظم تمسكهم بالقرآن الكريم، وإنهم ترجمان كتاب الله (عجل)، وقد ارادوا أن يعطوا دروساً للأمة من خلال تلك الاستشهادات.

ونحن نختتم هذا المطلب لأبد من القول: إن الاستشهاد بجزء من الآية

في ضوء النصوص التي سُقناها، والمواقف التي تحصّلنا عليها، أنّ هذا النسق الاستشهادي القرآني كان محوِّجاً إليه، وموافقاً للمقام، وطبيعة الموقف، إذ يتطلب المقام والموقف هذه المقبوسات من الآيات المباركة بسبب سرعة الحدث من جهة، واقتناص الدلالة المرادة من المقبوسة من جهة أخرى، وهذا ما توافرنا عليه في الخطاب الحسيني الصادر من الإمام الحسين (عليه السلام) وبعض من الخطاب الصادر عن الإمام السجاد (عليه السلام)، وكذا الخطاب الصادر من المختار الثقفي (عليه السلام)، وأحد أصحابه يزيد بن أنس (عليه السلام).

المطلب الثاني: الاستشهاد بآية قرآنية كاملة :

في هذا المطلب سيكون الاستشهاد القرآني بآية قرآنية كاملة محطّ البحث، ومَعْقِد القول، وبدا لنا أن يكون في ثلاث فقراتٍ بحسب مُنتَج الخطاب الحسيني:

أولاً: الإمام الحسين (عليه السلام):

يأتي البيان الصارخ، والدليل الثبت في الخطاب الحسيني من أجل الكشف عن أنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم أولياء الأمر وأصحاب الحق في قيادة المسلمين؛ بما وهبهم الله (تعالى) من عصمةٍ وعلمٍ، واستنباط، وتأويل، وهذا ما استرشد به الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ

وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، ذكر الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)

: في قوله تعالى ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ بمعنى لوردوه إلى سنته ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾ قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): هم الأئمة المعصومون. وقيل: هم أمراء السرايا، والولاء، وكانوا يسمعون بأخبار السرايا ولا يتحققونه فيشيعون ولا يسألون أولي الامر. وقيل: هم أهل العلم، والفقهاء

الملازمين للنبي (ﷺ)، لأنهم لو سألوهم عن حقيقة ما أرجفوا به، لعلموا به، وقوله: يستنبطونه أي معناه يتحسسونه، وقيل: يستخرجونه^(١).

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): أن المقصود بهذه الآية الكريمة: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال، ولا استبطان للأمر كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله (ﷺ)، من أمن وسلامة، أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت إذاعتهم مفسدة^(٢). أراد الإمام الحسين (عليه السلام) إيصال رسالة لمعاوية وكل من معه بأنه من أولي الأمر الذين فرض الله ورسوله طاعتهم بدليل القرآن الكريم وقول الإمام الباقر (عليه السلام) الذي نقلناه. ونلمح أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يفسر القرآن بالقرآن، وهو منهج تفسيري أصيل، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ويقرن بعضه بعضاً، قال الإمام علي (عليه السلام): (كتاب ربكم فيكم، مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه)^(٣).

ونقل الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) بسنده: (عن الحسين بن علي في قوله

(١) ظ: التبيان في تفسير القرآن، ٣/ ٢٧٣.

(٢) ظ: الكشاف: الزمخشري، ١/ ٥٤٧.

(٣) نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، ١/ ٢٦، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٨٩، وجامع أحاديث الشيعة: ١/ ٦٨، وتوضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ١/ ٤٢.

تعالى: ﴿وَشَهِيدٌ وَمَشْهُودٌ﴾^(١). قال الشاهد جدي رسول الله (ﷺ) (والمشهود يوم القيامة ثم تلا هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٣))).^(٤)

فكان الإمام الحسين (عليه السلام) مفسراً للقرآن الكريم عبر تفسير القرآن بالقرآن وهو من أفضل المناهج التفسيرية.

وَبَصُرَ الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني من الإمام الحسين (عليه السلام) حينما كان متجهاً من مكة الى الكوفة إعرضه رسل عمرو بن سعيد ابن العاص عليهم يحيى بن سعيد فاستشهد بهذه الآية القرآنية ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥)

هذا الاستشهاد القرآني الباصر والمعجب من الإمام الحسين (عليه السلام) يدل على أنه اتخذ من جده رسول الله (ﷺ) قدوة يحتذى بها، ونوراً يستضاء به حينما بين أن جزاء عمله له، وأن جزاء عملكم لكم أيها الكافرون

(١) البروج : ٣.

(٢) الأحزاب : ٤٥.

(٣) هود : ١٠٣.

(٤) مجمع الزوائد : ١٣٦ / ٧.

(٥) يونس : ٤١.

بعد التكذيب، فذكر الإمام الحسين (عليه السلام) قول الله (ﷻ): ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

أراد الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الآية إرسال رسالة لهؤلاء بأنه اتخذ من جده رسول الله (ﷺ) قدوة يُحتذى بها بعد التكذيب الذي وجده من القوم وإنه سائر لإحقاق الحق وهو بريء من عملهم الباطل.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ وإن تموا على تكذيبك ويئت من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وقيل هي منسوخة بآية السيف^(٣) ومعناه: ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون^(٤).

ومن التفسير للنص القرآني المستدل به قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، ٦٧، وتاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٩، و بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٨٢، ومسند الإمام الشهيد: ١ / ٤٢٦.

(٢) الشعراء: ٢١٦.

(٣) التوبة: ٥.

(٤) الكشف: ٢ / ٢٤٠.

بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، جواب محمد جواد مغنية^(١)، قال: «سألني كثير من المؤمنين عن واجبه الشرعي تجاه أبنائهم الذين جرفتهم تيارات التمدين، وتهاونوا في الدين وأحكامه. فأجبتهم بأن علي الوالد أن يربي أولاده الصغار على الدين، وينشئهم على مبادئه الضرورية، فيلقنهم أصول العقيدة، ويمرهم على العبادة الواجبة كالصلاة والصيام، ومعرفة الحرام كالكذب والغيبة وتعاطي المسكرات وما إليها إلى أن يبلغوا راشدين، فإن قصر في هذا الدور كان مسؤولاً أمام الله. وبعد الرشد يقف معهم موقف البشير النذير، فإن لم يستجيبوا فهو معذور عند الله»^(٢).

أما الرأس الشريف للإمام الحسين (عليه السلام) فقد نطق بالآية القرآنية:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾^(٣)

نقل محمد بن سليمان الكوفي (ت: ٣٠٠ هـ): بسنده (عن المنهال بن عمرو قال: رأيت رأس الحسين بن علي على الرمح وهو يتلو هذه الآية:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ فقال رجل

(١) هو أبرز علماء لبنان الشيعة، كان له الكثير من المقالات والنشرات في الذب عن التشيع بلسانه وقلمه، وله مؤلفات كثيرة منها (التفسير الكاشف ت: ١٤٠٠ هـ)، ودفن في إحدى غرف مقام الإمام علي (عليه السلام). ظ: (تجارب محمد جواد مغنية)، عبد الحسين مغنية، ٥-٦.

(٢) الكاشف: ٢ / ٢٤٠.

(٣) الكهف: ٩.

من عرض الناس: رأسك يا ابن رسول الله أعجب؟^(١).

هذه إحدى كرامات الرأس الشريف، ونقل المجلسي (ت: ١١١١ هـ) في البحار كرامتين أيضًا سيذكرهما الباحث للفائدة:-

إحداهما: (عن السندي بن محمد، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما استخار الله (وَعَلَيْكَ) عبدٌ في أمرٍ قط مائة مرة يقف عند رأس الحسين (عليه السلام) فيحمد الله، ويهلله، ويسبحه، ويمجده، ويشنئ عليه بما هو أهله، إلّا رماه الله تبارك وتعالى بخير الأمرين. قال: وسمعتة يقول في الاستخارة: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بعلمك، وأستخيرك بعزتك وأسألك من فضلك العظيم، وأنت أعلم بعواقب الأمور، إن كان هذا الأمر خيرًا لي في ديني ودنياي وآخرتي، فيسره لي، وبارك لي فيه، وإن كان شرًّا فاصرفه عني، واقض لي الخير حيث كان، ورضني به حتى لا أحبُّ تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت^(٢).

والأخرى: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنَّ عند رأس الحسين بن علي (عليه السلام) لتربة حمراء فيها شفاء من كلِّ داءٍ إلا السامَّ، قال: فأتيت القبر بعد ما سمعنا هذا الحديث فاحتفرنا عند رأس القبر فلما حفرنا قدر ذراع انحدرت

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين: ٢ / ٢٦٧، والإرشاد: ٢٧٥، ومسند الإمام الشهيد: ٢ / ٢٢٧ مع

اختلاف السامع عندهما وهو زيد بن أرقم وليس المنهال.

(٢) بحار الأنوار: ٨٨ / ٢٦٠.

علينا من عند رأس القبر شبيه السهلة حمراء قدر درهم، فحملناه إلى الكوفة فمزجناه، وأقبلنا نعطي الناس يتداوون به))^(١).

وحدث مناظرة بين الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) وركن الدولة الديلمي^(٢) إذ استدعى حضوره في مجلس الملك كثيرًا، فلما ورد الصدوق عليه من الغد وأخذ الملك في مدحه وثنائه أظهر بعضهم بحضرته المقدسة أن هذا الشيخ يرى أن رأس الحسين (عليه السلام) كان يقرأ على القناة سورة الكهف. فقال الملك: ما عرفنا منه ذلك حتى أن نسأله؟ فقرأ: آية من تلك السورة المباركة، ولكنه لم يوصل إلينا من جانب الأئمة (عليهم السلام)، ولا ننكره أيضًا لأنه إذا كان من الأمر الجائز المحقق تكلم أيدي المجرمين وشهادة أرجلهم الخبيثة يوم القيامة بما كانوا يكسبون، كيف لا يجوز أن يتكلم رأس ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته في أرضه وإمام الأئمة وسيد شباب أهل الجنة بتلاوة القرآن المجيد والذكر الحميد، وتظهر منه هذه الكرامة العليا بإرادة إلهه القادر على ما يريد؟ فإنكاره في الحقيقة إنكار لقدرة الله أو جحود

(١) م. ن: ٩٨ / ١٢٥.

(٢) هو عضد الدولة أبو شجاع ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي: من ملوك الدولة البويهية ومن معاصري الشيخ المفيد، وكان يعظمه غاية التعظيم، ومن آثاره تجديد عمارة مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولد بأصبهان ٥ ذي القعدة سنة ٣٢٤هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٧٢ هـ، ودفن في النجف. ظ مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ٢٠ / ٧.

لفضيلة رسول الله (ﷺ)، والعجب ممن يفعل ذلك وهو يقبل أنه بكته ملائكة السماء، وأمطرت على مصيبته من الأفلاك الدماء، وأقيمت مراسم عزائه في جميع الأصقاع والربوع، بل من أبى عن قبول أمثال ذلك مع تحقيقه وسلامة طريقه كيف لا يأبى عن صحة شرايع النبيين ومعجزاتهم المنقولة بأمثال هذه الطرق عالياً إلى أهل الدين؟^(١).

ونقل ابن نما الحلبي (ت: ٦٤٥ هـ): رجع النبي (ﷺ) من سفره مغموماً فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسن والحسين (عليهما السلام) بين يديه فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: (اللهم إنَّ محمداً عبدك ونبيك وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي. ومن أخلفهما في أمتي وقد أخبرني جبرائيل (عليه السلام) أنَّ ولدي هذا مقتول مخذول. اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله)^(٢).

كان رد الشيخ الصدوق رادعاً على كل من يشكك بكرامات أهل البيت (عليهم السلام) التي نقلها الكثير من الموالين والمخالفين في كتبهم وهي لا تخفى

(١) ظ: مواقف الشيعة، ٣/ ٤٨٤-٤٨٥.

(٢) ظ: مثير الأحزان، ٩، واللهوف في قتلى الطفوف: ابن طاووس الحلبي، ١٤، وبحار الأنوار:

٢٤٨/٤٤، وسيرتنا وستتنا: الشيخ الأميني، ٦٣، ومعالم المدرستين: مرتضى العسكري، وقادتنا

كيف نعرفهم: السيد هادي الميلاني، ٣/ ٥٧٣.

على الكثير من الناس.

ثانيًا : الإمام السجاد (عليه السلام) :

بعد نهاية حقبة المختار الثقفي (عليه السلام) بدأت مرحلة جديدة من الخطاب الحسيني وهو الاتجاه نحو تفسير النص القرآني من خلال الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، ذكر المسعودي (ت: ٣٤٦هـ): روى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: إن الله (عز وجل) أدب محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) فأحسن تأديبه، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١) فلما كان كذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)... وكان يضمن على الله الجنة، فأجيز له ذلك^(٣). ولا يخفى أن الآية جمعت محاسن الأخلاق، أخذ العفو والصفح، الأمر بالمعروف والخير، وترك الجاهلين، والآية الثانية أعطت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المكانة العظيمة والمرتبة الجليلة في أنه الأمر والنهي، فضلًا عن ذلك نلمح أن خلق النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فاق أخلاق الأنبياء قاطبةً، وهذا مانستشرفه في حرف الجر (على) الذي يفيد (الاستعلاء) فضلًا عن التوكيد

(١) الأعراف: ١٩٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٢٨٣ و مسند الإمام السجاد (عليه السلام): ١ / ٢١٧.

ب (إنَّ) و (لام الابتداء). وهاتان الآيتان استشهد بهما الإمام السجاد (عليه السلام) تبين المراحل التي خاطب الله بها نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالأولى تحثه على الصبر، والثانية تصف أخلاقه.

ونلاحظ الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني من لدن الإمام السجاد (عليه السلام) (عن طاووس اليماني: رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبيكي في دعائه، فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو علي بن الحسين (عليه السلام)، فقلت له: يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله، والثاني: شفاعة جدك، والثالث: رحمة الله، فقال: يا طاووس! أما أني ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يؤمنني، وقد سمعت الله تعالى يقول ﴿فَلَا أَشَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾ وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْضَى﴾ ﴿٢﴾. وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣﴾ ولا أعلم أنني محسن^(٤).

أراد الإمام السجاد (عليه السلام) توظيف الآيات القرآنية بالغرض الذي

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) الأعراف: ٥٦.

(٤) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ٤ / ٣٢٥٧.

سيقت من أجله، فالشفاعة وحدها لا تكفي إلا أن تكون مقرونة بالعمل الصالح والخوف من الله، والنسب أيضًا لا يغني عن الإنسان شيئًا، والميزان هناك هو العمل الصالح لا غير، وأظهر الإمام تواضعه أمام طاووس اليماني بالرغم من أنه إمام معصوم وواجب الطاعة من الناس وختمها بمضمون الرحمة.

نقل الكليني (ت: ٣٢٩هـ): بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) (قال: سمعته يقول قال: علي بن الحسين (عليه السلام) على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم وعلى شيعتنا ما ليس علينا أمرهم الله (تعالى) أن يسألونا قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَإِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا^(٢).

وقد اختلف في تفسير المقصود ب (أهل الذكر) بين المفسرين والمُحدثين قال ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ) في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني مشركي قريش، أن محمدًا رسول الله في التوراة والإنجيل. وعن سعيد بن جبیر (رضي الله عنه) في قوله: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سلام ونفر من أهل التوراة،

(١) النحل: ٤٣.

(٢) الكافي: ١ / ٢١٢، كتاب الحجة، باب سؤال أهل الذكر.

كانوا أهل كتب يقول : فاسألوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويعتمر، وإنه لمنافق. قيل : يا رسول الله، بماذا دخل عليه النفاق ؟ قال: يطعن على إمامه، وإمامة من قال الله في كتابه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). وذكر السيد علي الحائري الطهراني: (في أهل الذكر أقوال: أحدها: أَنَّ المقصود بأهل العلم العلماء بأخبار مَنْ مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، وسمي العلم ذكراً لأن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم فحسن أن يقع موقعه. وثانيها: أَنَّ المراد بأهل الذكر أهل الكتاب، ويخاطب مشركي قريش وأنهم كانوا يصدّقون أخبار اليهود والنصارى من كتبهم. وثالثها: أَنَّ المراد بأهل الذكر أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن، ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أَنَّهُ قال: (نحن أهل الذكر، وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله: ذِكْرًا، رُسُولًا)^{(٢) (٣)}.

ولا يخفى أَنَّ أهل الذكر في النص المبارك هم: أهل البيت (عليه السلام) وهذا

(١) ظ: تفسير القرآن العظيم، ٧ / ٢٢٨٨ - ٢٢٨٩.

(٢) ظ: بحار الأنوار، ١١ / ١٧.

(٣) تفسير مقتنيات الدرر: ٦ / ١٦٦.

هو المراد من خطاب الإمام السجاد (عليه السلام) في استشهاده بالنص المبارك.^(١)
ومن المعاصرين مَنْ جعل هذه الآية القرآنية عنواناً لكتابه هو: محمد
التيجاني السماوي^(٢). الذي أفاض في شرحه لهذه الآية الكريمة، وبعد طرح
جميع الآراء وجد البحث أنَّ المقصود بهذه الآية الكريمة هم محمد وآل
محمد برواية الإمامين السجاد والباقر (عليه السلام).

ومن كلام للإمام السجاد (عليه السلام) مع أحد أصحابه نقله المجلسي (ت):
١١١١هـ): «ليس لك أن تقعد مع مَنْ شئت، لأنَّ الله تبارك وتعالى يقول:
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾»^(٣). وليس لك أن
تتكلم بما شئت لأنَّ الله (عز وجل)، قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولأنَّ
رسول الله (ﷺ) قال: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ، أَوْ صَمَتَ فَسَلِمَ»

(١) ظ: مناقب أمير المؤمنين : ١٣٠ / ١، وشرح الأخبار: القاضي النعماني، ٢ / ٣٤٤، والإرشاد

: ١٩٦ بإسناد مختلف، وكشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي، ٢ / ٣٣٧.

(٢) الدكتور محمد التيجاني السماوي، مالكي المذهب ثم استبصر بعد رحلته للحج في قصة طويلة
ذكرها في أشهر كتبه (ثم إهديت) الذي طبع أكثر من عشر مرات وأصبح من الشيعة الإمامية له عدة
كتب منها (مع الصادقين، واسألوا أهل الذكر والشيعة هم أهل السنة) وغيرها. ظ: aqeab.com.

(١). وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله (ﷻ) يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢). بيان: الخطاب في الآية الأولى أمّا خطاب عام، أوالمخاطب به ظاهراً الرسول والمراد به الأمة. وقوله تعالى: ولا تقف أي ولا تتبع، قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ كل أولئك أي كل هذه الأعضاء، وأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن أحوالها شاهدة على صاحبها» (٣).

تحصل لنا أن الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني على لسان ولده السجاد (عليه السلام)، في ظل محادثته مع أحد أصحابه هي توجيه النصح والإرشاد، فضلاً عن بيان الصحبة، ودعوتهم إلى مكارم الأخلاق، والآيات القرآنية المباركة التي استدل بها الإمام السجاد (عليه السلام) هي لبيان ذلك.

وذكر الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ): (عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عن أبيه (عليه السلام) قال: قال أبي علي بن الحسين (عليه السلام): يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق فقال: يا أبا من هم؟

(١) ظ: بحار الأنوار، ٣٣ / ٢٧٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) ظ: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢ / ٤٣١، والشيعية في أحاديث الفريقين: الأبطحي، ٣٠٧، ومسنند الإمام السجاد (عليه السلام): ١ / ٢٢٠، ومسنند الإمام الرضا (عليه السلام): عزيز الله العطاردي، ١ / ٣٥٠.

عرفنيهم، قال: إياك ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السراب يُقَرَّب لك البعيد، ويُبْعَد لك القريب وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإنني وجدته ملعوناً في كتاب الله (ﷻ) في ثلاثة مواضع قال الله (ﷻ): ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(١). وقال (ﷻ): ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾^(٢). وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَسِرُونَ ﴾^(٣)^(٤).

تندرج هذه الوصايا الخمس في باب المواعظ والحكم الصادرة من الأئمة تجاه المؤمنين لكن تركيز الإمام انصب على الوصية الخامسة وهي (النهي عن مصاحبة قاطع الرحم). وتوضح لنا أن الإمام السجاد (عليه السلام) قد

(١) محمد: ٢٢.

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) البقرة: ٢٧.

(٤) الإختصاص: ٢٣٩، ومسند الإمام السجاد (عليه السلام): ٢/٣٦٦.

أحاط بالسياقات القرآنية في تكشف خلق هؤلاء في ضوء تحديد المواقع التي لعن الله فيها قاطع الرحم، ذكر علي الطبرسي (ت: ٧٠٠هـ): قال النبي (ﷺ):
: «لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع الرحم»^(١).

ونقل المجلسي (ت: ١١١١هـ): أن النبي (ﷺ) قال: (أخبرني جبرئيل أن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ما يجدها عاق، ولا قاطع الرحم، ولا شيخ زان)^(٢).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (ذَكَرَ عَلِيٌّ (عليه السلام) أَنَّهُ وَجَدَ فِي قَائِمَةِ سَيْفٍ مِنْ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ صَحِيفَةً فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ: صَلِّ مِنْ قِطْعِكَ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ)^(٣). هذه الأحاديث التي نقلها البحث هي شذرات من أقوال النبي (ﷺ) والإمام علي (عليه السلام) في عاقبة قاطع الرحم، والآثار الخطيرة التي تترتب عليها، وعند البحث في القرآن الكريم عن هذه المفردة ومشتقاتها وجد البحث أنها متكررة ثلاثمائة وستاً وثلاثين مرة^(٤)، وما هذا التكرار إلا لتأكيد الباري (ﷻ) على أهميتها الشديدة،

(١) مشكاة الأنوار على غرر الأخبار: ٢٩٠، ومستدرك الوسائل: ١٥ / ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٦ / ٢٤.

(٣) م. س: ١٥٧ / ٧١، وتنبيه الخواطر وتنزيه النواظر (مجموعة ورام): الشيخ ورام، ٢ / ٤٧٥، ونهج السعادات ٧ / ٣٥٣.

(٤) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٠٩ - ٣١٤.

وأكدتها كذلك الرسول (ﷺ) بأحاديثه .

ثالثاً: السيدة زينب بنت علي (عليها السلام):

تُعد السيدة زينب (عليها السلام) من النساء التي خلّدت لهنّ التاريخ موقفهنّ، على الرغم من المواقف الصعبة والمحن التي مرت بها، إلّا أنّها أجابة يزيد وأفحمته في وسط مجلسه بخطبتها الرائعة التي فضحته فيها، ورفعت الغشاوة عن كثير ممّن حضر المجلس فكانت وسيلة إعلامية صارخة بوجه الحكم الأموي المنحرف عن تعاليم السماء، وقد تطرق إلى شرح الخطبة كثير من الباحثين لذا اكتفى البحث بذكر الخطبة مراعاةً لمطالب البحث والذي يريد الإستزاده فليرجع إلى مضانها.

ذكر السيد ابن طاووس الحلي (ت: ٦٦٤هـ) قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام)، فقالت: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول وآله : أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول ﴿ ثُمَّ كَانَ عِقْبَۃَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءَىۗءَ اَنْ كَذَّبُوْا بِآيٰتِ اللّٰهِ وَكَانُوْا بِهَا يَسْتَهْزِءُوْنَ ﴾^(١). أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساقُ كما تُساق الأسارى، أنّ بنا هوانا على الله، وبك عليه كرامة، وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشَمَخْتَ بأنفك، ونَظَرْتَ في عِطْفِكَ جَذْلان

مسرورًا... فَمَهْلًا مَهْلًا أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١). أَمِنْ العدل يا ابنَ الطلقاءِ تخديرك حرائك وإمائك وسوقك بنات رسول الله (ﷺ) سبايا... اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا فوالله ما فرّيت إلا جلدك ولا حرّزت إلا لحمك ولتردنّ على رسول الله (ﷺ) بما تحملت من سفك ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته، وحيث يجمع الله شملهم، ويكلم شعثهم ويأخذ بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢)، وحسبك بالله حاكمًا وبمحمد (ﷺ) خصيمًا وبجبرائيل ظهيرًا وسيعلم من سؤل لك، ومكنك من رقاب المسلمين، ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك، إنّي لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، لكن العيون عبّرى والصدور حرّى، فكِدْ كيدك واسعَ سعيك، وناصب جهدك فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة^(٣).

لا يخفى على المتأمل أنّ السيدة زينب (عليها السلام) قد استشهدت في خطبتها

(١) آل عمران: ١٧٢.

(٢) آل عمران : ١٦٩.

(٣) ظ: اللهوف في قتلى الطفوف : ١٤٠-١٤١، وبحار الأنوار : ١٣٣/٤٥، وشرح إحقاق الحق :

السيد المرعشي، ٣٣/٦٨٠، ومعالم المدرستين : ٣/ ١٦٨، وموسوعة مقتل الحسين (عليه السلام) : ٣٩٨.

بأربع آياتٍ من أجل تأكيد القضية التي تريد الوصول إليها، قضية استجلاء الحق والعدل والظلم الذي وقع على ذرية المصطفى (w) تارةً، وبيان ظلم يزيد وطغيانه واستبداده، واستظهار عاقبة السوء التي سينالها بمن اقترفت يدها في حق هذه الذرية الطاهرة تارةً أخرى.

ويبدو أنَّ المخزون القرآني لدى السيدة زينب (عليها السلام) قد وظفته في الحجاج والدفاع عن القضية العظمى، فلحظ الرصد المعجب، والاصطفاء الباصر للنصوص القرآنية المناسبة التي تنسجم مع موضوع الخطبة، إذ نبَّصرُ التكشيف الدلالي لبيان حال هؤلاء القتلة من نحو العاقبة (السَّوَاي) في الآخرة، و (ازدياد الإثم والطغيان) في الدنيا من أجل إركاسهم بذنوبهم وأعمالهم المخزية ثم ينالهم عذاب الخزي والمهانة، ونلاحظ أسلوب الذم في استثمار صيغة (بئس للظالمين بدلاً)، وكذلك استثمار (اسم التفضيل) في بيان مهانتهم (شرُّ مكاناً)، (أضعف جنداً). وهنا يتجلى مصير هؤلاء الفتية الشهداء الذين ضحَّوا من أجل المقدَّسات والإسلام بأنَّهم شهداء أحياء عند ربِّهم، ما أعظمها، من منزلة!!

المطلب الثالث: الاستشهاد بمقطع من الآيات القرآنية: —

في هذا المطلب سيكون الاستشهاد القرآني بمقطع من الآيات القرآنية حاضراً فيه، إذ يزهر هذا اللون أيضاً في الخطاب الحسيني، وهذا ما سنتلمسه

في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)، واصحابه (رضي الله عنهم)).

أولاً: الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)

١- رده (عليه السلام) على مروان بن الحكم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝١٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۝١٧﴾^(١).

أول ما يلقانا من هذا الاستشهاد في الخطاب الحسيني، ما وقفنا عليه من رد الإمام الحسين (عليه السلام) على مروان بن الحكم حين علم الإمام (عليه السلام) بأنه يسب علياً (عليه السلام)، فقد نقل فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٥٢٣هـ) بسنده، قال: لما كان مروان على المدينة خطب الناس فوقع في علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: فلما نزل من المنبر أتى الحسين بن علي (عليه السلام) المسجد فقبل له: إن مروان قد وقع في علي، فلما سمع بالأمر: قام الحسين مغضباً حتى دخل على مروان فقال له: يا ابن الزرقاء ويا ابن آكلة القمل أنت الواقع في علي؟ قال له مروان: إنك صبي لا عقل لك، فقال له الحسين (عليه السلام): ألا أخبرك بما فيك، وفي أصحابك، وفي علي (عليه السلام)، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝١٦﴾ وُدًّا الرَّحْمَنُ فذلك

(١) مريم: ٩٦ - ٩٧.

(٢) مريم: ٩٦.

لعلي وشيعته فبشر بذلك النبي (ﷺ). ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾^(١). ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) و﴿قَوْمًا لَّدَا﴾ فذلك لك ولأصحابك^(٢).

استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الآيات الرد على الشخص وإفحامه أمام الملاء في ضوء النصوص القرآنية الحجاجية والاستدلالية، وأعظم بها من أدلة حجاجية، وأمثلة تقويمية رادعة.

٢ - عند خروجه (عليه السلام) من مكة، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينَةٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ^(٤).

فبعد موت معاوية وجعل الملك لولده يزيد استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بالآيتين على لسان نبي الله موسى (عليه السلام): ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينَةٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ^(٦) ونقلت مصادر عدة استشهاد الإمام بهاتين الآيتين بعدها خرج من مدينة جده رسول الله (ﷺ) بعد وداعه لقبر جده متوجهاً إلى مكة بعد

(١) مريم: ٩٧.

(٢) ظ: تفسير فرات الكوفي، ٢٥٣، ومسند الإمام الشهيد: ١/ ١٧٠.

(٣) القصص: ٢١ - ٢٢.

سماعه لرأي جماعة تخوفوا عليه من الخروج إلى مكة، وهم (عمر الأطراف ابن الإمام علي، وابن الحنفية، وعبد الله بن عمر، وأم سلمة، وبعض الهاشميات)^(١). وسيبين البحث تفسيرهما عند قسم من المفسرين، ثم سيذكر سبب استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بهما: ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ): أنَّ موسى (عليه السلام) خرج على وجهه خائفاً يترقب ما يدري أي وجه يسلك، أمّا قوله: ربّ نجني من القوم الظالمين، يقول تعالى ذكره: قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفاً: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك، وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾، يقول تعالى ذكره، ولما جعل موسى وجهه نحو مدين، ماضياً إليها، شاخصاً عن مدينة فرعون، وخارجاً عن سلطانه وإنّما قال ذلك لأنّه لم يكن يعرف الطريق إليها. وذكر أنّ الله قيّض له إذ قال: ربّ نجني من القوم الظالمين، وقيل: خرج موسى متوجّهاً نحو مدين، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه^(٢).

وذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) قصة موسى في هاتين الآيتين: خرج موسى (عليه السلام) من مصر إلى مدين عُقِبَ قتله القبطي خوفاً من فرعون

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، ١١، والإرشاد: ٢٢٣، وبحار الأنوار: ٣٩٣/٤٤، وينايع المودة: القندوزي ٣/ ٥٥، وموسوعة مقتل الحسين (عليه السلام): ٦٣٥، وخطاب الإستنصار من مكة الى المدينة: الآصفي ٣٩-٤٠، وغيرها.

(٢) ظ: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ٦٦/٢٠-٦٧، وفتح القدير: الشوكاني، ١٦٦/٤.

وتزوجه هناك بإبنة شيخ كبير لم يسم في القرآن لكن تذكر روايات أئمة أهل البيت (عليه السلام) وبعض روايات أهل السنة أنه هو شعيب النبي (عليه السلام) المبعوث إلى مدين. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١). أي من حذاء داعي نفسه. وقال: سواء السبيل وسط الطريق. ومدين مدينة قوم شعيب وهي تجاه تبوك على بحر القلزم وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى لغنم شعيب (عليه السلام)، ويقال: إنه كان بينهما وبين مصر، مسيرة ثمان، وكانت خارجة من سلطان فرعون ولذا توجه إليها. لكنه لم يعرف الطرق الموصلة إليها فترجى أن يهديه ربه، وإن كان مما يقتضيه طبعه البشري إلا ابتغاء مرضاة ربه وجهاداً فيه، وهذا ظاهر بالتدبر في القصة^(٢). والفرق بين تفسير الطبري وتفسير السيد الطباطبائي هو: أن الطبري لم يذكر هوية القتل الذي قُتل وانصب تركيزه على الطريق فقط، أما السيد الطباطبائي فذكر الاثنين معاً.

واتضح لنا بعد ذكر قصة موسى (عليه السلام) أن الإمام الحسين (عليه السلام) سار نحو مكة، وهو خائف يترقب ماسيحصل عليه في المستقبل، لكن حاله ليس كحال موسى (عليه السلام) الذي خرج خائفاً من بطش فرعون به بعد قتله للقبطي،

(١) القصص: ٢٢.

(٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن: ٢٤-٢٥، والتفسير الوسيط: وهبة الزحيلي، ٣/١٩١٣.

أما خروج الإمام الحسين (عليه السلام) فإنه كان بعين الله ولإقامة الحق ودحض الباطل وإذلاله، فكان استشهاده بالآية القرآنية الكريمة ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ خير دليل على ذلك.

٣ - الاستشهاد القرآني عند الإمام الحسين (عليه السلام) في ليلة عاشوراء:

سَمِعَ الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ^(١).

ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ): فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا وإنَّ حسيناً يقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ^(٢). فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال: نحن وربُّ الكعبة الطيبون ميزنا منكم قال: فعرفته فقلت لبرير أتدرى

من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر، وكان مضحكا فاتكأ، فقال له برير بن حضير: يا فاسق أنت يجعلك الله في الطيبين، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا برير، يا أباحرب هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله إنا لنحن الطيبون ولكنكم لأنتم الخبيثون^(١).

قصد سيد الشهداء (عليه السلام) بإستشهاد بهاتين الآيتين أن أعداءه الذين أُملئ لهم ليزدادوا في الإثم عكس ظنهم، وليميز الله بذلك الخبيث من الطيب، وهو وأصحابه على الحق.

وقال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): معنى نُملئ: نمهل ونمد في العمر. والملاءة المدة من الدهر، وقيل: نزلت في مشركي مكة، وأخبر الله تعالى أن ذلك التأخير والإهمال، إنما هو إملاء واستدراج لتكثير الآثام. وما مِنْ نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها، أمّا البرّة فلتسرع إلى رحمة الله، وقرأ: ﴿وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٢) وأما الفاجرة فلئلا تزداد إثما، والإملاء لهم تحليتهم، وشأنهم مستعار من أملئ لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء. وقيل: هو إمهالهم وإطالة عمرهم، والمعنى: أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم، إنما نملي لهم جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها، كأنه قيل: ما بالهم يحسبون الإملاء خيرا لهم، فقيل: إنما نملي لهم ليزدادوا

(١) ظ: تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٩ - ٣٢٠، والإرشاد: ٢٦٠، ومسند الإمام الشهيد: ٢ / ٥.

(٢) آل عمران: ١٩٨.

إثماً^(١).

وذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ): لما طيب نفس نبيه في مسارعة الكفار في كفرهم أن ذلك في الحقيقة تسخير إلهي لهم لينساقوا إلى حيث لا يبقى لهم حظ في الآخرة، عطف الكلام إلى الكفار أنفسهم، فبين أنه لا ينبغي لهم أن يفرحوا بما يجدونه من الإملاء والإمهال الإلهي. فإن ذلك سوق لهم بالاستدراج إلى زيادة الاثم، ووراء ذلك عذاب مهين ليس معه إلا الهوان. ثم عطف الكلام إلى المؤمنين فبين أن سنة الابتلاء جارية فيهم لتمام تكميلهم أيضاً فيخلص المؤمن الخالص من غيره، ويتميز الخبيث من الطيب، وقد ظهر من الآية، أولاً: أن قضية تكميل النفوس وإيصالها إلى غايتها ومقصدتها من السعادة والشقاء ممّا لا محيص عنه، وثانياً: أن الطيب والخبثاء في عين أنهما منسوبان إلى ذوات الأشخاص يدوران مدار الإيمان والكفر اللذين هما: أمران اختياريان لهم وهذا من لطائف الحقائق القرآنية التي تنشعب منها كثير من أسرار التوحيد ويدلّ عليها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٢) إذا انضم إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٣). وثالثاً: أن الإيمان بالله ورسوله مادة لطيب

(١) ظ: البحر المحيط، ٣/ ١٢٧ - ١٢٩.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) المائدة: ٤٨.

الحياة، وهو طيب الذات ، وأما الاجر فيتوقف على التقوى والعمل الصالح، ولذلك ذكر تعالى أولاً حديث الميز بين الطيب والخبيث ، ثم فرع عليه قوله: فآمنوا بالله ورسله، ثم لما أراد ذكر الأجر أضاف التقوى إلى الايمان، فقال: وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجرٌ عظيم^(١).

٤ - اشتداد العطش به (عليه السلام) وبأهله يوم عاشوراء :

أجاب الإمام الحسين (عليه السلام) رجل قال له: (آية حرمة من رسول الله لغيرك؟) فقال (عليه السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٢) ثم قال: (والله إنَّ محمداً لمن آل إبراهيم وإنَّ العترة الهادية لمن آل محمد) ثم قال: (مَنْ الرجل؟) فقل: محمد بن الأشعث الكندي فرفع الحسين (عليه السلام) رأسه إلى السماء وقال: (اللهم أرِ محمداً بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعد هذا اليوم ابداً). فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلدغه فمات بادي العورة^(٣).

(١) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ٤ / ٧٩ - ٨٠.

(٢) آل عمران: ٣٣-٣٤.

(٣) ظ: الأمالي، الشيخ الصدوق، ٢٢٢، وروضة الواعظين : الفتال النيسابوري، ١٨٥، وبحار الأنوار: ٣١٧/٤٤، والعباس رائد الكرامة : باقر شريف القرشي، ١٩٥، وموسوعة مقتل الحسين (عليه السلام) : ٤٥٣، ومسند الإمام الشهيد: ٢/ ٢٢.

كان اختيار الإمام الحسين (عليه السلام) هاتين الآيتين لتكون ردًا رادعًا لهذا الشخص من جهة، ومن جهة أخرى أراد أن يبين أنه المقصود بهاتين الآيتين، لأنه من ذرية إبراهيم (عليه السلام).

ذكر العياشي (ت: ٣٢٠ هـ): لما قضى محمد (ﷺ) نبوته، واستكملت أيامه، أوحى الله يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك من الإيمان، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوة في العقب في ذريتك، فإنني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم (عليه السلام)، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ اللَّهَ (جَلَّ وَتَعَالَى) لم يجعل العلم جهلاً ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه لا إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل، ولكنه أرسل رسلاً، من ملائكة فقال له: كذا وكذا فأمرهم بما يحب ونهاهم عما يكره، فقص عليه أمر خلقه بعلمه فعلم ذلك العلم وعلم أنبياءه وأصفياه من الأنبياء والأعوان والذرية التي بعضها من بعض فذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ٥٤﴾. فأمّا الكتاب فهو

النُّبوة، وأمّا الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء في الصفوة، وأمّا الملك العظيم: فهم الأئمة الهداة في الصفوة، وكلّ هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض التي جعل فيهم البقية، وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق، حتى تنقضي الدنيا، وللعلماء وبولاة الأمر الاستنباط للعلم والهداية^(١).

٥ — رده (عليه السلام) على شمر بن ذي الجوشن :

ما إن حلَّ يوم عاشوراء وبدأت المعركة لم يفارق القرآن شفّتي الإمام الحسين (عليه السلام) فهنا ردّ على شمر بن ذي الجوشن بهاتين الآيتين: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبِ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِمَا آتَى اللَّهَ فَعَلَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(٢). ﴿إِنَّا وَلِيُّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ) بسنده: أقبل إلينا منهم رجل فنادى بأعلى صوته يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة، فقال الحسين (عليه السلام): مَنْ هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن فقالوا: نَعَمْ أصلحك الله هو هو، فقال: يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً، ثم نادى: (أيها الناس اسمعوا

(١) ظ: تفسير العياشي: ١ / ١٦٨.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

قولي، ولا تعجلوني حتى أعظمكم بما لحق لكم علي، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ﴿إِنَّ إِلَهِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ فبكى أخواته فأمر أخاه العباس (عليه السلام) وولده علي الأكبر (عليه السلام) بإسكاتهن^(١).

الآية الأولى تخص قوم نوح (عليه السلام)، فقد ذكر محمد رضا مشهدي (ت ١١٢٥ هـ): ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من الجمع. والمعنى: أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم، ثقة بالله وقلة مبالاة بهم. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ في قصدي مستورا، واجعلوه ظاهرا مكشوفًا. ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: من غمة: إذا ستره. أو ثم لا يكن عليكم حالكم غمًا إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾:

(١) ظ: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٢١-٣٢٢، الفتوح: ٥/ ٩٦ هامش رقم ١، نهاية الأرب في فنون الأدب:

٤٣٩/ ٢٠ - ٤٤٠، العباس رائد الكرامة، باقر شريف القرشي، ١٧٨، وموسوعة مقتل الحسين (عليه السلام):

٤٥٢، وخطاب الإستنصار من مكة الى المدينة: ٢٦.

أدّوا. ﴿إِلَيَّ﴾: ذلك الأمر الذي تريدون لي ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني^(١).
والثانية قيل فيها: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ﴾: حافظي وناصري ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ
الْكِتَابَ﴾: أي القرآن... ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، أي: ومن عادته - تعالى -
أن يتولى الصالحين من عباده، فضلا عن أنبيائه^(٢).

وقال الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ): ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ فاعزموا
على ما تريدون. ﴿وَشُرَكَاءَكُم﴾ مع شركائكم واجتمعوا على السعي في
إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفاً من غمّه إذا ستره، ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾: أدوا إلى ذلك الأمر الذي
تريدون لي: ثم ادعوا عليّ. ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني^(٣).

وفي الثانية ذكر الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) قيل: إنّ في ذلك إشارة إلى علة
أخرى، لعدم المبالاة كأنّه قيل: لا أبالي بكم وبشركائكم، لأنّ وليي هو الله
تعالى الذي نزل الكتاب الناطق بأنّه وليي وناصري وبأنّ شركاءكم لا
يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ
يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. أي ومن عادته جلّ شأنه أن ينصر الصالحين من عباده ولا

(١) ظ: كنز الدقائق وبحر العجائب: ٦ / ٨١.

(٢) ظ: م. ن. ٥ / ٢٦٤.

(٣) ظ: التفسير الصافي، ٢ / ٤١٢.

يخذلهم، والمعنى: إنَّ وليي الذي نزل الكتاب المشهور الذي تعرفون حقيقته ومثله يتولى الصالحين ويخذل غيرهم^(١).

ظهر لنا في ضوء تفسير هاتين الآيتين أنَّ استشهاديهما يبيِّن مدى الظلم والقسوة التي تعرض لها الإمام (عليه السلام)، ففي الآية الأولى كان مثل قومه كمثّل قوم نوح (عليه السلام) الذي وجد منهم شتى صنوف العناد والاستكبار، فلم يجد ملجأً غير الله تعالى من تكذيبهم إياه بعدما أدى ما أراده الله تعالى منه، وكذا فعل الإمام الحسين (عليه السلام) فإنَّه قام بكل شيء من النصيح والإرشاد، لكنهم لم يستمعوا إليه وغرّتهم الأمانى عن قول الحق وكانت هذه الآية القرآنية الكريمة هي آخر ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) من الاستشهاد المباشر بالقرآن الكريم قبل شهادته التي بيّن بها تسليمه وانقياده لأمر الله (تعالى).

ثانياً: الاستشهاد القرآني في خطاب أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)

لا جرم أنَّ أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) قد فهموا القرآن خير فهم وتدبروه أفضل تدبر، لأنَّهم عرفوا أنَّ القرآن الكريم والعتره الطاهره لا يفترقان من جهة وأنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو القرآن الناطق الصادق، وأنَّ ما يصدر عنه (عليه السلام) من قول وفعل هو ترجمان للقرآن، وسلوك للمنهج القرآني العظيم. من هنا نظفر بالنصوص القرآنية في الخطاب الحسيني الذي ندّ على

(١) ظ: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ٩١ / ١٤٦.

لسان أصحابه (عليه السلام) من ذلك خطبة أحد أصحابه حنظلة بن أسعد الشباني^(١) الذي خطب بجيش العدو بحشد من الآيات القرآنية، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْقُومُ إِيَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۖ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ۖ ﴿٣١﴾ وَيَنْقُومُ إِيَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ۖ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ ﴿٣٣﴾

قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): لما حكى الله تعالى عن مؤمن آل فرعون، أنه حذر قومه بالعذاب مثل عذاب يوم الأحزاب، فسر ذلك فقال: ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ يعني كعادته مع قوم نوح، وإنما فعل بهم ذلك حين كفروا به، فأغرقهم الله وكقوم هود وهم عاد. وكقوم صالح: وهم ثمود والذين من بعدهم من الأنبياء وأممهم الذين كذبوهم، فأهلكهم الله بأن استأصلهم جزاء على كفرهم. ثم أخبر أنه تعالى لا يريد ظلمًا للعباد، ولا يؤثره لهم. ثم قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَنْقُومُ إِيَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ﴾ هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين

(١) حنظلة بن أسعد : الشباني، وقيل الشبامي، وشبان بطن من همدان من الفحطانية وهو أحد أصحاب الحسين (عليه السلام)، عُدَّ ممن قُتِلَ بين يديه (عليه السلام) يوم عاشوراء بعد قتله للعديد من العدو. ظ: الأبواب : الشيخ الطوسي، ١٠٠، إقبال الأعمال : ابن طاووس، ٣/ ٧٩، وأنصار الحسين (عليه السلام): الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ٨٥، والمفيد من معجم رجال الحديث : محمد الجواهري، ٢٠٢. (٢) غافر: ٣٠ - ٣٣.

بعضاً بالويل والثبور، لما يرى من سوء عقاب الكفر والمعصية. وقيل: هو اليوم الذي يدعى فيه ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانٍ﴾^(١) وقوله: ﴿يَوْمَ تُولَدُونَ مُدْبِرِينَ﴾ معناه منصرفين إلى النار، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي مانع من عذاب ينزل بكم، وشبه بذلك من فعل به ذلك اللطف الذي يمتنع عنده، يقال: عصمه فهو عاصم وذاك معصوم إذا فعل به ذلك اللطفي لا مانع^(٢).

ونُقِلَ أَنَّ الشعب المصري كان في ذلك الوقت يمتاز نسبياً بمواصفات التمدن والثقافة، وقد اطلع على أقوال المؤرخين بشأن الأقوام السابقة، أمثال قوم نوح وعاد وشمود الذين لم تكن أرضهم تبعد عنهم كثيراً، وكانوا على علم بما آل إليه مصيرهم. لذلك كله فكر مؤمن آل فرعون بتوجيه أنظار هؤلاء إلى أحداث التاريخ وأخذ يحذرهم من تكرار العواقب الأليمة التي نزلت بغيرهم، عساهم أن يتيقظوا ويتجنبوا قتل موسى (عليه السلام) يقول القرآن الكريم حكاية على لسانه: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾. ثم أوضح مراده من هذا الكلام بأنني خائفٌ عليكم عن العادات والتقاليد السيئة التي كانت متفشية في الأقوام السالفة. مثل دأب قوم نوح

(١) الإسراء: ٧١.

(٢) ظ: التبيان في تفسير القرآن، ٩/ ٧٤-٧٦.

وعاد وثمرود والذين من بعدهم، لقد نالت هذه الأقوام جزاء ما كانت عليه من الكفر والطغيان، ثم تضيف الآية: ﴿وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ أي يوم تطلبون العون من بعضكم البعض، والمشهور بين المفسرين أن (يوم التناد) من أسماء يوم القيامة، وقد ذكروا أسباباً لهذه التسمية متشابهة تقريباً، فمنهم من قال: إن ذلك يعود إلى مناداة أهل النار لأهل الجنة، كما يقول القرآن، أو أن التسمية تعود إلى مناداة الناس بعضهم لبعض طلباً للعون والمساعدة. وفي عالمنا هذا ثمة أمثلة عديدة على "يوم التناد" مثل الأيام التي ينزل فيها العذاب الإلهي، أو الأيام التي يصل فيها المجتمع إلى طريق مسدود، لكثرة ما ارتكب من ذنوب وخطايا ويصرخ الجميع عندها طالبين للحل والنجاة^(١).

لاريب أن حظلة الشباني (عليه السلام) أراد أن ينصح هذا الجيش المعتدي جيش الضلالة بأن لا يكونوا مثل جيش الأحزاب يوم الخندق الذين نكسوا رؤوسهم وأخذهم الله (عز وجل) بالعذاب والخزي، فضلاً عن ذلك أراد أن يذكرهم ويعود بهم إلى ماحلّ بقوم نوح وعاد وثمرود من عذابات أصنافاً وانواعاً في الدنيا وكذلك في الآخرة حينما يحشرون مع الظالمين.

وإذا مارحنا إلى الكوفة، نجد الحزن والألم يستحوذ على قلوب أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، ممّن لم يسرع في نصرته والدفاع عن أهل

بيته (عليه السلام)، ومن هؤلاء سليمان بن صرد الخزاعي (رضي الله عنه)، إذ نراه يستدل بالآيات الآتية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١١﴾ التَّكْوِينُ الْعِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾.

ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ): عندما نزل سليمان بن صرد الخزاعي هيت نزل هيت كتب رسالة إلى عبد الله بن يزيد والي الكوفة نصها: (بسم الله الرحمن الرحيم للأمر عبد الله بن يزيد، من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلام عليك: أما بعد، فقد قرأنا كتابك، وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي، ونعم الأمير، ونعم اخو العشيرة أنت، والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال، إنا سمعنا الله (عز وجل) يقول في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ اسْتَبَشَرُوا ببيعتهم التي بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم، وقد توجهوا إلى الله وتوكلوا عليه، ورضوا بما قضى الله، ربنا

عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير والسلام عليك ما أتاه هذا الكتاب، قال: استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وأيم الله ليقتلن كراماً مسلمين، ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم، وتكثر القتل فيما بينهم^(١).

وتفسير هاتين الآيتين نقله السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) قال: هي آيات في أغراض متفرقة يجمعها غرض واحد مرتبط بغرض الآيات السابقة، فإنها تتكلم حول القتال فمنها ما يمدح المؤمنين ويعددهم وعداً جميلاً على جهادهم في سبيل الله، ومنها ما ينهى عن التودد إلى المشركين والاستغفار لهم، ومنها ما يدل على توبته تعالى للثلاثة المخلفين عن الخروج للجهاد مع الرسول (ﷺ) ومنها ما يفرض على الناس إن يلزم بعضهم البيضة للتفقه في الدين، ثم تبليغه إلى قومهم إذا رجعوا إليهم، ومنها ما يقضى بقتال الكفار ممن يلي بلاد الاسلام. والله سبحانه يذكر في الآية وعده القطعي للذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بالجنة، ويذكر أنه ذكر ذلك في التوراة والإنجيل كما يذكره في القرآن، وقد قلبه سبحانه في قالب التمثيل فصور ذلك بيعاً، وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بايعين، وأنفسهم وأموالهم سلعة ومبيعاً، والجنة ثمناً، والتوراة والإنجيل والقرآن سنداً للمبايعه، وهو من

(١) ظ: تاريخ الطبري : ٤ / ٤٥٩، والفتوح : ٦ / ٢١٧ هامش رقم ٢، وتجارب الأمم: أحمد بن

مسكويه الرازي، ٢ / ١١٩ هامش رقم ١.

لطيف التمثيل ثم يبشر المؤمنين، بيعهم ذلك، ويهنئهم بالفوز العظيم.

في قوله تعالى: ﴿التَّكْوِينُ الْكَيْدُونَ اللَّهُ.....﴾ إلى آخر الآية، يصف سبحانه المؤمنين بأجمل صفاتهم، فهم التائبون لرجوعهم من غير الله إلى الله سبحانه العابدون له ويعبدونه بألسنتهم فيحمدونه بجميل الشاء، وبأقدامهم فيسبحون في مساجد الله، وبأبدانهم فيركعون له ويسجدون له. هذا شأنهم بالنسبة إلى حال الانفراد، وأما بالنسبة إلى حال الاجتماع فهم أمرون بالمعروف في السنة الدينية وناهون عن المنكر فيها، ثم هم حافظون لحدود الله لا يتعدونه في حالتي انفرادهم واجتماعهم خلوتهم وجلوتهم وقد ظهر بما قررنا: وجه الترتيب بين الأوصاف التي عدها لهم فقد بدأ بأوصافهم منفردين، وهى التوبة والعبادة والسياسة والركوع الخ. وإن المراد بالسياسة ومعناه - السير في الأرض - على ما هو الأنسب بسياق الترتيب هو السير إلى مساكن ذكر الله وعبادته كالمساجد، وإن هذه الصفات الشريفة هي التي يتم بها إيمان المؤمن المستوجب للوعد القطعي بالجنة المستتبع للبشارة الإلهية والنبوية^(١).

ونلاحظ أن السيد الطباطبائي قد أوضح المقصود من الآيتين الكريمتين من خلال تفسيره، وظهر لنا من خلال استشهاد سليمان بن صرد

الخزاعي (رحمته الله) بهذه الآيات الكريمة شدة إقباله وأصحابه نحو الشهادة في سبيل الله، لتقصيرهم في نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) والذي سيذكره الباحث في الفصل الثالث من البحث.

ولابد من القول: إنَّ الاستشهاد القرآنيَّ في ضوء النسق المباشر في الخطاب الحسينيَّ هو أغلب ما ظفرنا به، وإنْ وجد بعض الآيات التي لم يوردها البحث، فهذا يعود لقلة المصادر التي نقلتها أو لوجود قطع في سلسلة السند في تلك الأحاديث فرأى البحث أن ينقل من المصادر المعتبرة فقط، وترك بقية المصادر. حتى يكون النقل والتوثيق حسناً، وفيه حجة ويعطي صورة مثالية للاستشهاد القرآنيَّ في الخطاب الحسينيَّ.

المبحث الثاني

النسق غير المباشر في الاستشهاد بالقرآن الكريم

المطلب الأول: الاستشهاد القرآني (غير النصي)

في هذا المطلب سنتحدث عن الاستشهاد القرآني (غير النصي)، وهو النوع من الاستشهاد بخلاف الاستشهاد القرآني (النصي)، الذي يقوم كما قلنا على الاستشهاد الحرفي (نصيًّا) بالقرآن الكريم.

أما هذا النوع، فيقوم بتقييم مفردة على أخرى في النص المبارك من جهة، وحذف مفردة أو زيادة مفردة من جهة أخرى، وهذه المقبوسات في الخطاب الحسيني تُعطي صورة حيّة للنص القرآني، إذ يجد المتأمل أن النص القرآني حيًّا حركيًّا، بحيوية الاستشهاد القرآني وحركيته، وتجلّى لنا هذا الاستشهاد القرآني في الخطاب الحسيني في فقرتين:

أولاً: خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) :

١ — خطابه (عليه السلام) عند قبر الإمام الحسن (عليه السلام):

نقل الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) :- قال الإمام الحسين (عليه السلام): «رَحِمَكَ

اللهُ أبا محمد، أن كنت لتباصر الحقَّ مظانَّهُ، وتؤثرُ الله عند تَداحُضِ الباطل في مواطنِ التقيَّةِ بِحُسْنِ الرّويَّةِ، وتَسْتَشْفُ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتُفِيضُ عليها يداً طاهرة الأطراف نقيَّة الاسرة، وتردُّ بادرة غُرب أعدائك بِأيسر المؤونة عليك، ولا غرو وأنت ابنُ سلالَةِ النُّبوة، ورضيعُ لبانِ الحكمة، فَإِلَى رُوحِ وَرِيحانِ وَجَنَّةِ نعيم، أعظم اللهُ لَنَا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ لَنَا ولكم السَّلوةَ وحُسْنَ الأسي عنه^(١).

في هذا الدعاء عدة مضامين قرآنية لعل أبرزها قوله (فإِلَى رُوحِ وَرِيحانِ وَجَنَّةِ نعيم) وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾^(٢). هذه الآية من سورة الواقعة وقد ذكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عدة أقوال في فضلها، نقل المجلسي (ت: ١١١ هـ): (بإسناده عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من قرأ الواقعة كل ليلة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر في ليلة البدر)^(٣).

وفي سفينة البحار: (عن الصادق (عليه السلام): من قرأ الواقعة كل ليلة

(١) عيون الأخبار : ٢ / ٢٣٩. وظ : ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) : ابن عساكر، ٢٣٣، وقادتنا كيف نعرفهم : السيد محمد هادي الميلاني، ٥٣٧ - ٥٣٨، والحياة السياسية للإمام الحسين: السيد جعفر العاملي، ١٠٨ هامش رقم ١، وجواهر التاريخ : علي الكوراني، ٣ / ٢٦٥.

(٢) الواقعة : ٨٩.

(٣) بحار الأنوار : ٨٤ / ١٨٠.

جمعة، أحبه الله تعالى وأحبه إلى الناس أجمعين، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا فاقةً ولا آفةً من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه السورة لأمر المؤمنين (عليه السلام) خاصة لم يشركه فيها أحد^(١).

وتفسير هذه الآية القرآنية بلحاظ الآية التي سبقتها وهي من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ﴾^(٢).

أجاد ناصر مكارم الشيرازي في جمعه لكل الأقوال فيها فقال: هذه الآيات جسدت حالة التفاوت بين البشر في حالة الاحتضار، وكيف أن قسماً منهم يلفظون أنفاسهم بهدوء وراحة في تلك اللحظات الصعبة، وآخرين تلوح لهم من بعيد النار الحامية، ويسيطر عليهم الخوف والاضطراب والهلع فيلفظون أنفاسهم بصعوبة بالغة، والروح في الأصل بمعنى التنفس، والريحان بمعنى النبات أو الشيء ذي العطر، ثم اصطلح على كل شيء باعث للحياة والراحة، وبناء على هذا فإن الروح والريحان الإلهيين يشملان كل وسائل الراحة والطمأنينة للإنسان، وكل نعمة وبركة، وقال آخرون: الروح بمعنى النظر إلى وجه الله سبحانه، والريحان الاستماع إلى كلام الله ويمكن القول أن جميع هذه التفاسير مصاديق لهذا المفهوم الكلي والجامع، والجدير

(١) علي النمازي الشاهرودي: ٤٧٦ / ٨.

(٢) الواقعة: ٨٨ - ٨٩.

بالملاحظة أنَّ الحديث عن "جنة النعيم" جاء بعد ذكر الروح والريحان، كما نقرأ في حديث للإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره لهذه الآية حيث قال: 'فأما إن كان من المقربين فروح وريحان يعني في قبره (وجنة نعيم) يعني في الآخرة' (١) وقد يستفاد من هذا أن الروح والريحان يكون من نصيب المؤمنين في الاحتضار والقبر والبرزخ، وأما جنة النعيم ففي الآخرة (٢).

بعد عرض كل الآراء التي ذُكرت سواء من الأئمة في فضل هذه السورة، أو من صاحب تفسير الأمثل، تبين للباحث أنَّ دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) بحق أخيه الحسن (عليه السلام) كان خير عزاء يُعزي به نفسه أولاً، والمؤمنين ثانياً بفقد كريم أهل البيت الحسن (عليه السلام)، وأنَّ المقصود بالروح والريحان هي كل الأشياء التي تبعث على الراحة والاطمئنان للإنسان من لحظة وفاته الى ما لانهاية وهي جنة النعيم التي يكون فيها الخلود الأبدي.

٢— احتجاج الإمام الحسين (عليه السلام) على معاوية:

نقل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): كتب إليه الحسين (عليه السلام) يرد على كتابه:
أما بعد فقد بلغني كتابك، تذكر أنَّه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب،
وأنا لغيرها عندك جدير، فإنَّ الحسنات لا يهدي لها ولا يردُّ إليها إلا الله. وأما

(١) ظ: بحار الأنوار: ٦٥ / ١٠.

(٢) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٥٠٨ - ٥١٠.

ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاها إليك الملائقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله! إنني لخائفٌ لله في ترك ذلك، وما أظنُّ الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة، وأولياء الشياطين. ألسْتَ القاتل حُجْرَ بن عديٍّ^(١) أخا كندة، والمصلين العابدين الذين كانوا يُنكرون الظلم ويستعظمون البدع... أو لستَ قاتل عمرو بن الحمق^(٢) صاحب رسول الله (ﷺ) العبد الصالح الذي أبلته العبادة، بعد ما أمتته وأعطيته من عهود الله ومواريقه، أو لستَ المُدعي زياد بن سُميَّة^(٣) المولود على فراش عُبيد ثقيف،

(١) هو حجر بن عدي بن ربيعة له صحبة وشهد حروب علي (عليه السلام) قتله معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ هـ في مرج العذراء قرب دمشق وقبره فيها. ظ: الأنساب، السمعاني، ٢/ ١٨٠ هامش رقم ١، ظ: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٤/ ٩١، وظ: اللباب في تصريف الأنساب: ابن الأثير: ١/ ٢٥٧.

(٢) عمرو بن الحمق الخزاعي، صحب النبي الأعظم وحفظ عنه أحاديث، وحظي بدعائه (ﷺ) له لما سقاه لبناً بقوله: (اللهم أمتعه بشبابه) فاستكمل الثمانين من عمره ولم ير شعرة بيضاء، وهو من أصحاب علي (عليه السلام) استشهد على يد أصحاب معاوية سنة ٥١ هـ، ورأسه أول رأس حمل في الإسلام وقبره مشهور بظاهر الموصل يزار. ظ: اللباب في تهذيب الأنساب: ٢/ ١١٩، ومعجم البلدان: ٤٩٨/٢.

(٣) زياد بن أبيه، ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ، فكان زياد عضده الأقوى. استعمله وضم إليه العراقيين الكوفة والبصرة، فجعل يتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وصلبهم في جذوع النخل (مثل جويرية صاحب أمير المؤمنين)، وسمل أعينهم

فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (ﷺ): «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»^(١). فتركت سنة رسول الله تَعَمُّدًا، وتبعت هواك بغير هُدىٍ من الله... أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سُمَيَّة أَنَّهُمْ كانوا على دين علي (عليه السلام) فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي (عليه السلام) سرُّ الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين، ولا أعلم نظرًا لنفسي ولديني ولأمة محمد (ﷺ) وعلينا أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربته إلى الله، وإن تركته فإنني أستغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. إلى أن يقول: فابشريا معاوية! بالقصاص، وأستيقن بالحساب، واعلم أن الله تعالى كتابًا ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٢). وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أوليائه على التُّهم، ونقل أوليائه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حَدَث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك،

وطردهم وشردهم حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد. ظ: ميزان الاعتدال: الذهبي، ٢: ٨٦، وظ: بحار الأنوار، ٤٤/ ١٢٥.

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ١/ ٤٠٨، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٢١١، وأحاديث أم المؤمنين عائشة:

مرتضى العسكري، ١/ ٣٢٥، وموسوعة أحاديث الشيعة: الشيخ هادي النجفي، ٨/ ٣٥٣.

(٢) الكهف: ٤٩.

وبترت دينك، وأخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي الحليم^(١).

ضمَّ هذا الكتاب الكثير من المواعظ والحكم التي جاد بها الإمام الحسين (عليه السلام) على معاوية وموضع البحث هو المضامين المستوحاة من الآيات القرآنية بصورة غير مباشرة مثلاً في قوله (فَإِنَّهُ إِنَّمَا رَقَّاهُ إِلَيْكَ الْمَلَائِقُونَ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمِ) فهو مستشف من قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(٢). وأراد بهذا الاحتجاج توجيه رسالة إلى معاوية بأن الكلام الذي يُقَلَّ له عن الإمام الحسين (عليه السلام) هو من أشخاص ذمهم الله في القرآن الكريم.

وفسّر الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) هذه الآية الكريمة: ﴿هَمَّازٍ﴾ أي وقّاع في الناس بما ليس له أن يعي بهم به. والأصل فيه الدفع بشدة، ومنه الهمزة حرف من حروف المعجم، وهي همزة تخرج من الصدر بشدة اعتماد، وقال ابن عباس: الهمّاز المُعْتَاب. وقوله ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ فالنميمة التضريب بين الناس بنقل الكلام يغلظ لقلوب بعضهم على بعض ومنه النّمّام المشموم، لأنه يجد ريحه كالمخبر عن نفسه، والنميمة مصدران.

(١) ظ: الاحتجاج: ٢٠-٢١، والعوالم: ٩١-٩٢، والغدير: الشيخ الأميني، ١٠ / ١٦٠-١٦١،

وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٣١٢-٣١٣

(٢) القلم: ١١.

وهو نقل الأحاديث بالتضريب: نم ينم نيمًا ونميمة^(١).

وقال حسن المصطفوي: النمّ: إظهار أمر فيه فساد، والنميمة: ما يظهر من كلام أو أمر فيه فساد. والمشاء مبالغة في المشي كالحلّاف في الحلف والهمّاز في الهمز. والمراد من يمشى كثيرًا بسبب نميم ظهره أي في إشاعته. فالحلف آية مهانة في الرأي وضعف في التفكير، ثمّ يبلغ إلى الضر والتعيب وسوء النظر والظنّ، ثمّ يبلغ إلى مقام العمل ويظهر في الخارج بصورة المشي في إشاعة النميمة. فظهر أنّ المشي إذا كان بقصد سوء: فهو محرّم وممنوع، ولا يخفى لطف التعبير بالمشي في مورد النميمة: فإنّ المشي أتمّ سبب في الإظهار والإشاعة، ولا سيّما إذا كان فيه مبالغة وكثرة^(٢).

بعد ذكر رأي الشيخ الطوسي وحسن المصطفوي في تفسير هذه الآية تبين دقة اختيار الألفاظ المناسبة من قبل الإمام الحسين (عليه السلام) وتوجيهها إلى معاوية لإفهامه معتمدًا على القرآن الكريم. وفي الكتاب مضامين قرآنية أخرى ففي قوله (عليه السلام): (وَفِي أَوْلِيَائِكَ الْفَاسِقِينَ الْمُلْحِدِينَ، حِزْبِ الظَّالِمَةِ، وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ) وهو من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾^(١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا^(٣).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١٠ / ٧٧.

(٢) ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ١١ / ١١٩.

(٣) - الجن: ١٤ - ١٥.

قال أبو السعود (ت: ٩٥١هـ): في تفسير هاتين الآيتين: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون على طريق الحق الذي هو الإيمان والطاعة يقال قسط الرجل إذا جار... ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ﴾ الإشارة إلى من أسلم والجمع بإعتبار المعنى ﴿تَحَرَّوْا﴾ توخوا وقصدوا ﴿رَشَدًا﴾ عظيمًا مبلغهم إلى الدار للثواب ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾. قوله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم الجائرون عن سنن الإسلام ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقد بهم كما تُوقد بكفرة الإنس^(١).

وإن كان نزول الآيتين بحق الجن ، فهذا لا يمنع أن يوصف بهما كل شخص لا يسير على طريق الحق، وهي الرسالة التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) إيصالها إلى معاوية لأنَّ خصوص السبب لا يمنع عموم الآية. وفي هذا الكتاب أيضًا لاحظ البحث تذكيره (عليه السلام) معاوية بقتل الثلة الطيبة من الأصحاب كما بيّنا في سيرتهم، والقرآن الكريم يصرح جليًا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢). هذا عقاب من قتل مؤمنًا واحدًا فكيف بمن قتل

(١) ظ: تفسير أبي السعود : ٤٥ / ٩ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألويسي،

أكثر من ذلك؟ والآية تقول: إِنَّ عَقُوبَةَ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ الْعَمْدِ هِيَ (جزاؤه جهنم خالداً فيها، وعليه غضب الله، ولعنة الله عليه، وآخرها العذاب الأليم)، أمّا قيام معاوية بنسب زياد إلى أبي سفيان وهو غير معروف النسب كما ذكرنا وإن كان في الإسلام لا يجوز نسبة المتبني إلى متبنيه فكيف بمجهول النسب قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

ذكر الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) قال الله سبحانه: ما جعل الله من تدعونه ولداً، وهو ثابت النسب من غيركم، ولداً لكم، أمّا والدعي لا يصير بالتبني ابناً... ويدل عليه ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الذين ولدوهم، وانسبوهم إليهم، أو إلى من ولدوا على فراشهم ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: أعدل عند الله قولاً وحكماً. وروى سالم عن ابن عمر، قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: لم تعرفوا بأعيانهم ﴿فاِخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: فهم إخوانكم في الملة، فقولوا: يا أخي. ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ أي: بنو أعمامكم. ويجوز

أن يكون المراد أولياءكم في الدين في وجوب النصرة. وقيل: معناه معتقوكم ومحارروكم إذا أعتقتموهم من رق، فلكم ولاؤهم. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ أي: ليس عليكم حرج في نسبته إلى المتبني، إذا ظننتم أنه أبوه، ولم تعلموا أنه ليس بابن له، فلا يؤاخذكم الله به. ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: ولكن الإثم والجناح فيما تعمدت قلوبكم، يعني: في الذي تعمدته قلوبكم، وقصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم، فإنكم تؤاخذون به. وقيل: ما أخطأتم قبل النهي، وما تعمدتموه بعد النهي، عن مجاهد ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف من قولكم ﴿رَجِيمًا﴾ بكم. وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه قال: (من اتسب إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله^(١)) وفي هذه الآية دلالة أنه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب^(٢).

٣ — جواب الإمام الحسين (عليه السلام) على رسالة يحيى بن سعيد :

ذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ): (أما بعد فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم

(١) ظ: ينابيع المودة: القندوزي، ٢ / ٤٧١. وفيه زيادة في متن الحديث (وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

(٢) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٨ / ١١٨ - ١٢٠.

يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبري فجزيت خيرا في الدنيا والآخرة والسلام^(١).

استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) توجيه رسالة لعامل يزيد بأنه مع القرآن ومخالفة ذلك مذكور في الآية القرآنية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢).

المجرمون الذين يعارضون رسول الله (ﷺ) لأنه امرهم بالتقوى ولم يرضخ لضغوطهم ، لابد أن يعرفوا أنهم يبارزون الله، وسيتهي بهم الأمر إلى الكفر وإلى جهنم، لأنهم ترددوا وانشقوا عن قيادته ، ووقفوا في الجبهة المعادية له وللمؤمنين ، فحكموا على أنفسهم بالكفر، وهذا الانذار يجعل الإنسان يفكر ملياً قبل أن يقدم على مقاومة القيادة بسبب تصلب القيادة في تطبيق القانون عليه ، وعدم استجابتها لضغوط أهل المعاصي في الأمة ، وبذلك تكون القيادة قوية وقادرة على تطبيق القانون على الجميع ، وتطبيق نظام السماء بالعدل^(٣).

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٢ ، وقادتنا كيف نعرفهم : ٣ / ٦٠٢ ، ومعالم المدرستين : ٣ / ٥٩ ،

وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٤٠٣ .

(٢) النساء: ١١٥ .

(٣) ظ: من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، ٢ / ١١٩ - ١٢٠ .

استطاع الإمام الحسين (عليه السلام) الرد على الرسالة بمضامين قرآنية تبينت من خلال التفسير وهي: طاعة الله ورسوله وعدم عنادهما، واتباع طريق المؤمنين وهو طريق الحق الذي يتبعه المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله بعدما توضح لهم إنه لا طريق للنجاة سواه، وها هو الإمام الحسين (عليه السلام) سائرٌ عليه لأنه طريق آبائه وأجداده الذين سطروا أعظم البطولات فيه، وكانوا بحق قدوةً حسنةً يحتذى بها في كل مجالات الحياة، ومن يخالفهم فيحشر مع من تولاها سواء كان بشر أو غيره، وفوق ذلك سوف يصلية الله جهنم عقوبة لأفعاله السيئة وكانت هي المصير السيء الذي ينتظره.

٤ — كلامه (عليه السلام) مع عمرو بن لوذان :

نقل الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ): "ثم سار حتى مر ببطن العقبة فنزل عليها، فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمرو بن لوذان، فسأله: أين تريد؟ فقال له الحسين (عليه السلام): "الكوفة" فقال الشيخ: أنشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال، ووطؤوا لك الأشياء، فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإنني لا أرى لك أن ترجع، فقال له: (يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره)، ثم قال (عليه السلام): (والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا

سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل فرق الأمم))^(١).

يلاحظ في رد الإمام (عليه السلام) في قوله: (ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره) المضمون القرآني من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢). ومع أن هذه الآية نزلت بحق النبي يوسف (عليه السلام) إلا أن حكمها عام، ذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ): وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمعنى أن كل شأن من شؤون الصنع والإيجاد من أمره تعالى، وهو تعالى غالب عليه وهو مغلوب له مقهور دونه يطيعه فيما شاء، ينقاد له فيما أراد، ليس له أن يستكبر أو يتمرد فيخرج من سلطانه كما ليس له أن يسبقه تعالى ويفوته، وبالجملة هو تعالى غالب على هذه الأسباب الفعالة بإذنه يحمل عليها ما يريد، فليس لها إلا السمع والطاعة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لحسابهم أن الأسباب الظاهرة مستقلة في تأثيرها فعالة برؤوسها فإذا ساقطت الحوادث إلى جانب لم يحولها عن

(١) الإرشاد: ٢٤٨، وبحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧٥، والعوالم: ٢٢٥، والأئمة الاثنا عشر: الشيخ

السبحاني، ٨٦.

(٢) يوسف: ٢١.

وجهتها شيء وقد أخطأوا^(١).

وبلحاح ما تقدم فإن الإمام (عليه السلام) قد أبان مصيره قبل وقوعه وهو القتل إلا أنه سائر رغم ذلك نحو الشهادة لتصحيح المسار الذي اختطه أعداء الدين، بعدها سينالوا عقابهم في الدنيا على يد أرذل الناس وهو ما حصل لهم فعلاً.

٥ — خطبة الإمام الحسين (عليه السلام) على جيش عمر بن سعد:

نقل الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): لما استكف الناس بالحسين (عليه السلام) ركب فرسه، واستنصت الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: تباً لكم، أيتها الجماعة! وترحاً وبؤساً لكم، حين إستصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحششتهم علينا ناراً أضر منها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلّبا على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدّبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها سفهاً وضلّة، فبعداً وسحقاً لكم يا عبيد الأمة [لطواغيت هذه الأمة! وبقيّة الاحزاب ونبذة الكتاب، ومُطفئي السّنن، ومؤاخي المستهزئين الذين جعلوا القرآن عِصينَ، ... ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد [ركز] تركني بين [إثنتين] السّلة والدّلة، وهيهات له ذلك

(١) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ١١ / ١١١ - ١١٢.

مَنِّي! هيهات مِنَّا الذَّلَّةُ! يَا بِي اللَّهِ ذلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحَجُورٌ طَهَّرَتْ وَجُودُ طَابَتْ، أَنْ يُؤَثَّرَ طَاعَةُ اللَّئَامِ عَلَى مِصَارِعِ الْكَرَامِ، أَلَا وَإِنِّي زاحفٌ بهذه الأسرَّةِ عَلَى قِلَّةِ الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ، وَخِذْلَةِ النَّاصِرِ^(١).

تضمنت هذه الخطبة إشارات عديدة إلى القرآن الكريم: سيتطرق إليها الكتاب بشيء من الاختصار، وقد ورد في القرآن الكريم سورة الأحزاب، وفيها لفظة الأحزاب ثلاثة مرات في الآيتين: الأولى: قوله تعالى ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنَّ الْأَحْزَابَ يَوَدُّونَ أَنْ هُمْ بِأَدْوَمٍ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢). والثانية: قوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٣)، ولا يخفى أن هذه الآيات ترتبط بمعركة "الأحزاب" وحوادثها المرعبة، وانتصار المسلمين المعجز على الكفار، وإعاقات وتخرصات وتعذر المنافقين ونقضهم لعهودهم، وقد بينت في هذا المجال قوانين رائعة وجامعة تبين مدى قوة المسلمين من جهة وخسارة المنافقين^(٤).

(١) ظ: الاحتجاج، ٢ / ٢٤، وتحف العقول: الحراني، ١٧٣، واللّهوف في قتلى الطفوف: ٥٨،

وخطاب الاستنصار من مكة إلى المدينة: ٣١، ومسند الإمام الشهيد: ٢٩ / ٢.

(٢) الأحزاب: ٢٠.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

(٤) ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣ / ١٥٤-١٥٧.

وتعد معركة الأحزاب من أهم حوادث تاريخ الإسلام، فهي نقطة انعطاف في تاريخ الإسلام، وقلبت موازين القوى بين الإسلام والكفر لصالح المسلمين، وكان ذلك النصر مفتاحاً للانتصارات المستقبلية العظيمة، فقد انقصم ظهر الأعداء في هذه الغزوة، ولم يقدرُوا بعد ذلك على القيام بأي عمل مهم.

وأفرزت مخططات الأعداء ونواياهم، ويتحدث القرآن في نهاية المطاف عن المؤمنين الحقيقيين، ومعنوياتهم العالية ورجولتهم وسائر خصائصهم في الجهاد الكبير^(١).

أما نتائج حرب الأحزاب فقد كانت نقطة انعطاف في تاريخ الإسلام، قلبت كفة التوازن العسكري والسياسي لصالح المسلمين إلى الأبد، ويمكن تلخيص النتائج المثمرة لهذه المعركة في فقرتين :

أولها: فشل مساعي العدو، وتحطم قواه ونسيان الذكرى الأليمة لهزيمة أحد، وكشف المنافقين، وارتفاع معنويات المسلمين نتيجة للمعجزات العظيمة التي رأوها في هذه المعركة، ومن ثمَّ قوة المسلمين، وازدياد هيبتهم في قلوب الأعداء.

والأخرى: تثبيت مركز النبي (ﷺ) أي داخل المدينة وخارجها تهية

الأرضية لتصفية المدينة وانقاذها من شر بني قريظة^(١).

بعد ذكر معركة الأحزاب ونتائجها تبين للبحث أن هذه المعركة قد ميزت المؤمن الحقيقي من غير الحقيقي، وتبين الحق من الباطل، بلحاظ كثير من الآيات فيها لم يخض البحث في تفسيرها منعاً للإطالة، لكن المميز هو إختيار الإمام الحسين (عليه السلام) لإطلاق تسمية (بقية الأحزاب) على جيش العدو وهم فعلاً بقية من تلك الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله (ﷺ) سابقاً ثم اجتمعوا على حفيده الإمام الحسين (عليه السلام) بعد ذلك وهدفهم واحد هو القضاء على الإسلام وعلى الشخصية التي تمثل الإسلام في ذلك الزمان وهو الإمام الحسين (عليه السلام).

ولم يكتف الإمام بإطلاق هذه التسمية عليهم بل زاد عليها بقوله (نبذة الكتاب) وهو مستشف من الآية القرآنية: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ذكر علي الحائري الطهراني: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ولما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي (ﷺ) ﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني محمد (ﷺ) عن

(١) ظ: م. س، ١٣ / ٢١٥.

(٢) البقرة: ١٠١.

أكثر المفسرين ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي هو معترف بنبوّة موسى (عليه السلام) وأنّ التوراة بشرت بمقدم محمّد (ﷺ) الذي كان مجيؤه تصديقاً للتوراة ﴿بَدَأَ فِرْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي ترك والقي طائفة منهم. لأنّه أراد علماء اليهود ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد به القرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن تركهم العمل به، فحيثئذ المراد: التوراة، ادرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضة ولم يحلّوا حلاله ولم يحرموا حرامه، وكتموه، بغياً وطمعاً في الرئاسة، أو المراد كأنهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب تبين أنّ المقصود بأهل الكتاب الذين نبذوا القرآن الكريم: هم اليهود ولا يخفى تعبير القرآن الكريم عن اليهود في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيّينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١). فالمؤامرات التي حاكها اليهود ضد الإسلام منذ نزول القرآن الكريم وإلى وقتنا الحاضر ما زالت مستمرة، إذ إنّ تمويل الجماعات الإرهابية التي تتهجم بين مدة وأخرى على بلدنا العراق الحبيب هو من تمويل أمريكا وإسرائيل والمتحزبين معهم، وتشبيه العصابة التي

(١) ظ: تفسير مقتنيات الدرر: ١ / ٢٤٩.

(٢) المائدة: ٨٢.

حاربت الحسين ب (نبذة الكتاب) مناسب لما فعلوه من أمر وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ثانياً: خطاب السيدة زينب بنت علي (عليها السلام) :

بعد انتهاء معركة الطف الأليمة باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس (عليه السلام) والثلة الطيبة من أصحابهما (رضي الله عنهم) ظن البعض أن صوت الإمام الحسين قد انقطع باستشهاده، إلا الحوراء زينب (عليها السلام) وفي وسط قصر الكوفة وعند الطاغية عبيد الله بن زياد استطاعت أن تبين للناس أمور كانت خافية على الكثير منهم، فقالت خطبتها العرمرم التي سيقوم البحث بتوضيح الإستيحاءات التي أخذتها الحوراء زينب (عليها السلام) من القرآن وترك توضيح المفردات الأخرى، ننقل منها ما ذكره الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): أومت زينب (عليها السلام) إلى الناس بالسكوت. قال حذيم الأسدي: لم أر والله أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ على لسان علي (عليه السلام)، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله (ﷺ) - أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، والخذل !! ألا فلا رقأت العبرة ولا هدت الزفرة، إنما مثلكم كمثلي التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم هل فيكم إلا الصلف والعجب، والشنف والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء أو

كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا بس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أخي؟ ! أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، أفعجبتم أن تمطر السماء دمًا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إلي شيخ في جانبي يبكي، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير النساء^(١).

ثم قالت: (إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) وهو مستشعر من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۖ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ﴾^(٢).

وفي تفسير هذه الآية الكريمة نقل الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) : ﴿وَلَا

(١) ظ: الاحتجاج: ٢/ ١٩- ٢٠، واللهم: ٨٦، وبحار الأنوار: ٤٥/ ١٠٩، ولوائح الأشجان: ٢٠٠، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٦٩، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، ١/ ١٢٣، وعلى خطى الحسين (عليه السلام): الدكتور أحمد راسم النفيس، ١٣٨.

(٢) النحل: ٩٢.

تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا ۖ أَي: لا تكونوا كالإمرأة التي غزلت، ثم نقضت غزلها من بعد إمرار وفتل للغزل، وهي امرأة حمقاء من قریش، كانت تغزل مع جواريتها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهنَّ أن ينقضنَّ ما غزلنَّ، وما يزال ذلك دأبها، واسمها ربيعة بنت عمرو بن كعب، وكانت تسمى خرقاء مكة. وقيل: إنه مثل ضربه الله تعالى، شبه فيه حال ناقض العهد، بمن كان كذلك أنكاثاً جمع نكث: وهو الغزل من الصوف والشعر، يبرم، ثم ينكث، وينقض، ليغزل ثانية تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أي: دخلاً وخيانةً ومكرًا، وذلك أنهم كانوا يخلفون في عهودهم، ويضمرون الخيانة. وكان الناس يسكنون إلى عهدهم، ثم ينقضون العهد، فقد اتخذوا أيمانهم مكرًا وخيانةً أن تكون أمةً هي أربى من أمة أي: لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم، وأمة أعلى من أمة ولا تنكثوا أيمانكم متخذوها دغلاً، وغدرًا، لمداراتكم قومًا هم أكثر عددًا ممن حلفتهم له، ولقلتكم وكثرتهم، بل عليكم الوفاء بما حلفتهم، والحفظ لما عاهدتم به^(١).

وبلحاظ الآية التي ذُكرتْ أرادت الحوراء زينب (عليها السلام) تذكير أهل الكوفة بالعهود والمواثيق التي أعطوها للإمام الحسين (عليه السلام) ثم نقضوها لأسباب شتى لا تتم عن شيء يذكر، ومثلما فعل القسم الأكبر منهم بأبيها

الإمام علي (عليه السلام) وأخيها الإمام الحسن (عليه السلام) من قبل.

ثم أتت بمضمون قرآني آخر وهو في قولها: ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون) وهو مستوحى من قوله تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾^(١).

ذكر علي الطهراني: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي من اليهود يتولّون الَّذِينَ كَفَرُوا يريد كفّار مكّة عنه بذلك كعب بن الأشرف وأصحابه حين استجاشوا مع المشركين على رسول الله (ﷺ)، ثم قال تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي بئس ما قدّمت أنفسهم لهم من العمل لمعاده في الآخرة ﴿ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ أي موجب سخط الله والخلود في العذاب لأنّ نفس السخط المضاف إلى العذاب ثم الخلود فيه^(٢).

فقرنت الحوراء زينب (عليها السلام) العمل الذي قام به أهل الكوفة بعمل اليهود، والموجب لسخط الله والعذاب في الآخرة مع الخلود فيه. وهنالك التفاتة قرآنية أخرى ذكرتها في قولها: (فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً) من قوله

(١) المائدة: ٨٠.

(٢) ظ: تفسير مقتنيات الدرر، ٦٦/٤.

تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله (ﷺ)، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاءً لعملهم. وقيل: فليضحكوا قليلاً في الدنيا وما شاءوا، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع، فذلك الكثير، وقيل: من هم ؟، قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً^(٢).

شبهت الحوراء زينب (عليها السلام) بكاء أهل الكوفة ببكاء الذين تخلفوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى مع الرسول (ﷺ) وهي تعجبت من بكائهم (أتبكون!) فما كان بكاءهم إلا رياءً ونفاقاً وليس بكاءً حقيقياً لتفاعلهم مع كلامها الذي قالته، ثم ذكرتهم بالآية القرآنية التي بين البحث تفسيرها لانطباقها على فعلهم الدنيء هذا. ثم قالت: (وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة) وأقتنصتها من الآية القرآنية ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنَا نَصِيرًا عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ

(١) التوبة: ٨٢.

(٢) ظ: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ١٠ / ٢٥٧ - ٢٥٩.

أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقًّا
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ^(١).

قلت هذه الآيات في سياق قصة النبي موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل وطلبهم منه أن ينزل عليهم مجموعة من الأطعمة بدل المن والسلوى، طلب بني إسرائيل الخضروات والخيار والثوم والعدس والبصل ليتخلصوا من الطعام الواحد، لأن الجماعة البشرية قد تمر بمرحلة يتعارض فيها هذا الأساس الهام مع متطلبات الإنسان من الطعام والشراب واللذائذ الأخرى. وهنا تصبح أمام خيارين، إما أن تنغمس في اللذات وتترك قيمها وشرفها، أو تضحي بلذاتها من أجل إنسانيتها وكرامتها. ولا بُدَّ من الإشارة إلى أن حقيقة حب التنوع استغلها الطامعون والمستعمرون دومًا، ليدفعوا الشعوب إلى هاوية حياة استهلاكية شهوانية هابطة، يعيش الأفراد فيها بين المعلن والمضجع، ناسين شخصيتهم الإنسانية، وغافلين عن النير الذي يطوق أعناقهم... وتفيد الآية الكريمة أن بني إسرائيل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله لعاملين: أولهما لكفرهم بآيات الله، وانحرافهم عن خط التوحيد، والآخر: لقتلهم الأنبياء بغير حق. وهما سببًا لشقاوتهم

وتعاستهم^(١).

وخير مثال على ذلك القوم الذين حاربوا الإمام الحسين (عليه السلام) فتعاقب الحكام الظلمة عليهم واحدًا تلو الآخر لانحرافهم عن خط التوحيد الذي خطه الإمام بثورته التي أراد فيها محاربة الظلم وإحقاق الحق، وكان حالهم كحال بني إسرائيل الذين استبدلوا الذي هو أدنى (البقل، القوم، العدس، البصل) بالذي هو خير عند الله (المن والسلوى) فهؤلاء استبدلوا ريحانة رسول الله الإمام الحسين (عليه السلام) بابن الطلقاء يزيد بن معاوية فكانت عاقبتهم مثل عاقبة بني إسرائيل الذين نزل الله عليهم أنواع العذاب بسبب أفعالهم الدنيء هذا.

وختمت الحوراء زينب (عليها السلام) خطبتها بقولها (إِنَّ رَبَّكَ لَنَا وَلَهُمْ لَبِالْمُرْصَادِ) وهو مُسْتَشَفٌّ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾^(٢)، والمعنى: أنه يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به. وقيل: أي على طريق العباد لا يفوته أحد. فروي عن ابن عباس قال: إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ سَبْعَ قَنَاطِرٍ، يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ أَوَّلِ قَنْطَرَةٍ عَنِ الْإِيمَانِ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ تَامًّا جَازَ إِلَى الْقَنْطَرَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يَسْأَلُ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الثَّالِثَةِ، ثُمَّ يَسْأَلُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا جَازَ إِلَى الرَّابِعَةِ. ثُمَّ يَسْأَلُ عَنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنْ جَاءَ بِهِ جَازَ

(١) ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) الفجر: ١٤.

إلى الخامسة. ثم يسأل عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما جاز إلى السادسة. ثم يسأل عن صلة الرحم، فإن جاء بها جاز إلى السابعة. ثم يسأل عن المظالم، وينادي مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت، فيقتص للناس منه، يقتص له من الناس، فذلك معنى بالمرصاد، وقيل: لِبَالْمِرْصَادِ يعني جهنم، عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرحم، وقنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرب (ﷻ)، قلت : أي حكمته وإرادته وأمره^(١).

وبعد الانتهاء من تفسير هذه الآية الكريمة توضح سبب ذكر السيدة زينب (عليها السلام) لهذه الكلمات لتكون ختامًا لهذه الخطبة التي رفعت الغشاوة عن عيون الحاضرين، ومن خلال التفسير السابق للقرطبي توضّح أنّ أحد الأسباب الموجب للعذاب هو قطع الرحم فكيف بأمة قطعت رَحِم ابن بنت نبيها، وسبيت نساؤه وقتلت أطفاله..... وغيرها من الأمور التي يندى لها جبين كل غيور.

فكان خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) قد تمكن ومن خلال الأدوات التي اشتمل عليها هذا الخطاب من تغيير البنية الفكرية واصلاحها، وتغيير اتجاهها من الميل لبني أمية إلى الإسلام الحقيقي المحصور في الثقلين كتاب الله وعتره رسول الله (ﷺ) ؛ ومن ثمّ تحقق لدى العقيلة زينب (عليها السلام) ومن

قبلها سيد الشهداء (عليه السلام) في مشروعه الإصلاحية لأمة جده المصطفى (عليه السلام) ما أرادا، ومما يدل على تحقيق هذه النتيجة هو مجموعة من الحوادث التي بدأت تتكاثر مثل كرة الثلج، لتصحيح الواقع الفاسد، ولأنّ الظلم كان كبيراً والخراب كان عظيماً، فقد احتاجت النتائج في ظهورها وقتاً ليس بالقصير، مما أوهم البعض بأنّ خطاب العقيلة زينب (عليها السلام) وخروج الإمام الحسين (عليه السلام) وتضحيتهم العظيمة لم يكونا قد حققا أهدافهما وهذا يكشف عن الجهل أو التدليس للحقائق وكل هذا لا يغير من الواقع شيئاً، فقد تأثر الفكر الإنساني عموماً بهذه القضية وانجذبهم إلى أهدافها وتعاطفهم مع تضحياتها مما جعلها مدرسة ينهل منها أهل الفكر والعلم وعشاق الحرية والكرامة والعزة^(١).

فكانت الحوراء زينب (عليها السلام) رغم فقدتها لأعز أحبّتها في معركة الطف الأليمة مثلاً للمرأة الصابرة المحتسبة، فوقفت كالطود الشامخ بوجه ابن زياد وزبانيته، فكانت الإعلامية الأولى في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال كشف الحقائق الخافية على الكثير من الناس.

وتبيّن للبحث في هذه الخطبة شدة تأثير الحوراء زينب (عليها السلام) بالقرآن الكريم من نواحي عدة، فهي تعاملت مع النص القرآني تعاملًا طبعياً حتى بأن

(١) ظ: دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد، نبيل الحسيني، ١٩٦ -

للسامع أنّها كانت حافظة وفاهمة له من خلال اختيارها الآيات القرآنية التي توافق الحالة التي قالت فيها خطبتها، مثل: نقضهم للعهود والمواثيق، وولاية الكافرين الموجبة لسخط الله وعذابه المُخلد، والبكاء الكاذب الذي هو نوع من أنواع النفاق، واستبدال الذي هو أدنى (يزيد) بالذي هو خير الإمام الحسين (عليه السلام).

المطلب الثاني: الدلالات والمضامين القرآنية. —

ستكلم في هذا المطلب عن دلالات ومضامين قرآنية انبجست من الخطاب الحسيني غير المباشر، وهذه الدلالات والمضامين أخذت أسسها من القرآن الكريم.

١— أشباه أصحاب السبت:

نقل أبو مخنف (ت: ١٥٧ هـ): «عن أبي سعيد عقيصي عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير، فقال له ابن الزبير: إني يا بن فاطمة فأصغى إليه فساره، قال: ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري جعلنا الله فداك، فقال: قال أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشراً أحب إلي من أن أقتل داخلًا منها بشراً، وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله، ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت»^(١).

في ذيل الحديث شبه الإمام (عليه السلام) الاعتداء عليه بفعل اليهود في يوم

(١) مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، ٦٧، وتاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٩، وتجارب الأمم: ٨٥ / هامش

رقم ١، و ترجمة الإمام الحسين: ابن عساكر، ٣٠٨ / هامش رقم ١، والكامل في التاريخ: ٤ / ٣٨.

السبت الذي ذكره القرآن الكريم بصيغة التعريف ست مرات ^(١) في الآيات الآتية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ^(٢) و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَتُْوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ^(٣) و﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ^(٤) و﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ^(٥) و﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٦).

وعن علة منع اليهود من الصيد يوم السبت ذكر الشيخ الصدوق

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) النساء: ٤٧.

(٤) النساء: ١٥٤.

(٥) الأعراف: ١٦٣.

(٦) النحل: ١٢٤.

(ت: ٣٨١هـ): (بسنده عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن اليهود أمروا بالإمساك يوم الجمعة، فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا يوم السبت، فحرم عليهم الصيد يوم السبت^(١)).

وذكر نعمة الله الجزائي قصتهم: حرم الله عليهم الصيد يوم السبت، فكانوا ينصبون الشباك في الأنهار ليلة السبت ويصطادون يوم الأحد، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد، فنهاهم علماءهم عن ذلك فمسخوا قردة وخنازير، ونُقِلَ عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): كانوا يسكنون على شاطئ البحر فنهاهم الله وأنبيأوه عن اصطيد السمك يوم السبت، فتوصلوا إلى حيلة يحلوا بها ما حرم الله عليهم، فأخذوا أخاديد وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض يتهياً للحيثان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهياً لها الخروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله، فدخلت في أخاديد وحصلت في الحياض، والغدران... وكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون: ما اصطدنا يوم السبت حتى كثر من ذلك مالهم وتنعموا بالنساء. ووعظتهم طائفة منهم فأبوا فاعتزلوهم إلى قرية أخرى، فمسخ الله الذين اعتدوا قردة فجاء إليهم الواعظون بعد ذلك وعندما يسألون أحدهم انت فلان تدمع عيناه ويومي برأسه أن نعم ، وما زالوا كذلك ثلاثة أيام، ثم بعث الله

عليهم مطراً وريحاً فجر فهم إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام. ويختتم الإمام حديثه بقوله: (إِنَّ اللَّهَ مَسَخَ هَؤُلَاءَ لِاصْطِيَادِ السَّمَكِ، فَكَيْفَ تَرَى عِنْدَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، حَال مَنْ قَتَلَ أَوْلَادَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهَتَكَ حَرَمَتَهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَمَسْخَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْمَعْدَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ عَذَابِ الْمَسْخِ)^(١).

تبين مما سبق عَظَمَ الأمر الذي فعله أصحاب السبت، فكانت عقوبتهم المسخ والعذاب، وَقَرَنَ الإمام الحسين (عليه السلام) فعل القوم الذين حاربوه بفعل أصحاب السبت الذين مُسِّخُوا؛ لتشابه الفعل الإجرامي الذي صدر عنهما، إذْ أصاب قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) القتل في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

٢ — الفتح المرتقب:

قبل انصراف الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة وجه رسالة لبني هاشم مفادها:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أمّا بعد

فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح والسلام^(١).
ياترى ماهو الفتح الذي أراده الإمام (عليه السلام)؟ سنخرج أولاً على كلمة الفتح في القرآن الكريم، فقد ذكرت هذه الكلمة بصيغة التعريف ست مرات^(٢) في الآيات الآتية: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾^(٣)، و﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾^(٥). وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٢٣٠، و المحتضر : حسن بن سليمان الحلبي، ٨٢، و مدينة المعاجز :

السيد هاشم البحراني، ٣ / ٤٦١، و بحار الأنوار : ٤٥ / ٨٧، و العوالم : ١٥٥ .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، ٥١٤ .

(٣) المائدة : ٥٢ .

(٤) الأنفال : ١٩ .

(٥) السجدة : ٢٨ - ٢٩ .

﴿^(١)﴾، وختامها قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ^(٢). والمراد بالفتح في الآية الأولى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ يريد بفتح الله تعالى لمحمد (ﷺ)، على جميع خلقه. ^(٣) وفي الثانية: ﴿إِنْ تَسْتَفِنُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ معنى الفتح هنا هو النصر ^(٤). وفي الآيتين الثالثة والرابعة تكررت المفردة مرتين: ﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٥) ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾. قال الطبرسي: إِنَّ الْفَتْحَ هُنَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ^(٦). وفي الآية الخامسة: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وتفسير الفتح هنا هو فتح مكة ^(٧). وفي الآية الأخيرة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ^(٨) بين الطبرسي في حديثه أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ هُنَا هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ ^(٩). وبعد

(١) الحديد: ١٠.

(٢) النصر: ١.

(٣) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣ / ٣٥٦.

(٤) ظ: م. ن، ٤ / ٣٣٠.

(٥) ظ: م. ن، ٩ / ٣٨٦.

(٦) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٨ / ٨٧.

(٧) ظ: م. ن، ١٠ / ٤٦٦.

ذكر تفسير مفردة الفتح لكل الآيات التي ذكرت فإن مقصد الإمام ليس فتح مكة قطعاً وليس يوم القيامة وإنما النصر الذي أراده بهذا الفتح.

واستوحى الشيخ محمد السند أمرين مهمين من هذه الكلمات القصار: أحدها: أن التعبير بالشهادة يُعدُّ نتيجةً أوليةً لنهضته المباركة. والآخر: استرقاب النتيجة الواقعية التي تنتظر الأجيال القادمة وهو المراد من الفتح الحسيني، الذي كان يرقبه (عليه السلام) في ظل نهضته المباركة التي استدعت التضحية بنفسه وعياله وأنصاره؛ لأنه وعى (عليه السلام) أن المنهج الانحرافيّ الإفساديّ أريد أن يتأصل ويجثم في المجتمع الإسلامي خاصة، وأن يتأصل بلحاظ استشراف المستقبل في المجتمع الإنسانيّ عامة من لدن بني أمية؛ ليكون بديلاً عن منهج الأنبياء والأوصياء؛ فقد أرادت السلطة الحاكمة أن يكون دين الناس هو ما يراه الحاكم ويقرّره، فكلّ ذلك انتهى مع أول قطرة دم سقت أرض كربلاء، لتعلن الثورة الحقيقية بوجه هذا المنهج ومن أسسه، وليدوّي هذا الخطاب الحسينيّ الإنسانيّ آفاق الدنيا، ويحرّر الإنسان من عبودية الطاغوت^(١).

بعد ما تقدم تبين أن هذه الكلمات القصار التي قالها الإمام الحسين (عليه السلام) أراد بها توجيه رسالة الى أقربائه وأرحامه بأنه سائر على طريق إحقاق

(١) ظ: الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، ٩٨.

الحق للقضاء على الفئة الضالة التي تسلطت على رقاب الناس ، ومثلما قال الله تعالى لجده رسول الرحمة أبي الزهراء محمد (ﷺ): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) بدأ الإمام الحسين (ﷺ) بأقاربه من بني هاشم قبل غيرهم تجسيداً لقوله تعالى المذكور أعلاه.

٣ - حُبَّ الله والرسول (ﷺ) :-

في ليلة عاشوراء حدثت محاورة بين الإمام الحسين (ﷺ) وبين عمر بن سعد: نقل الطبري (ت: ٣١٠هـ): بعث الحسين (ﷺ) إلى عمر بن سعد، فلما التقوا أمر الحسين (ﷺ) أصحابه أن يتنحوا عنه وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدث الناس فيما بينهما ظناً يظنونه أن حسيناً قال: لعمر بن سعد اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين، قال: عمر إذن تهدم داري. قال: أنا أبنيتها لك. قال: إذن تؤخذ ضياعي. قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فتكره ذلك عمر^(٢). تضمنت هذه

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) ظ: تاريخ الطبري، ٤/ ٣١٢ - ٣١٣،، : والفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي : ٤/ ٥٤، والكامل في

التاريخ: ابن الأثير ٤/ ٥٤.

المحاورة على مضامين قرآنية تتجسد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

ذكر الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة إلى دار الاسلام ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الذين ولدوكم، ﴿وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الذين ولدتموهم، وهم الأولاد الذكور، ﴿وَإِخْوَانُكُمْ﴾ في النسب، اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح، ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي: وأقاربكم، ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي اكتسبتموها، واقتطعتموها، وجمعتموها، ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي : تخشون أنها تكسد إذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى، والجهاد، ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ أي: مساكن اخترتموها لأنفسكم، ويعجبكم المقام فيها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي : أثر في نفوسكم، وأقرب إلى قلوبكم ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي : من طاعة الله، وطاعة رسوله، ﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ أي: ومن الجهاد في سبيل الله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي : انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ أي : بحكمه فيكم. وقيل: بعقوبتكم على اختياركم هذه

الأشياء على الجهاد، وطاعة الله، إما عاجلاً، وإما آجلاً^(١).

ويزداد النقاش الذي حصل بين الإمام الحسين (عليه السلام) وبين عمر بن سعد وضوحاً من خلال تفسير الآية بحيث إنَّ عمر بن سعد في رده على الإمام قال له: (اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين) فردَّه الإمام، ثم قال عمر: إذن تهدم داري، قال (عليه السلام): (أنا أبنيتها لك)، قال: إذن تؤخذ ضياعي قال (عليه السلام): (إذا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز)، قال: فتكره ذلك عمر. وهذا مقتبساً من الآية القرآنية السابقة، وما قاله الله تعالى في تلك الآيات تحقق فعلاً فلم ينل عمر بن سعد شيئاً مما وُعدَّ به من قبل يزيد وابن زياد وكان مصيره القتل.

٤- صالح (عليه السلام) وناقته:-

في يوم العاشر من محرم، نقل اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ): «ثم تقدّموا رجلاً رجلاً حتّى بقي وحده ما معه أحد من أهله، ولا ولده ولا أقاربه، فإنّه لواقف على فرسه إذ أتى بمولود قد ولد له في تلك الساعة، فأذن في أذنه، وجعل يُحنّكه إذ أتاه سهم فوق في حلق الصبي فذبحه، فنزع الحسين (عليه السلام)، السهم من حلقه، وجعل يلطّخه بدمه ويقول: وَاللّهِ! لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ النَّاقَةِ،

وَلَمَحَمَّدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ صَالِحٍ. ثُمَّ أَتَى فَوَضَعَهُ مَعَ وَلَدِهِ وَبَنِي أَخِيهِ^(١).

في هذا السياق قارن الإمام (عليه السلام) بين ناقة صالح (عليه السلام) وولده الرضيع وقد ذكر القرآن الكريم ناقة صالح سبع مرات^(٢)، والذي يهم البحث هو العقاب الذي ناله قوم صالح (عليه السلام) بسبب عقرهم للناقة، قَالَ تَعَالَى:

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا^(١١) إِذْ أُتْبِعَتْ أَشْقَاهَا^(١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا^(١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا^(١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا^(١٥)﴾^(٣).

وملخص قصة قتل الناقة: بعث الله سبحانه النبي صالح (عليه السلام) الى قوم ثمود يدعوهم إلى طريقة الهداية والنجاة وعندما طلبوا من نبيهم معجزة، أرسل الله إليهم " ناقة " بطريق إعجازي من قلب جبل، ولكنهم كلفوا بامتحان يتلخص في تقسيم ماء المدينة بينهم وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، لكن المعجزة لم تخفف من غلواء لجاحهم وعنادهم، فخططوا لقتل الناقة ولقتل صالح أيضًا، لأنهم رأوا فيه عقبة أمام شهواتهم وميولهم. خطة " قتل الناقة " نفذت على يد شقيي قسي اسمه : (قدار بن سالف)، وكان ذلك في

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٤٥، وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٥٦٧، وموسوعة شهادة

المعصومين: ٢ / ٢٧٦، ومسند الإمام الشهيد: ١٣٥ / ٢.

(٢) المعجم المفهرس لإلفاظ القرآن الكريم: ٧٣ - ٧٣٥.

(٣) الشمس ١١ - ١٥.

الحقيقة إعلان حرب على الله، لأنهم أرادوا بقتلهم للناقة أن يطفئوا نور الهداية، عندئذ أُنذرهم صالح أن يتمتعوا في بيوتهم بما شاءوا من اللذات ثلاثة أيام لينزل العذاب بعدها عليهم، وهذه الأيام الثلاثة كانت في الواقع فرصة لإعادة النظر، وآخر مهلة للعودة والتوبة، لكنهم أبوا إلا طغياناً بل ازدادوا عتواً، وهنا حل عليهم العذاب الإلهي، وجاءت الصيحة السماوية لتذك أَرْضهم، ولتبيدهم في دورهم، وثمة تشابه في الواقع بين قتل ناقة صالح، وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) فهم لا يحملون عداً شخصياً، بل كان هدفهم إطفاء نور الله والقضاء على معجزة وآية من آيات الله، وكما أن العذاب الإلهي عم قوم ثمود بعد حادثة الناقة، كذلك عم المسلمين بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) داهية دهماء تمثلت في تسلط الأموي المتجبر الذي سام المسلمين سوء العذاب^(١). والآيات التي ذكرت عقوبة قوم صالح (عليه السلام) هي في سورة الشمس المباركة التي تحتوي على كثير من الأقسام القرآنية، ولا يخفى مالمقسم من أهمية كبرى في القرآن الكريم.

وقال الشيخ السبحاني: في سورة الشمس تم بيان الحلف بأحد عشر أمراً، وهذه الآيات تشتمل على أكثر الأقسام الواردة في القرآن الكريم^(٢). ومن هنا تبين أهمية القسم في القرآن الكريم ونتيجة التكذيب به من قبل ثمود

(١) ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠ / ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) ظ: الأقسام في القرآن الكريم: ١٦٩.

وكذلك الربط بين قاتل الناقة وقاتل الطفل الرضيع (حرملة بن كاهل الأسدي) الذي دعا عليه الإمام السجاد (عليه السلام) بقوله: «لعن الله راميهِ [قاتله] حرملة بن كاهل الأسدي وذويه»^(١).

وفي حديث آخر: «اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار»^(٢). وهذا ماناله بالفعل على يد المختار الثقفي (عليه السلام)، وإن كانت ناقة قتلوها عاقبهم الله بهذه العقوبة فكيف بأمة قتلت أبناء نبيها ظلمًا، ولأنَّ هدفه الأسمى هو إقامة الحق ونبد الباطل، وهذا الشيء لا يرضيهم وبالتالي نالوا جزاءهم بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة. وها هو الشيخ حبيب بن مظاهر الأسدي (عليه السلام) يخطب بالقوم: «أقبل حبيب بن مظاهر على القوم فجعل يعظهم، ويذكرهم الدار الآخرة قائلاً: أما والله لبئس القوم يقدمون غدًا على الله عزَّ وجلَّ، وعلى رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيرًا بالليل والنَّهار وشيعته الأتقياء الأبرار»^(٣). بهذه الكلمات

(١) إقبال الأعمال : ابن طاووس، ٣ / ٧٤، وبحار الأنوار : ٨٩ / ٢٧٠، وموسوعة الإمام الهادي : مؤسسة ولي العصر الإسلامية، ١٠٧، وغيرها.

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ / ٥٢، وكشف الغمة في معرفة الأئمة : الأربلي، ٢ / ٣٢٤، وأصدق الأخبار : السيد محسن الأمين : ٧٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٤٥، وموسوعة كلمات الإمام الحسين : ٥٧٦، وموسوعة شهادة المعصومين : لجنة ولي العصر الإسلامية : ٢ / ٢٧٦، والعباس رائد الكرامة : القرشي، ١٦٩، ومسند الإمام الشهيد : ٢ / ١٣٥.

القَصِيْرَةُ لِخَصِّ حَبِيْبِ بْنِ مَظَاهِرِ الْأَسَدِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)) صِفَاتُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فِي قَوْلِهِ (الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيْرًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) نَرَاهُ مُنْبَجِسًا مِنْ آيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ فَرَّوْهُمُ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيْمًا﴾ (١).

قال سيد محمد طنطاوي (ت : ١٤٢١ هـ) : الإسلام : انقياد لأمر الله - تعالى - وإسلام الوجه له - سبحانه - وتفويض الأمر إليه وحده والإيمان : هو التصديق القلبي ، والإذعان الباطني ، لما جاء به النبي (ﷺ) . وبعد شرح صفات المؤمنين السابقة نصل إلى موضع البحث وهي قوله تعالى : ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ۚ وَذَكَرَ اللَّهُ يَتِمَثَّلُ فِي النُّطْقِ بِمَا يَرْضِيهِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْإِكْثَارِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ ، وَهَكَذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَسُوقُ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةَ ، الَّتِي مِنْ شَأْنِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ إِذَا مَا اتَّصَفَا بِهَا ، أَنْ يَسْعِدَا فِي دُنْيَاهُمَا وَفِي آخِرَاهُمَا ، لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَظُمَتْ عِلَاقَةَ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ ، وَبِنَفْسِهِ ، وَبِغَيْرِهِ ، تَنْظِيمًا حَكِيمًا ، يَهْدِي إِلَى الرَّشَدِ ،

ويوصل إلى الظفر والنجاح^(١).

ووضحت الآية صفات المؤمنين التي أَرادها الله تعالى في كتابه الكريم، فالذي أَراد حبيب بن مظاهر^(عليه السلام) بيانه، أَنَّهُمْ ملتزمون بما أَراده الله تعالى من أوامر في كتابه الكريم، وهذا ما تجلّى فعلاً في كل أفعالهم وأقوالهم.

٥ — الأخوة الحقيقية:—

يحط البحث الآن رحاله عند بطل من أبطال معركة الطف، الذي لم يوف المؤلفون حقه وهو العباس بن علي بن أبي طالب^(عليه السلام) فوجد البحث أَنَّ خير آية قرآنية يستند عليها هي قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾^(٢). وإن كانت هذه الآيات سيقّت في قصة موسى وأخيه هارون^(عليهما السلام) عندما طلب الله منه الذهاب إلى الطاغية فرعون، فكان أول طلب له هو مساندة أخيه له، إلا أَنَّ فيها تشابهاً كبيراً مع قصة الإمام الحسين^(عليه السلام) وأخيه أبي الفضل العباس^(عليه السلام)، ففي زواج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(عليه السلام) من فاطمة الكلابية (أم البنين).

ذكر أحمد بن علي الحسيني ابن عنبه (ت: ٨٢٨هـ): قد روي أَنَّ أمير

(١) ظ: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١١ / ٢١٠ - ٢١١.

(٢) القصص: ٣٥.

المؤمنين عليّ (عليه السلام) قال لأخيه عقيل - وكان نساباً عالمًا بأنساب العرب - : أنظر إلي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلامًا فارسًا. فقال له : تزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها. فتزوجها وولدت له أربعة أبناء هم: (العباس، جعفر، عثمان، عبد الله) ^(١). أمّا عن شجاعة العباس (عليه السلام): فقد نقل البلاذري (ت: ٢٧٩هـ) ما نصّه: "قال الحسين لأخيه العباس: يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم" ^(٢). فيا له من أدب كبير ومعنى رائع في تعبير الأخ الأكبر لأخيه الأصغر (اركب بنفسي أنت يا أخي) فهو يعتبره هنا جزءًا لا يتجزأ منه، والمعنى هنا أن الحسين (عليه السلام)، وإن كان الأخ الأكبر وقائد المعركة إلا أنه بهذه الكلمات قد بعث برسالة تشد أزر أخيه في مواجهة القوم وقد حاول بعض المؤرخين تغيير فحوى الحديث الذي جرى بين الحسين وأخيه العباس (عليه السلام) بقوله: (قال يا أخي اركب بنفسي فقال له العباس (عليه السلام): (بل أروح أنا) فقال أركب أنت حتى تلقاهم

(١) ظ: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ٣٥٧، وسر السلسلة العلوية: أبي نصر البخاري، ٨٨، والأخبار الطوال: الدينوري، ٢٥٧، والمختصر في تاريخ البشر: ١ / ١٨١، ومآثر الأئمة في معالم الخلافة: أحمد بن علي النقشدي، ١ / ١٠١.

(٢) ظ: أنساب الأشراف: ٣ / ١٨٤، والإرشاد: ٢٥٧، وإعلام الوري بأعلام الهدى: الطبرسي، ١ / ٤٥٤، والعوالم: ٢٤٢، ومعالم المدرستين: ٨٨، وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٤٧٤.

فتقول ما لكم وما بدا لكم وتسألهم عما جاء بهم^(١).

ففي هذا القول المعنى اختلف تمامًا عن القول الأول الذي نقلناه وقصدهم هنا أن الإمام الحسين (عليه السلام) أراد أن يختبر العباس بقوله (اركب بنفسي) قصده هل اذهب إليهم بنفسي أو تذهب أنت؟ وفي هذا تضعيف لشخصية العباس (عليه السلام)، وفي قصة شهادته مع إخوته.

نقل أبو مخنف (ت: ١٥٧ هـ): نذب الحسين (عليه السلام) لهم أخاه العباس (عليه السلام)، فحمل على القوم وحده، فضرب فيهم بسيفه حتى فرقهم عن أصحابه ثم عادوا القتال وهو يدفع عنهم حتى قتلوا، ولما رأى وحدة الحسين (عليه السلام) بعد قتل أصحابه وجملته من أهل بيته قال: لإخوته من أمه: تقدموا لأحتسبكم عند الله تعالى، فتقدموا حتى قتلوا، فجاء إلى الحسين (عليه السلام) واستأذنه. فقال (عليه السلام) له: أنت حامل لوائي، فقال (عليه السلام): (لقد ضاق صدري وسئمت الحياة، فقال له الحسين (عليه السلام): (إن عزمت فاستسق لنا ماءً، فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة، واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين (عليه السلام) فرمى بها وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسينُ واردُ المنون وتشربين بارد المعين

(١) الكامل في التاريخ: ٥٦/٤، ونهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، ٤٣٣/٢.

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السنبي على يمينه فبراها فأخذ اللواء بشماله وقال:

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها، فضم اللواء إلى صدره كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضم اللواء إلى صدره^(١). وفي رواية أخرى: فكمن له زيد بن ورقاء الجهني من وراء نخلة، وعاونه حكيم بن طفيل السنبي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله، فقاتل حتى ضعف ثم خرج له حكيم بن طفيل من وراء النخلة فضربه على شماله، ثم قتله الملعون بعمود من حديد^(٢).

بينت هذه الرواية شجاعة العباس (عليه السلام) وضعف أعدائه الذين استعملوا الغدر به ولم يقدروا على مواجهته وجهاً لوجه لعلمهم بشجاعته الفائقة.

فما كان من الحسين (عليه السلام) إلا أن قال: (الآن انكسر ظهري وقلة

(١) ظ: مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، ١٧٨/١٧٩، والإرشاد: ٢٦٩ - ٢٧٠، وأعيان الشيعة: ٧/٣٤٠، وأبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام): الشيخ محمد السماوي، ٦١.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٢٥٦، ومعالم المدرستين: ٣/١٢٩، وموسوعة شهادة المعصومين: ٢/٢٥٧.

حيلتي وشميت بي عدوي^(١). لأن العباس (عليه السلام) كان عماد حركته ونظام جيشه ، كلما اشتدت بالحسين (عليه السلام) الخطوب واحتاج لمن يسد ثغراً، أو يفلّ مستعصياً وجه أبا الفضل (عليه السلام) لنجح حاجته فلا يرجع إلّا بنجحها^(٢). وتنمّ هذه الكلمات عن شدة تأثير الإمام الحسين (عليه السلام) بشهادة أخيه العباس (عليه السلام) فبالرغم من الشهداء الذين سقطوا قبله وكان يحتضن الواحد تلو الآخر ويدعو له، إلّا أنّ استشهاد العباس (عليه السلام) كان له الوقع الكبير في نفس الإمام الحسين (عليه السلام) ومن ثمّ سبباً في انكسار ظهره مثلما قال، لمكانته المميزة عنده.

وقد روى الإمام السجاد بحق عمه العباس (عليه السلام)، نقل الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بإسناد صحيح عن ثابت بن أبي صفية، قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاستعبر، ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله (ﷺ) من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب. ثم قال (عليه السلام): ولا يوم كيوم الحسين

(١) ظ: بحار الأنوار، ٤٥/ ٤٢، وشهداء أهل البيت: الحاج حسين الشاكري، ٩٩، والمجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد شرف الدين، ٢٩٧، ومعالم المدرستين: ٣/ ١٣٠، والأخلاق الحسينية: جعفر البياضي، ١٢٢.

(٢) ظ: العباس بن علي (عليه السلام)، محمد البغدادي، ٨١.

(عليه السلام) ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً... ثم قال (عليه السلام): (رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة، وصلى الله على رسوله محمد وآله، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١)).

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام)، نقله أبو نصر البخاري (ت ٣٤١هـ): (قال الصادق (عليه السلام): كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وأبلى بلاءاً حسناً ومضى شهيداً^(٢)). ففي الروايتين اللتين رواهما الإمامان المعصومان السجاد والصادق (عليه السلام) أصدق دليل على الدور الكبير الذي قام به أبو الفضل العباس (عليه السلام) في معركة الطف وأفعاله بانته عن عظم شجاعته، وطاعته

(١) الأماشي: الطوسي، ٥٤٧ - ٤٥٨، وبحار الأنوار: ٣٢ / ٢٧٤، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام)،

٣٤٩، وقادتنا كيف نعرفهم: السيد هادي الميلاني، ٣ / ٦٤١، والصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر

مرتضى العاملي، ٢٠ / ٣٧، وجواهر التاريخ: علي الكوراني العاملي، ٤ / ١٠٧

(٢) سر السلسلة العلوية: ٨٩، وشرح الأخبار: ٢٨٤ / هامش رقم ١، وعمدة الطالب في أنساب آل

أبي طالب: إين عنبه، ٣٥٦، والأنوار العلوية: جعفر النقدي، ٤٤١، ومستدركات علم رجال الحديث:

٣٥٠، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ١ / ١٣٤.

لابن رسول الله الإمام الحسين (عليه السلام)، وهناك سرٌّ في دفن العباس (عليه السلام) تفرد به لوحده عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه (عليه السلام) يعطي معنى آخر لعظم المنزلة وسمو الدرجة التي يتمتع بها ساقى عطاشا كربلاء أبي الفضل العباس (عليه السلام)، التي تعلو على جميع الشهداء.

فكان العباس (عليه السلام) في أعلى ذروة من المواساة لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) لأنّ مواساته كانت عن بصيرة هي أنفذ البصائر يومئذٍ بشهادة الإمام الصادق (عليه السلام) كما مرَّ سابقاً، وقد شهد بهذه المواساة الإمام المعصوم جعفر الصادق (عليه السلام)، ونال العباس (عليه السلام) هذه المرتبة الكبيرة لأنّه كان مثلاً للأخ الحقيقي المضحى في سبيل الله من خلال نصرته لابن بنت رسول الله (ﷺ)، وأيّ عبادة أزكى من تلك النصرة وحمايته بنات الزهراء (عليهن السلام) وسقي ذراري رسول الله (ﷺ) (١).

مناقشة ورأي:-

توضح للبحث من خلال بيان الاقتباسات التي اقتبسها قائلو الخطاب الحسيني، والتي بينت شدة ارتباطهم بالقرآن من خلال تلك الاقتباسات القرآنية، فكان استثمارهم للمعجم القرآني واضحاً جداً للبيان فهم أرادوا إيصال رسالة بأنهم مع القرآن.

(١) ظ: العباس بن علي الوفاء الخالد، عبد الأمير عزيز القريشي، ٢٥٨ - ٢٥٩.

وتم وضع عنوانات لتلك الاقتباسات ليكون البحث أجمل وأبهى،
ولبيان أن كل ما قيل إنما هو مضامين ودلالات موجودة في القرآن الكريم وقد
استثمرها قائلو الخطاب الحسيني في إيصال رسالة للناس بأنهم هم عدل
القرآن الكريم.



الفصل الثاني

أثر الآيات العقدية وآيات الأحكام
في الخطاب الحسيني



وفيه :

- المبحث الأول: التوحيد
- المبحث الثاني: الرضا بقضاء الله وقدره.
- المبحث الثالث: النبوة
- المبحث الرابع : الإمامة.
- المبحث الخامس : آيات العبادات .

المبحث الأول: التوحيد

أولاً: إثبات الصانع :-

الكلام في ركن التوحيد هو في إثبات صانع العالم سبحانه، وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً، وذلك يترتب على حدوث العالم وبرهانه : فلو كان قديماً لوجب وجوده فيما لم يزل ولو لم يكن محدثاً لم تكن أجسامه مختصة بالحوادث التي هي ملازمة لها غير منفكة عنها، وكلما لا يخلو من المحدث ولا يسبقه في وجوده، فهو محدث. وإذا لم يعقل خلو الأجسام من الحوادث الملازمة لها وجودها فلا بد من كون أنها محدثة مثلها، وتناهي الحوادث مقطوع عليه بأنه إذا ثبتت لأحاديها الأولية فلا بد من ثبوتها لمجموعها، وإلا فإثباتها حوادث مع نفي تناهيها متناقض، وثبوت حدوثه دال على إثبات محدثه، لكونه ترجيحاً لوجوده على عدمه، فإن كان قديماً أدى إلى التباس الأثر بالمؤثر، واحتياج كل واحد منهما إلى الآخر في نفس ما احتاج الآخر إليه فيه، وإن كان محدثاً احتاج إلى محدث، ويلزم

على كليهما الدور والتسلسل^(١).

فالتوحيد تنصهر فيه القوميات في بوتقة الدين الإسلامي لتكوين أمة واحدة تبتني وحدتها على أساس العقيدة والإيمان بالله، فكلمة التوحيد هي الأساس لتوحيد الكلمة^(٢). وأول الإيمان هو التوحيد والإقرار لله تعالى بالوحدانية^(٣).

ولا يرتاب الباحث المتعمق في المعارف الكلية في أن مسألة التوحيد من المسائل المهمة جداً، لإرتفاع كعبها عن المسائل العامة التي تتناولها الأفهام، والقضايا المتداولة التي تألفها النفوس، وتعرفها القلوب وما هذا شأنه تختلف العقول في إدراكه والتصديق به للتنوع الفكري الذي فطر عليه الإنسان، وقد قرر القرآن هذا الاختلاف في موارد من آياته الكريمة كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

ومن أظهر مصاديق هذا الاختلاف الفهمي، اختلاف أفهام الناس في تلقى معنى توحده تعالى، لما في أفهامهم من الاختلاف العظيم في تقرير مسألة وجوده تعالى على ما بينهم من الاتفاق على ما تعطيه الفطرة الإنسانية

(١) ظ: إشارة السبق، أبو المجد الحلبي، ١٥.

(٢) ظ: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني، ٦/ ٢٢٢.

(٣) ظ: منتهى المطلب، العلامة الحلبي، ٤/ ٦٣٧.

(٤) الزمر: ٩.

بإلهامها الخفي وإشارتها الدقيقة. فقد بلغ فهم آحاد من الإنسان في ذلك أن جعل الأوثان المتخذة، والأصنام المصنوعة من الخشب والحجارة والطين شركاء لله، وقرناء له، ولذلك أثبت بعضهم الوحدة العددية التي تتألف منها الأعداد، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(١). وغيرها من الآيات الداعية إلى رفض التفرق في العبادة للإله، والقرآن ينفي في عالي تعليمه الوحدة العددية^(٢).

وذهبت مدرسة أهل البيت إلى أن هناك أصولاً للدين في مرتبة الإيمان، وهي تتكوّن من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وكذلك أصول الدين في مرتبة الإسلام فتتضمن التوحيد والنبوة والمعاد، وهي الأمور التي إذا أظهرها الإنسان أصبح مسلماً في الظاهر. فأصول الدين، سواء في مرتبة الإيمان أو الإسلام، تتضمن مفهوم التوحيد، فهناك توحيد في الذات وتوحيد في الصفات، والنبوة إنما هي توحيد في التشريع، وأمّا الإمامة فهي توحيد في الحاكمية السياسية والقضائية والتنفيذية^(٣).

تبين من خلال شرح مدرسة أهل البيت للتوحيد أن كل الأصول

(١) ص: ٤-٥.

(٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ٦/ ٨٩-٩٠.

(٣) ظ: الحداثة، العولمة في ميزان النهضة الحسينية، الشيخ محمد السند، ٢٠٠.

ترجع إليه لأهميته الكبرى ولأنه العمود الأساس لها وأن الإمامة والعدل لهما أهمية كبرى في وصول الإنسان المسلم إلى المرتبة العظمى في التوحيد. وإن القرآن الحكيم يدعو الناس كل الناس إلى أصليين رئيسيين من أصول العولمة الصحيحة ودعامتين من دعائهما وأركانها، وهما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة. وبعبارة أخرى: إنه يدعوهم في جانب العقيدة إلى وحدة الاعتقاد بالمبدأ وهو الله الخالق الرازق، والعدل الحكيم، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم بلا مشير ولا معين، ولا ند ولا شريك فيقول: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝﴾^(١)، ومن المعلوم أن العقيدة الصحيحة هي الأساس الرصين للعولمة الصحيحة. ويدعو في جانب العمل إلى الاتحاد والانسجام، والتكاليف والتعاضد، وتوحيد الكلمة على التقوى والفضيلة، وعلى الود والمحبة، وعلى التراحم والتواصل فيما بينهم^(٢).

وذكر جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨ هـ): التوحيد بمعنى أن يُعرف إنَّ الله تعالى واحد في الربوبية ولا شريك له في المعبودية، ويكفي في هذا المقام ما يغني عن الخوض في مباحث الكلام من إمعان النظر في الآثار،

(١) الأنبياء: ٩٢.

(٢) فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ٦.

واختلاف الليل والنهار، ونزول الأمطار، وجري الأنهار، وركود البحار، وحركة السماء، واضطراب الهواء، وتغير الأشياء، وإجابة الدعاء، وما نزل على سالف الأمم من البلاء، وكفى بصنع الإنسان فضلًا عن ساير أنواع الحيوان دليلًا قاطعًا، وبرهانًا ساطعًا، خلقه من تراب ثم أودعه الأصلاب، نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظامًا ثم كسى العظام لحمًا ثم أخرجه خلقًا سويًا. فتبارك الله الذي خلق الإنسان بلا مثال، وأقام الخلائق على أحسن اعتدال، فلو تأملت في نفسك التي بين جنبيك، وتفكرت بجسمك الذي هو محط عينيك، وما أحاطت به الأرضون والسموات من عجائب المخلوقات من الملائكة المقربين لأنبأك هذا النظام المستقيم الجاري على النهج القويم ان هناك موجدًا لا يعارض، وحاكمًا لا يناقض، عالمًا بحقائق الأشياء قديرًا على ما يشاء ولو دخله الجهل أو العجز فسد النظام^(١).

«وكلمة التوحيد تدل على أنه واجب الوجود بالذات، وعلى وحدته تعالى بل على جميع صفات الجلال والإكرام، ومستحق لأن لا يشرك به أحد بالشرك الجلي والخفي، وكذا التكبير مع دلالة على أن ذاته تعالى أعلى وأرفع من أن يصل إليه العقول والأفهام، فظهر أن جميع العلوم مندرجة فيها فيكون المحاذاة للعرش الذي بمعنى العلم

(١) ظ: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، ٣.

من حيث الدلالة عليه^(١).

وفي بيان معنى التوحيد والدليل عليه، مسألتان :

الأولى: اعلم أنه أول ما يجب عليك أن تعرف أن لك ولهذا الخلق كله خالقاً غير مخلوق. والدليل على ذلك أنك كنت بعد أن لم تكن، وكذلك أبوك وجميع من تشاهده من الخلق، فذلك ذلك على أنك مخلوق، وكل مخلوق له خالق غير مخلوق، بل هو واجب الوجود لذاته أي لم يخلقه غيره، ولا كان بعد العدم؛ إذ لو كان كذلك لكان مخلوقاً، فاحتاج إلى خالق فهو إذن خالق غير مخلوق.

والأخرى: اعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن خالق هذا الخلق كله واحد لا شريك له. ومعنى أنه واحد: أنه ليس كمثله شيء، لا يشبه شيئاً. وإن معنى وحدانية الله أنه ليس كمثله شيء، وليس له جزء. فإذا عرفت ذلك عرفت أنه لا شريك له^(٢).

وقال القاضي ابن البراج (ت: ٤٨١هـ): إن الناس في التوحيد على ثلاثة أقسام: مُشَبِّه ونافٍ ومثبت، فالْمُشَبِّه مُشْرِك، والنافي مبطل، والمثبت مؤمن، ما تفسير ذلك؟ الجواب: المراد بالمشبت من أثبت الشيء على ما هو عليه، وأعتقد على ما هو به. والنافي مبطل لأنه بالعكس من ذلك. فأما المشبه

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي الأول، ٣/٤.

(٢) ظ: رسائل آل طوق القطيفي، أحمد بن الشيخ آل طوق القطيفي، ١/٦٩ - ٧٠.

فهو من اعتقد إنّ الله سبحانه شبيهاً، وذلك مشرك لا شبهة في شركه^(١).

ثانياً: صفات الذات و صفات الفعل :

ذكر الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ): إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها، فمتى قلنا: إنّهُ حيّ نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت، ومتى قلنا: إنّهُ عليم نفينا عنه ضد العلم وهو الجهل، ومتى قلنا: إنّهُ سميعٌ نفينا عنه ضد السمع وهو الصمم... الخ، ولو لم نفعل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه، ومتى قلنا: لم يزل حياً عليمًا سميعًا بصيرًا عزيزًا حكيمًا ملكًا حليمًا عدلاً كريماً، فلما جعلنا معنى كل صفة من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفي ضدها أثبتنا أن الله لم يزل واحداً لا شئ معه. وليست الإرادة والمشية والرضا والغضب وما يشبه ذلك من صفات الأفعال بمثابة صفات الذات، لأنّه لا يجوز أن يقال: لم يزل الله مريداً شائئاً كما يجوز أن يقال: لم يزل الله قادراً عالماً^(٢).

وعند الباقلانيّ (ت: ٤٠٣هـ) صفات ذاته هي: التي لم يزل ولما يزال موصوفاً بها. وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضى وهما الإرادة على ما

(١) ظ: جواهر الفقه: ٢٦٠.

(٢) ظ: التوحيد، ١٤٨.

وصفناه وهي الرحمة والسخط والولاية والعداوة والحب والإيثار والمشية وإدراكه تعالى لكل جنس يدركه الخلق من الطعوم والروائح والحرارة والبرودة وغير ذلك من المدركات^(١).

وعن صفات فعله قال: هي الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر وكل صفة كان موجودا قبل فعله لها. غير أن وصفه لنفسه بجميع ذلك قديم لأنه كلامه الذي هو قوله إني خالق رازق باسط وهو تعالى لم يزل متكلمًا بكلام غير محدث ولا مخلوق^(٢).

ونقل الشيخ المفيد (ت: ١٣٤ هـ) الفرق بين صفات الذات والأفعال بقوله: إن صفات الذات لا يصح لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوه منها، وأوصاف الأفعال يصح الوصف لمستحقها بأضدادها وخروجها عنها، ألا ترى أنه لا يصح وصف الله تعالى بأنه يموت، ولا بأنه يعجز، ولا بأنه يجهل ولا يصح الوصف له بالخروج عن كونه حيًا عالمًا قادرًا، ويصح الوصف بأنه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محيي لميت بعينه، ولا مبدئ لشيء في هذه الحال، ولا معيد له. ويصح الوصف له (وَعَلَى) بأنه يرزق ويمنع ويحيي ويميت ويبدئ ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة في أوصاف الذات

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ٢٩٨.

(٢) ظ: م. ن، ٢٩٩.

وأوصاف الأفعال، والفرق بينهما ما ذكرناه^(١).

«وإنَّ لبعض شيوخ المعتزلة كلاماً في صفات الذات وصفات الأفعال قريباً من هذا الذي يقوله الإمامية»^(٢).

ومن المحدثين الشيخ محمد رضا المظفر (ت: ١٣٨٣ هـ) الذي أوجز رأي الإمامية بقوله: عقيدة الشيعة الإمامية في صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات الذات أو (الجمال والكمال)، كالعلم والقدرة والغنى والإرادة والحياة – هي كلها عين ذاته ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلا وجود الذات، فهو قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، لا اثنية في صفاته ووجودها وهكذا الحال في سائر صفاته الكمالية. وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات الأفعال أو (الجلال)، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه، فإن سلب الإمكان لازمة بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفة وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص. والله تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد^(٣). ومن أروع ما نقل عن سيد الموحدين الإمام علي (عليه السلام) في نفى زيادة الصفات لله:

(١) ظ: تصحيح إعتقادات الإمامية، ٤١.

(٢) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، ١٧٨.

(٣) ظ: عقائد الإمامية: ٣٨ – ٤٠.

(أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال تصديقه توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده)^(١).

وقسم المتكلمون صفاته سبحانه إلى ثبوتية وسلبية، وقد بسطوا القول فيها ومن جملتها أنه سبحانه: ليس بجسم، ليس في جهة، ليس في محل...إلى غير ذلك من الصفات السلبية التي مرجعها إلى سلب النقائص عن ذاته سبحانه لأنه الكمال المطلق.

وأما رؤيته سبحانه، فقد اتفق المسلمون على أنه سبحانه لا يرى في الدنيا واختلفوا في رؤيته في الآخرة، فذهبت الشيعة الإمامية تبعاً للذكر الحكيم وما جاء في خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى امتناع رؤيته في الآخرة، قال سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

وقال الإمام علي (عليه السلام) في وصفه سبحانه في خطبة له تسمى خطبة

(١) ظ: الاحتجاج، الطبرسي، ٢٩٦/١، شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ١/١٢١، في ظلال نهج

البلاغة: محمد جواد مغنية، ١/١٩، توحيد الإمامية: محمد باقر الملكي، ٢٢٧.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

الأشباح: ^(١) الأول الذي لم يكن له قبل، فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والرايع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه ^(٢).
وأما ما يستدل به على جواز الرؤية في الآخرة فليس بتمام، وقد استدلل القائلون بجوازها قديماً وحديثاً بقوله سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمَدُ نَاصِرَةٌ﴾ ^(٣) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يُؤْمَدُ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾. والدقة في الآيات التي ذُكرت توقفنا على أن المراد بالنظر هو انتظار الرحمة وذلك لوجهين: أولهما لإسناده تعالى النظر إلى الوجوه وليس العيون، والآخر مقابلة الآيات بعضها البعض يرفع الإبهام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمَدُ نَاصِرَةٌ﴾ يقابلها قوله: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمَدُ بِأَسْرَةٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ يقابلها قوله: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾. تدل هذه الآيات إنَّ معنى النظر هنا انتظار الرحمة وأما ما ورد في الروايات حول الرؤية فكلها أخبار آحاد لا تثبت بها العقيدة خصوصاً إذا كانت مضادة للذكر الحكيم، على أن في سند البعض ضعفاً. هذا إجمال القول في توحيده وصفاته الذاتية والفعلية ^(٤).

(١) ظ: نهج البلاغة: تح محمد عبده، ١٦٠ - ١٦١، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين الراوندي، ١/ ٢٧٥، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ٦/ ٣٩٨، وبحار الأنوار: ٥٤/ ١٠٦، ورؤية الله في الكتاب والسنة والعقل: الشيخ جعفر السبحاني، ٣١.

(٢) القيامة: ٢٢-٢٥.

(٣) ظ: رسالات ومقالات، الشيخ جعفر السبحاني، ٢٤.

أما البقية فذهبوا إلى جواز رؤيته في الآخرة: باب الكلام في جواز رؤية الله تعالى بالأبصار فإن قال قائل: فهل يجوز أن يرى القديم سبحانه بالأبصار قيل له: أجل، فإن قال: فما الحجة في ذلك قيل له: الحجة على ذلك أنه موجود تعالى، والشيء إنما يصح أن يرى من حيث كان موجوداً إذا كان لا يرى لجنسه، لأننا لا نرى الأجناس المختلفة ولا يرى لحدوثه إذ قد نرى الشيء في حال لا يصح أن يحدث فيها ولا لحدوث معنى فإن قال فما الدليل على أنه يجوز أن يرى من جهة القرآن؟ قيل له قوله تعالى مخبراً عن موسى (عَلَيْهِ السَّلَام): ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١). فلو كانت الرؤية مستحيلة كما قالت بعض الفرق الإسلامية لاستحال على نبيه وأمينه على وحيه ومن جعله واسطة بينه وبين خلقه ومتحملاً لرسالته طلب الرؤية هذا رأي الباقلاني^(٢).

عموماً خرجنا من هذا البحث الضافي بالنتيجة الآتية: إن المسلمين متفقون جميعاً على توحيده وتنزيهه ووصفه بالكمال. لكن الاختلاف حصل في بعض المسائل الكلامية التي يراها كل طرف وفق رؤية معينة.

وتختلف الشيعة عن الأشاعرة والمعتزلة في المسائل الكلامية الآتية:

أ - إن صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة عين ذاته وجوداً وتحققاً وإن كانت غيره مفهوماً، وذلك لئلا يلزم تعدد القدماء خلافاً لإحدى الفرق التي

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) ظ: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلاني، ٣٠٢.

قالت بزيادة الأوصاف على الذات.

ب - إنَّ التكلم من صفاته الفعلية كالرزق والمغفرة والرحمة.

ج - إنَّه سبحانه مُنَزَّه عن الرؤية في الدُّنيا والآخرة خلافاً لأهل السَّنة حيث قالوا بجوازها في الآخرة^(١).

وقد قدَّم الإمام الحسين (عليه السلام) للدين بنهضته المقدسة، وأحياءاً للتوحيد في العالم بتلك التَّضحية العظيمة ولولا شهادته لم تقم للإسلام قائمة، بعد أن رأى بأم عينه انحراف الدولة والمجتمع عن الدين الحق، من خلال المجاهرة بمظاهر الفسق، والابتعاد عن أحكام الاسلام، فنهض كما قيَّض الله سبحانه وتعالى بيته الهاشمي للقيام بهذا العبيء العظيم، وتحمل ما لا يطيقه غيره في سبيل اعلاء كلمة لا اله إلا الله، معلناً ذلك في البيان الأول لنهضته (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (عليه السلام) أريد أن آمر بالمعروف وأنه عن المنكر)^(٢). مقابل ما علا من صوت للانحراف في مقولة أحدهم: (يا بني أمة تلقفوها تلقف الكرة والذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى

(١) رسالات ومقالات: الشيخ جعفر السبحاني، ٢٥.

(٢) بحار الأنوار : ٤٤ / ٣٢٩، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ١٧٩، والصحيح من سيرة الإمام

علي بن أبي طالب (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العاملي، ٣ / ٢٨٨.

صبيانكم وراثته^(١).

ظهر للعيان جلياً وواضحاً الحق بأبهى صورة وأنصعها يقابله الباطل والشر بأحلك صورة وألعنهما.

ونقل الحراني (ت:ق ٤هـ) كلاماً للإمام الحسين (عليه السلام) عن التوحيد قال: (أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. استخلص الوجدانية والجبروت وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة لا منازع له في شيء من أمره ولا كفو له يعادله ولا ضد له ينازعه ولا سمي له يشابهه ولا مثل له يشاكله لا تدركه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار. وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض، قربه كرامته وبعده إهانته، لا تحله في ولا توقته إذ ولا تؤامره إن. به توصف الصفات لا بها يوصف وبه تعرف المعارف لا بها يعرف،

(١) ظ: بحار الأنوار، ١٩٧/٣١، الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي، ٨٨/١، أحاديث أم المؤمنين

عائشة، السيد مرتضى العسكري، ٢٩٣/١، إفادات من ملفات التاريخ: محمد سليم عرفة، ١٤٠.

فذلك الله لا سمي له، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(١).

وضّحت كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) تحذيره من الأشخاص الذين يشبهون الله تعالى بأنفسهم، وبيانه لعدة صفات من صفات الله تعالى و ما هذا البيان إلا رد عليهم لشدة وصفهم لله بهذه الصفات التي لا تليق به تعالى.

ذكر أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ): اشتد القتال بين جيش الإمام الحسين (عليه السلام) وجيش عمر بن سعد حتى قتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلاً فعندها ضرب الحسين (عليه السلام) بيده إلى لحيته وجعل يقول: اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا لله ولدًا، واشتد غضب الله على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضب الله على المجوس إذ عبدت الشمس والقمر والنار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم اجتمعت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيهم، والله ما أحببتهم إلى شيء مما يريدونه أبدًا حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي^(٢).

بيّنت كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) افتراق الناس من الديانات

(١) تحف العقول عن آل الرسول: ٢٤٤، وبحار الأنوار: ٣٠١/٤، ومستدرك سفينة البحار: ٣٧٥/٩، وحياة الإمام الحسين (عليه السلام): باقر شريف القرشي، ١/١٤٩، وصحيفة الحسين (عليه السلام): جواد القيومي، ٢٢٦، وتوحيد الإمامية: الشيخ محمد باقر الملكي، ٢٣٢.

(٢) ظ: الفتوح، ١٠١/٥، واللّهوف على قتلى الطفوف ١٢٦، وبحار الأنوار: المجلسي، ٤٥/١٢، ولواعج الأشجان: السيد محسن الأمين، ١٣٧، وشرح إحقاق الحق: السيد المرعشي، ١١/٦٣٢، ومسند الإمام الشهيد: ٣٠/٢.

السابقة. على الإسلام في إشراك غير الله في العبادة، فاليهود جعلوا له ولد، والنصارى جعلوه ثالث ثلاثة، والمجوس عبدوا الشمس والقمر والنار دونه (حاشاه تعالى).

وذكر الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ) بسنده أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) سُئِلَ عن التَّوْحِيدِ فقال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢)، فمن رام وراء ذلك فقد هلك^(٣).

وروى الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ): أن الإمام السجاد (عليه السلام) كان في مسجد رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ سمع قومًا يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك وارتاع له، ونهض حتى أتى قبر رسول الله (ﷺ) فوقف عنده، ورفع صوته يناجي ربّه، فقال (عليه السلام): (إلهي بدت قدرتك، ولم تبد هيئته، فجهلوك، وقدروك بالتقدير على غير ما أنت به شبّهوك وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء، إلهي ولم يُدرّكوك، وظاهر ما بهم

(١) الإخلاص: ١.

(٢) الحديد: ٢.

(٣) الكافي: ١/ ٩١، والتوحيد: الشيخ الصدوق، ٢٨٣، وبحار الأنوار: ٣/ ٢٦٤، والوافي: الفيض

الكاشاني، ١/ ٣٦٨-٣٦٩، وميزان الحكمة: ٣/ ١٨٩.

من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن يناولوك، بل سووك بخلقك، فمن ثم لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك ربًّا، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عما به المشبهون نعتوك^(١).

مناقشة ورأي :

أراد الإمام السَّجَاد (عليه السلام) ومن خلال ما قام به من ترك مكانه في مسجد رسول الله (ﷺ) والتوجه إلى قبر جده المصطفى (ﷺ) والدعاء بهذه الكلمات إيصال رسالة شديدة اللهجة مفادها أن الله سبحانه وتعالى لا يُشَبَّه بشيءٍ وقدرته بينت قوته، وفي ختامها ينزه الله عن كل ما قيل به. ومن خلال نقل اقوال الإمامين الحسين (عليه السلام) وولده السَّجَاد (عليه السلام) أبان من أقوالهما غضبهما على القوم الذين يشبهون الله تعالى بأنفسهم، فكانت كلماتهما تفسيرًا دقيقًا لا شبهة فيه لمعنى التوحيد، وأرادا بها إيضاح المعنى المطلوب للتوحيد من خلال الواجب الملقى على عاتقهما بوصفهما إمامين طاعتهما مفترضة من الناس.

(١) ظ: الإرشاد، ١٥٣/٢، وكشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن أبي الفتح الأربلي، ٣٠١/٢، ونهاية المرام في علم الكلام: العلامة الحلي، ٣٠/١، ورسالات ومقالات: الشيخ السبحاني، ٣٠٢، وجواهر التأريخ: الشيخ علي الكوراني، ٢٢٤/٤، وبلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): جعفر عباس الحائري، ٢٢.

المبحث الثاني : الرضا بقضاء الله وقدره

لاشكَّ أنَّ القضاء والقدر من تعاليم القرآن ومن العقائد الإسلامية الهامة، لكن هذا الشيء لا يسلب الاختيار عن الإنسان ويجعله مكتوف الأيدي على صعيد الحياة^(١). وإنَّ النزاع في القضاء والقدر ونسبتهما إلى الأفعال يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري الذي انتشرت فيه الدعوة الإسلامية خارج البلاد العربية واتصل المسلمون العرب بغيرهم من الأمم ذات الديانات المختلفة^(٢).

وقد لجأ البعض إلى مسألة القضاء والقدر بمفهومها المُحرّف، أو إلى مسائل حسن الطالع والحظ وعدمهما، وما شابه ذلك، فيرجعون كل الحوادث الحسنة أو السيئة إلى هذه الأمور. وكل ذلك بسبب الخوف من الأسباب الحقيقية لتلك الأمور، وبين القرآن الكريم أنواع العلاج وأسباب النَّصر والهزيمة الأمور^(٣).

ومع العلم أنَّ مسألة القضاء والقدر من مباحث التوحيد إلا أنَّ البحث

(١) ظ : الحديث النبوي بين الدراية والرواية، الشيخ السبحاني، ٥٨.

(٢) ظ : دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم الحسني، ٢٣٠ هامش رقم ١.

(٣) ظ : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٤٦١ / ٥.

أفرد مبحثاً خاصاً بها لأهميتها الكبرى من جهة، ولعلاقتها بالخطاب الحسيني من جهة أخرى، إذ سيذكر البحث المسائل التي لها علاقة وثيقة بمسألة القضاء والقدر عند قائل الخطاب الحسيني، وهذا سيتضح في هذا المبحث.

أولاً: القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح :

١- القضاء لغةً

ق ض ي — (القضاء) الحكم والجمع (الأفضية) و (القضية). و (قضى) يقضي بالكسر (قضاء) أي حكم ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهَهُ ﴾^(١) وهنا يعني الحكم^(٢).

«ويكون القضاء بمعنى الصنع والتقدير يقال : قضى الشيء قضاءً : إذا صَنَعَهُ وَقَدَّرَهُ ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٣) أي خَلَقَهُنَّ وَعَمَلَهُنَّ وَصَنَعَهُنَّ وَقَدَّرَهُنَّ وَأَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ»^(٤).

(١) الإسراء : ٢٣.

(٢) ظ: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي : ٥٤٠ - ٥٤١.

(٣) فصلت : ١٢.

(٤) تاج العروس : الزبيدي، ٢٠ / ٨٤.

وهذه هي أهم الآراء في معنى القضاء لغةً التي يأتي أهمها بمعنى الإحكام والصنع.

٢- القضاء اصطلاحاً:

ذكر العيني (ت : ٨٥٥هـ) : القضاء هو الأمر الكلي الإجمالي الذي في الأزل^(١). وعرفه المقداد السيوري (ت : ٨٢٦هـ) بأنه : بأنه ولاية الحكم شرعاً لمن له الفتوى بجزئيات القوانين الشرعية على أشخاص معينة بشرية بإثبات الحقوق واستيفاء ما للآدميين منه^(٢)، وعُرف بأنه : ولاية شرعية على الحكم في المصالح العامة من قبل الله (ﷻ)^(٣)، وعرفه القاضي عبد النبي عبد الرسول النكري : تفريط في تفويض الأمور إلى الله تعالى بحيث يصير العبد خالقاً لأفعاله مستقلاً في إيجاد الشرور^(٤). فهنا معنى القضاء اصطلاحاً : هو الولاية من قبل الله تعالى على الناس.

٣- القدر لغةً:-

ق د ر - (قَدَرُ) الشيء مَبْلَغُهُ وقدر الله ، و (قَدْرُهُ) بمعنى وهو في الأصل

(١) عمدة القاريء : ٢٠ / ١٥٢ .

(٢) ظ : التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، المقداد السيوري، ٤ / شرح ص ٢٣٠، وظ : مسالك الإفهام

: الشهيد الثاني زين الدين العاملي، ١٣ / ٣٢٥ .

(٣) جامع الأحكام : السيد الخونساري، ٦ / ٢ .

(٤) ظ : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المسمى (دستور العلماء)، ١ / ٣٨٣ .

مصدر، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(١). أي ما عَظَّمُوهُ حَقَّ تعظيمه ^(٢). وهو القضاء والحكم وهو ما يقدره الله تعالى من القضاء و ما يحكم به من الأمور ^(٣).

٤- القدر اصطلاحاً:

عرفه الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ) :- (الْقَدْرُ والتَّقْدِيرُ: تبين كمية الشيء. يقال: قَدَرْتُهُ وَقَدَّرْتُهُ، وَقَدَّرَهُ بالتشديد أعطاه القُدْرَةَ، يقال: قَدَّرَنِي اللهُ عَلَى كَذَا وقواني عليه، فتقدير الله الأشياء على وجهين:- أحدهما: بإعطاء القدرة ، والثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة ^(٤)).

وعرف العيني (ت: ٨٥٥هـ) القدر اصطلاحاً بأنه: (جزئيات الأمر الكلي وتفاصيل ذلك المجمل الواقعة في ما لا يزال) ^(٥).

وعرفه القاضي عبد النبي عبد الرسول الأحمـد نكري (ت: ١١٧٣هـ) : (تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة فتعلق كل حال

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) مختار الصحاح: ٥٢٣.

(٣) لسان العرب: ابن منظور، ٣/ ٣١٤٩.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٥٨.

(٥) عمدة القاري: ٢٠٠ / ١٥٢.

من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن قَدَر^(١).

وجمع الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) المعنيين بقوله: (أوضح معاني القضاء: هو البت والإمضاء الذي لا مرد له. وأوضح معاني القدر أنه التقدير^(٢)).

بعد نقل أقوال العلماء في المعنى اللغوي والاصطلاحي للقضاء والقدر، تبين للبحث أن المعنيين اللغوي والاصطلاحي للقضاء متقاربان ويشتركان بشيء مهم وهو الحكم. أمّا القدر فمعناه اللغوي يختلف عن معناه الاصطلاحي، فالمعنى اللغوي: هو تقدير الأشياء وفي أكثرها يكون التقدير بشيء معين، أمّا المعنى الاصطلاحي: يتفرع من المعنى اللغوي للقضاء فهو جزء منه حسب تعبير العيني (ت: ٨٥٥هـ).

ثانيًا: القضاء والقدر بين أهم الفرق الإسلامية :-

تعد مسألة القضاء والقدر من أقدم الأبحاث في تاريخ الاسلام، وفي كون الانسان مجبوراً في فعله أم مخيراً أم غيرها، تشعب جماعة الباحثين على آراء هي: أولاً: رأي الشيعة الإمامية، وخلاصة الكلام يتمثل بالطريق الوسط في القول بين القولين، كما قال الأئمة (عليهم السلام) وكما قال الإمام جعفر بن

(١) جامع العلوم في إصطلاحات الفنون المسمى (دستور العلماء): ٥٩ / ٣.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٤ / ٣٦٠.

محمد الصادق (عليه السلام): (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)^(١).

ثانيًا: المفوضة أثبتوا اختيارية الأفعال ونفوا تعلق الإرادة الإلهية بالأفعال الإنسانية فاستنتجوا أنها مخلوقة للإنسان، وتفرعت من الطائفتين آراء ساذجة، كخلق المعاصي، وأنَّ العالم غير محتاج في بقاءه إلى الصانع إلى غير ذلك التفاهات. والأصل في جميع ذلك عدم تفقهمهم في فهم تعلق الإرادة الإلهية بالأفعال وغيرها والبحث فيها طويل الدليل لا يسعه المقام على ضيقه (وهو رأي المعتزلة).

ثالثًا: المجبرة أثبتوا تعلق الإرادة الحتمية الإلهية بالأفعال كسائر الأشياء وهو القدر وقالوا بكون الإنسان مجبورًا غير مختار في أفعاله والأفعال مخلوقة لله تعالى وكذا أفعال سائر الأسباب التكوينية مخلوقة له (وهو رأي الأشاعرة)^(٢).

ومعنى الجبر أنَّ الإنسان لا أثر له إطلاقًا في أفعاله، وإنما هي بالنسبة إليه تمامًا كجريان الدَّم في عروقه، وخروج النَّفس من أنفه. ومعنى التفويض أنَّ الله أمر العبد ونهاه، وأعطاه القدرة على الطَّاعة والمعصية، ثم فوض إليه

(١) الكافي: ١/ ١٦٠، والهداية: الشيخ الصدوق، ١٨، وعدة الداعي ونجاح الساعي: ابن فهد الحلبي، ٣٠٥، والوافي: ١/ ٥٤٥، وهداية الامة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي: ١/ ١١، وصحيفة الرضا (عليه السلام): الشيخ جواد قمي، ٣٧٠، ورسالات ومقالات: الشيخ السبحاني، ٣٧٨.

(٢) الكافي: كتاب التوحيد، الشيخ الكليني: ١/ ١٥٥ هامش رقم ١.

أمر هذه القدرة يفعل بها ما يشاء، وقطع سبحانه كل علاقة بينه وبين هذه القدرة، بحيث أصبح الله بالنسبة إلى قدرة العبد بعيداً عنها تماماً كالبائع الذي باع سلعته للمشتري يفعل بها ما يريد بلا مزاحم ومعارض.

ومعنى - أمر بين الجبر والتفويض - أن الله بعد أن أمر العبد ونهاه منحه القدرة ولم يحرمه إياها كما زعم الجبريون، ولكنه تعالى لم يعرض كلية عن هذه القدرة ويقطع العلاقة بينه وبينها كما ادعى المفوضية، بل بقيت قدرة العبد في قبضة خالقها وتحت سلطته ينزعها من العبد متى شاء، وبهذا الاعتبار يكون العبد مسيراً لا مخيراً، وأيضاً بالقدرة التي منحها الله له يستطيع أن يفعل ويترك، ويكون من هذه الجهة مخيراً لا مسيراً، ومعنى هذا إنَّ العبد مسير من جهة، ومخير من جهة، هذا هو معنى بين الأمرين الذي قال به الشيعة الإمامية^(١).

هذه هي أهم أراء الفرق الإسلامية في مسألة القضاء والقدر وكل فرقة من هذه الفرق لديها الدليل الذي تعتمد عليه في قولها ، فالأشاعرة ترى أنَّ الإنسان مجبور في أفعاله بعد أن اعطاه الله القدرة، أمّا المعتزلة فرويتهم تتلخص بأنَّ الإنسان مختار في أفعاله يختار منها كيف يشاء؛ وبهذه الرؤية يكون الإنسان مخيراً في كل أعماله.

ورأي الإمامية هو الأمر بين الأمرين كما صرح بذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في الحديث الذي ذكرناه، ويعني أن الإنسان يكون مخيراً في بعض الأفعال ومسيراً في أخرى، وكلّ لديه دليل يعضده في رأيه.

والإمام الحسين (عليه السلام) ومعه كل أصحاب الخطاب الحسيني رضوا كل الرضا بقضاء الله وقدره لهم، فالإمام الحسين (عليه السلام) بين ذلك من خلال كل ما قاله من أقوال سواء كان ذلك قبل نهضته المباركة أو في أثناءها أو حتى في لحظاته الأخيرة قبل شهادته وهو اتخاذ جده النبي إسماعيل (عليه السلام) قدوة له الذي استجاب لأبيه إبراهيم (عليه السلام) عندما قال له: أمرني الله أن أذبحك، فقال: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) فاستحق أن يكون الإمام الحسين (عليه السلام) ذبيح الله إسوةً بجده إسماعيل (عليه السلام) لأنهما سلّما أمرهما لله تعالى ورضيا بقضاء الله وقدره لهما.

ثالثاً: شذرات من الخطاب الحسيني في القضاء والقدر :-

القضاء والقدر متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر إذ إنّ القدر بمنزلة الأساس، والقضاء بمنزلة البناء، ووجه كون الصبر والرضا رأس الطاعة ظاهر إذ بانتفاء الصبر في المصيبات والعبادات والمنهيات يتحقق

الجزع والشكوى عن الله^(١).

والقضاء والقدر على قسمين :

١ - ما كان معلقا على اختيار العبد، كالخسارة والربح مثلا، فهذا راجع لمشيئة الإنسان، وعلم الله بوقوعه عن اختيار العبد ليس سببا لوقوع العبد في ذلك العمل.

٢ - ما كان غير معلق على مشيئة العبد، فهذا قضاء حتمي كالغنى والفقر، والآجال، وليس بيد العبد، وهذا هو ظاهر القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٣). والمقصود بليلة القدر كما في الروايات ليلة التقدير - تقدير الأرزاق والآجال ونحوها - والله العالم^(٤).

مما ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) في القضاء والقدر من دعاء عرفة قوله: (إلهي إن القضاء والقدر يمنيني، وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرني، فكن أنت النصير لي حتى تنصرني و تبصرني، وأعني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك

(١) شرح أصول الكافي : مولى محمد صالح المازندراني، ١٩٦/٨.

(٢) التوبة : ٥١.

(٣) القدر : ١.

(٤) صراط النجاة : السيد الخوئي، ٣/ ٤٤٣-٤٤٤.

ووحدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم، حيث استبانتم لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك^(١).

وتتلخص عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية في " القضاء والقدر " بما يأتي: لَمَّا كان الله سبحانه وتعالى مفيض الوجود ومعطيه، فالأفعال الصادرة منا تكون داخلية في سلطانه، ومن جملة مقدراته، ومن ناحية كونها صادرة منا ونحن أسبابها الطبيعية فهي داخلية تحت قدرتنا واختيارنا، وهو لم يجبرنا عليها، بل أعطانا القدرة والاختيار في أفعالنا ولذا فهو حين يعاقبنا على المعاصي لا يكون ظالمًا لنا. ولا فَوْض خلقها إلينا حتى تخرج عن سلطانه^(٢). وبما بيّناه تبين أنَّ القضاء والقدر جاريان في أفعال العباد كما يجريان في سائر شؤونهم، ولا يوجبان إجبارهم على فعل ما قدر لهم وإنما يوجبان منعهم عما لم يقدر لهم على ما يرتكبه العبد من العصيان إنما هي من جهة إمهاله وإطلاق عنانه وعدم منعه عما قدّر له^(٣). وأضاءت كلمات المعصومين للمسلمين الطريق في فهم معنى القضاء والقدر.

(١) بحار الأنوار : ٩٥ / ٢٣٦، ومناسك الحج : السيد السيستاني، ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٢) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ١ / هامش ص ٣١٠.

(٣) الفوائد البهية : السيد علي البهبائي، ٢ / ٤٨٨.

رابعاً: النهضة الحسينية ومسألة القضاء والقدر :-

صرَّح الإمام الحسين (عليه السلام) عن رضا الله تعالى بنهضته المباركة، وأن الله تعالى قد اختارها له، في أكثر من موضع منها :-

قوله (عليه السلام) عندما عزم على الخروج إلى العراق: الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرعُ أنا لاقيه. كأنَّ بأوصالي تتقطعها عسلان الفلوات بين النَّواويس وكربلاء، إلى أن قال... رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصَّابرين^(١).

واختلف العلماء في أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هل كان يعلم بشهادته أو لا ؟ فهناك من قال: بأنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) إنطلق بنهضته لأمر غيبية خاصة به وجهت إليه وأنَّه نهض تطبيقاً لتلك الأمور الغيبية الربانية، وهم: السيد ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، والعلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)،

(١) شرح الأخبار: القاضي النعماني، ٣/ هامش ص ١٤٦، والمسائل العكبرية: ٧١، هامش رقم ١، ونزهه الناظر وتنبه الخاطر: الحسين بن محمد الحلواني، ٨٦، ومثير الأحزان: ٢٩، وبحار الأنوار: ٣٦٦-٣٦٧، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٢١٦ - ٢١٧، ولواعج الأشجان: ٧٠، ومعالم المدرستين: ٣/ ٦١، وجراب النورة بين اللغة والاصطلاح: السيد محمد رضا الجاللي، ١٢ - ١٣، والأئمة الإثنا عشر: الشيخ السبحاني، ٨٣.

والشيخ جعفر التستري (ت: ١٣٠٣هـ) والسيد محسن الأمين

(ت: ١٣٧١هـ)، والسيد محمد محمد صادق الصدر (ت: ١٤٢١هـ).

وهناك القائلون بأنَّ هدف الإمام الحسين (عليه السلام) هو الشهادة أو ما

سيترتب عليها من آثار إيجابية أدت فيما بعد إلى زوال دولة بني أمية : وممن

ذهب إلى هذه النظرية: السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، والسيد هبة

الدين الشهرستاني (ت: ١٣٨٦هـ)، والدكتور علي شريعتي (ت: ١٣٩٥هـ)،

والسيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، والسيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)

والشيخ محمد فاضل اللكراني (ت: ١٤٢٨هـ)، والسيد مرتضى العسكري

(ت: ١٤٢٨هـ)، والشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت: ١٤٢٢هـ)، والشيخ

محمد مهدي الآصفي (ت: ١٤٣٧هـ) ، والسيد الخامنئي، والسيد محمد تقي

المدرسي ، وآخرهم السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظلّه الوارف)^(١).

وفي كلتا الحالتين فإنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) خرج لإقامة الدين

الإسلامي بعد إصابته بالكثير من التشققات والتصدعات بعد تسلط بني أمية

على الحكم.

إذاً كان الهدف الأسمى للإمام الحسين (عليه السلام) هو أداء الواجب

المكلف به بوصفه إماماً وهو: عدم السكوت على الظلم والفساد ليعيد للأمة

(١) ظ: معالم النهضة الحسينية واحكامها الشرعية، رسالة ماجستير، صلاح عودة الدعي، ٣٣-٣٩.

الواعية عصر جده رسول الله محمد (ﷺ) وعصر أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وسار من بعده كل الأئمة (سلام الله عليهم أجمعين).

المبحث الثالث : النبوة

المطلب الأول النبوة العامة:—

أولاً : تعريف النبوة:—

وهو مشتق إمّا من (النبأ) بالهمز بمعنى الخبر لأنّ النبيّ هو المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحدٍ من البشر، أو من (النبوة) بمعنى الارتفاع لارتفاع قدره على جميع مَنْ سواه، وإمّا من (النبيّ) وهو الطريق الواضح لأنّ النبيّ هو طريق الخلق إلى خالقهم. وقد تُطلق أيضاً على الإخبار عن الحقائق الإلهية والمعارف الربانية^(١).

وعرفها الشيخ جعفر السبحانيّ بقوله: إنها سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده، لتدبير حياتهم في أمر معاشهم ومعادهم، والنبيّ هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة^(٢).

ثانياً— عصمة الأنبياء:—

قال الرازيّ: (ت: ٦٠٦هـ) اختلفت الأمة في عصمة الأنبياء

(١) الرسائل الأحمديّة: الشيخ أحمد آل طعان البحرانيّ، ١/ ١٦٨.

(٢) محاضرات في الإلهيات: ٢٤٥.

(عليه السلام) على قولين: — أحدهما: قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنباً صغيراً كان أو كبيراً لا عمداً ولا سهواً. والآخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم ثم اختلفوا فيما يجوز وما لا يجوز^(١).

الأول يسنده قول الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ): إن جميع أنبياء الله (عليهم السلام) معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها، وما يستخف فاعله من الصغائر كلها، وهذا مذهب جمهور الإمامية، والمعتزلة بأسرها تخالف فيه. والقول في عصمة نبينا محمد (ﷺ) إنه ممن لم يعص الله منذ خلقه الله (ﷻ) إلى أن قبضه ولا تعمد له خلافاً ولا أذنب ذنباً على التعمد ولا النسيان، وبذلك نطق القرآن وتواتر الخبر عن آل محمد (عليهم السلام). وأما ما يتعلق به أهل الخلاف من قول الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢). وأشبه ذلك في القرآن ويعتمدونه في الحجة على خلاف ما ذكرناه فإنه تأويل بضد ما توهموه، والبرهان يعضده على البيان، وقد نطق الفرقان بما قد وصفناه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(٣). فقال: (ﷻ)، فنفي بذلك عنه كل معصية ونسيان^(٤).

(١) ظ: المحصول، ٣/ ٢٢٥.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) النجم: ١ - ٢.

(٤) ظ: أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٦٢ - ٦٣.

والرأي الآخر في عصمة الأنبياء ذكره الغزالي (ت: ٥٠٥هـ): لَمَّا ثَبَتَ ببرهان العقل صدق الأنبياء وتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ما يناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، أما ما يرجع إلى مقارفة الذنب فيما يخصه ولا يتعلق بالرسالة فلا يدلُّ على عصمتهم عنه، عندنا دليل العقل، بل دليل التوقيف والاجماع، قد دلَّ على عصمتهم عن الكبائر وعصمتهم أيضاً عما يصغر أقدارهم من القاذورات، كالزنا والسرقة واللواط، أما الصغائر فقد أنكرها جماعة وقالوا: الذنوب كلها كبائر، فأوجبوا عصمتهم عنها، والصحيح أن من الذنوب صغائر، وهي التي تكفرها الصلوات الخمس واجتناب الكبائر، كما ورد في الخبر، فإن قيل: لِمَ لَمْ تَبْتَ عَصَمَتَهُم بِدَلِيلِ الْعَقْلِ، لَأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَعْصِمُوا لَنَفَرَتْ قُلُوبُ الْخَلْقِ عَنْهُمْ، قُلْنَا: لَا يَجِبُ عِنْدَنَا عَصَمَتُهُمْ مِنْ جَمِيعِ مَا يَنْفَرُ، فَقَدْ كَانَتْ الْحَرْبُ سَجَالاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَنْفَرُ قُلُوبُ قَوْمٍ عَنِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَعْصِمْ عَنْهُ، وَإِنْ ارْتَابَ الْمَبْطُلُونَ، مَعَ أَنَّهُ حَفِظَ عَنِ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ كَي لَا يَرْتَابَ الْمَبْطُلُونَ^(١).

وردَّ عليه الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ) بقوله: إِنَّ الْآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا

يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فيها دلالة على وجوب عصمة الأنبياء قبل البعثة^(٢).

(١) ظ: المستصفى، ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) ظ: الوافي، ٦ / ٥٩٠.

وذكر الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ): تعليلاً لرأي الجمهور النافين عصمة الأنبياء، أنهم إنما نفوا عصمتهم فيما ليس له تعلق بتبليغ الأحكام الشرعية كتدبير الحرب واستصلاح الجيش ونصب العمال وعزلهم وما أشبه ذلك، وأما ما يتعلق بالأحكام الشرعية وتبليغها فقد أوجبوا العصمة فيها، لأن الخطأ فيها منافي لما يقتضيه المعجزة من وجوب تصديق النبي فيما يبلغه عن الله تعالى، والقول بجواز صدور الخطأ فيها عنه سهواً^(١).

والنبوة فضل الله وهي: وهبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص لها من يريد من خلقه، وهي لاتدرك بالجد والتعب، ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما هي بمحض الفضل والاختصاص فهذا الاصطفاء والاختيار لا يكون إلا من اختاره الله تعالى لها ممن هم أهل لحملها لأنها حملٌ ثَقِيلٌ وتكليفٌ عَظِيمٌ لا يقدر عليها إلا أولي العزم من الرجال الذين هم على قدر كبير من المسؤولية لتحمل هذا الحمل الكبير والأمانة الملقاة على عاتقهم^(٢).

ونقل أستاذنا الدكتور حكمت عبيد الخفاجي: (أن أحوال الكون ومراتب الحياة و يقينات الآخرة لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها لوحده

(١) ظ: جواهر الكلام، ٣٠/ ١٤٠- ١٤١.

(٢) ظ: النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، ١٠.

إلا بالاستعانة بما يحقق الاتصال بالله وهم الأنبياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١)^(٢).

والنتيجة أن البشر لن يصلوا إلى الكمال العلمي بحسب الواقع والحقيقة، بل إن البشرية ستظل تبحث وتبحث عن الحقيقة، وهذا دليل على النقص والعجز البشري في بلوغ الكمال، والحاجة إلى الله جلّ جلاله؛ لأنه هو المحيط بكلّ الحقائق ومطلق الوجودات، ويعلم بكلّ القوانين والمعادلات. ومن خلال النقطتين السابقتين نستطيع أن نردّ بأن البشرية لم تصل إلى مرحلة النضج البشري والله يعلم إلى أيّ درجة سيكون الفارق بيننا وبين الأجيال القادمة في التقدّم العلمي وأساليب المعيشة^(٣).

والثابت بعد ما ذكر سابقاً عندنا حاجة الإنسان لوجود الأنبياء لأنه لا يستطيع تحقيق كل أغراضه بنفسه، فلا بد من وجود مصلح أو مهدي له يوجهه لتحقيقها، وهذا المصلح هو النبيّ الذي أرسله الله تعالى لهداية الناس وإصلاحهم.

ونلاحظ مع وجود الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى بكثرة، والبشرية

(١) آل عمران : ١٦٤.

(٢) الإمام الباقر وآثره في التفسير : ٣٠٢.

(٣) ظ: بحوث معاصرة على الساحة الدولية: الشيخ محمد السند، ٤١.

لم تصل إلى مرحلة الكمال، فلا زالت الخلافات والنزاعات تضرب فيها مع وجود الأنبياء فكيف يكون الحال بدونهم، ومن هنا قام الإمام الحسين (عليه السلام) بالوقوف ضد الباطل المتمثل بالحكم الأموي المنحرف عن تعاليم السماء.

رابعًا: أهداف النبوة:—

يلخص القرآن الكريم أهداف بعثة الأنبياء في الأمور الآتية :

١ - تقوية أسس التوحيد ومكافحة كل نوع من أنواع الانحراف في هذا الصعيد، كما يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١) يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حول الهدف من بعث الأنبياء: (ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه)^(٢).

٢ - إيقاف الناس على المعارف والرسالات الإلهية وعلى طريق التزكية والتهذيب، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

(١) النحل: ٣٦.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠/٢، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٧١/٢، الكافي: ٣٨٧/٨، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ١٠٣/٩، وبحار الأنوار: ٢٢١/١٨، ومستدرک نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء، ٤٢، وميزان الحكمة: ٣٠٠٦/٤.

ءَايِنِهٖ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿١﴾.

٣ - إقامة القسط في المجتمع البشري، كما يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢). ومن المسلم أن إقامة القسط رهن معرفة الناس للعدالة في جميع الأبعاد والمجالات.

٤ - الفصل في الخصومات وحل الخلافات، كما يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(٣). ومن البديهي أن اختلافات الناس لا تنحصر في مجال العقائد، بل تشمل شتى مجالات الحياة المتنوعة.

٥ - إتمام الحجة على العباد كما يقول تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤). ومن المسلم أن الله تعالى في خلق الإنسان هدفاً وغرضاً، وهذا الهدف إنما

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) النساء: ١٦٥.

يتحقق عن طريق تنظيم برنامج كامل لجميع شؤون البشر. وهذا البرنامج يجب أن يصل إلى البشرية، بحيث تتم حجة الله على الناس ولا يبقى عذر لأحد ليقول: أنا لم أعرف البرنامج الصحيح للحياة في طرق معرفة الأنبياء^(١). وكرر سبحانه وتعالى في آيات عديدة أن هدف الأنبياء المرسله والكتب المنزلة واحد، هو هداية الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة^(٢).

وبكل ما سبق ذكره، أراد الله تعالى إلقاء الحجة على الناس بإرسال الأنبياء لهم لينذر وهم ويحذروهم وولم تخل بقعة من الأرض إلا وأرسل الله تعالى لها نذير، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣). ومن مقتضيات العدل الإلهي أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين إلى كافة أرجاء الأرض، وهذه الأهداف التي ساقها القرآن الكريم أراد بها الله تعالى للإنسان أن يصل إلى أعلى مراتب الكمال بها، فالكمال كل الكمال هو الإنصياح لأوامر الله سبحانه وتعالى وتجنب نواهيه من خلال ما يوصله النبي (ﷺ) والأئمة الأطهار إلى المسلمين.

(١) ظ: العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت، الشيخ جعفر السبحاني، ١١٥-١٢٠.

(٢) ظ: التفسير المبين، محمد جواد مغنية، ١٤٦.

(٣) فاطر: ٢٤.

المطلب الثاني النبوة الخاصة:—

نقصد بالنبوة الخاصة:

نبوة نبي الإسلام محمد بن عبد الله (ﷺ) فنقول: ولد (ﷺ) بمكة عام (٥٧١م) وقام بالدعوة في أوائل القرن السابع الميلادي (٦١٠م) وأول ما بدأ به، دعوة أقربائه وعشيرته، وبعد سنوات - استطاع في أثنائها هداية جمع من عشيرته - وجه دعوته إلى عموم الناس، ثم استمر في رسالته والناس بين مؤمن به مفاد بنفسه ونفيسه، وعدو ي نابذه ويتحين الفرص للفتك به وقتله، فلما أحس بالخطر، غادر موطنه إلى مدينة يثرب فأقام هناك سنين عشر، إلى أن أجاب داعي الموت وذلك في عام ٦٣٣م^(١).

وبما أن نبينا محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والرسل، وصاحب الرسالة الخاتمة الخالدة، فلا بد أن تكون معجزته خالدة أيضًا. وبما أن العصر الذي بعث فيه كان عصر تفاخر وتنافس بالفصاحة والبلاغة في النظم والنثر، وكان للفصحاء البلغاء مكانة كبيرة في ذلك المجتمع، لذلك اقتضت حكمته تعالى أن تكون معجزته القرآن الكريم ويكون معجزة خالدة ودليلاً مستمرًا على نبوته^(٢).

(١) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، ٢٩٣.

(٢) ظ: منهاج الصالحين، الشيخ الوحيد الخراساني، ٧١.

أولاً: وظيفة النبي (ﷺ): —

ذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ): إن إحدى وظائف النبي (ﷺ) في رسالته: هو البلاغ المبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾^(١). فقال: فإن تولوا، أي يتفرع على هذا البيان الذي ليس فيه إلا دعوتهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم من غير أن يتبعه إجبار أو إكراه أنهم إن تولوا واعرضوا عن الإصغاء إليه والاهتداء به فإنما عليك البلاغ المبين، والتبليغ الواضح الذي لا إبهام فيه ولا ستر عليه لأنك رسول وما على الرسول الا ذلك. وفي الآية تسلية للنبي وبيان وظيفة له^(٢).

وقد تأكدت حقيقة أن وظيفة النبي (ﷺ) هي إنذار الناس عن طريق الوحي الإلهي، بتقرير الآية القرآنية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾^(٣). فتوجه الخطاب إلى النبي (ﷺ)، فتقول: قل إنما أُنذركم بالوحي وإذا لم يؤثر في قلوبكم القاسية، فلا عجب من ذلك، وليس ذلك دليلاً على نقص الوحي الإلهي، بل السبب هو ولا يسمع الصم

(١) - التغابن: ١٢.

(٢) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ١٢/ ٣١٥.

(٣) الأنبياء: ٤٥.

الدُّعاء إذا ما يندرون^(١).

وذكر سيد محمد طنطاوي (ت: ١٤٣١ هـ) في تفسير الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢)، أي: إِنَّ وظيفتك - أيها الرسول الكريم - هي إنذار هؤلاء الجاحدين بسوء المصير، إذا ما لجوا في طغيانهم، وأصروا على كفرهم وعنادهم وليس من وظيفتك الإتيان بالخوارق التي طلبوها منك. وإنما قصر - سبحانه - هنا وظيفة النبي على الإنذار، لأنه هو المناسب لأحوال المشركين الذين أنكروا أن القرآن معجزة^(٣). ومن المُحدِّثين الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير الذي قال: «أما الرسول الأعظم فوظيفته أداء رسالته بكل أمانة ودقة وإخلاص، ضلُّوا عنها أو هدوا إليها: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمِمْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)»^(٥).

هذه هي ابرز وظائف النبي محمد (ﷺ) التي ذكرها العلماء في كتبهم ولكل وظيفة ميزة معينة تم بيانها باختصار.

(١) ظ: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٠/ ١٧٣.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) ظ: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٧/ ٤٤٩.

(٤) الزخرف: ٤٣.

(٥) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ١٩٩.

ثانيًا: العلاقة بين النبوة والخطاب الحسيني:-

هناك علاقة وشيجة بين النبوة والخطاب الحسيني اتضحت من خلال الأقوال والأفعال:- فأول ما بدأ به الإمام الحسين (عليه السلام) قبل خروجه من مكة هو زيارة قبر جده المصطفى (صلى الله عليه وآله).

نقل أحمد بن أئثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ) قال: وخرج الحسين بن علي من منزله وأتى إلى قبر جده (صلى الله عليه وآله)، فقال: السّلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرحك وابن فرختك وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك، ثم وثب قائما وصف قدميه ولم يزل راکعًا وساجدًا^(١).

ونقل الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) محاوره بين الإمام السّجاد (عليه السلام) وجابر الأنصاري (رضي الله عنه) قال: لمّا دخل عليه ووجده في محرابه قد أنضته العبادة: يا بن رسول الله، أما علمت أنّ الله إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته

(١) ظ: الفتوح، ١٨/٥، والفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي، ٧٨٤/ هامش رقم ١، وبحار الأنوار: ٣٢٧/٤٤، وقادتنا كيف نعرفهم: السيد محمد هادي الميلاني، ٥٨٥/٣، ولواعج الاشجان: ٢٧، وموسوعة شهادة المعصومين: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ٨٧/٢، ومسند الإمام الشهيد: ٢٦٩/١.

نفسك؟ فقال علي بن الحسين (عليه السلام): يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدّي رسول الله (ﷺ) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد له، وتعبّد بأبي هو وأُمّي حتّى انتفخ الساق وورم القدم. وقيل له: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. ثم قال له جابر: يا بن رسول الله، البُقيّا على نفسك فإنك من أسرة بهم يُستدفع البلاء، وبهم يُستمطر السماء، فقال: يا جابر، لا أزال على منهاج أبويّ، متأسياً بهما - صلوات الله عليهما - حتّى ألقاهما. فأقبل جابر على مَنْ حَضَرَ، فقال لهم: ما رُئي من أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب، والله لذُرّيّة علي بن الحسين أفضل من ذرّيّة يوسف^(١).

ونقل أبو مخنف (ت: ١٥٧ هـ) بسنده، قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب بنت علي (عليها السلام) حين مرت بأخيها الحسين صريعاً، وهي تقول: يا جداه، يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا،

(١) ظ: الأُمالي، ٦٣٧، ومناقب آل أبي طالب: إبن شهر آشوب، ٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠، ومدينة المعاجز: السيد هاشم البحرانيّ، ٤/ ٢٤٥ - ٢٤٦، وبحار الأنوار: ٤٦ / ٦١، وميزان الحكمة: ٤ / ٣٢٣٣، ومعجم أحاديث الإمام المهدي (عج): علي الكورانيّ العامليّ، ٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨.

وذريتك مقتلة، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق^(١). وهذا أول شيء قالتها الحوراء زينب بعدما رأت جسد أخيها الحسين (عليه السلام) مسجى أمامها، الاستغاثة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها اتخذته قدوة لها.

ولوحظ مما سبق شدة تعلق أرباب الخطاب الحسيني برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما وضح في أفعالهم وأقوالهم وما هذا التأكيد إلا ليبين تمسكهم به، ويوجد غيره الكثير تم ذكره في الفصول الأخرى من البحث كل بحسب موضعه .

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام)، أبو مخنف، ٢٠٣-٢٠٤، وتاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨-٣٤٩، والفتوح: ١٢٠ / هامش رقم ١، واللهوف في قتلى الطفوف: ٧٨، ومرقد الإمام الحسين (عليه السلام): السيد تحسين آل شبيب، ٧٣، وعلى خطى الحسين (عليه السلام): الدكتور أحمد النفيس، ١٣٦.

المبحث الرابع: الإمامة

أولاً: تعريف الإمامة :-

عرف القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ) الإمامة: (إِسْمٌ لِمَنْ لَهُ الْوَلَايَةُ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالتَّصَرُّفُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى وَجْهِ لَا يَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ، احْتِرَازًا عَنِ الْقَاضِي وَالْمُتَوَلَّى. فَإِنَّهُمَا يَتَصَرَّفَانِ فِي أَمْرِ الْأُمَّةِ وَلَكِنْ يَدُ الْإِمَامِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)^(١).

وذكر العلامة الحلي (ت: ٧٢٦ هـ) بأنّها: (رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله)^(٢)، ونقل جمعٌ من العلماء التعريف السابق عنه^(٣).

ومن الأشاعرة التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ) قال: (هي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ)^(٤).

(١) شرح الأصول الخمسة: ٥٠٩.

(٢) النافع يوم الحشر في الباب الحادي عشر: ٩٣.

(٣) النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة: ابن ميثم البحراني: ٧، وأسس النظام السياسي عند الإمامية: الشيخ محمد السند، ١٢٦،

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢٣٤.

وعرف الشيخ المظفر (ت: ١٣٨٣ هـ) الإمامة بأنها: لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى مافيه الصلاح والسعادة في النشاطين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصلحتهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم^(١).
ومن المعاصرين علي الكوراني العاملي: هي منصب رباني، فهي من مختصات الله تعالى كالنبوة. وهي درجة ربانية تعني القدوة الكامل لكل الأجيال^(٢).

ثانياً: معنى الإمامة: —

ذهب أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) إلى أن الإمامة من أصول الدين، واستندوا في ذلك إلى أدلة قطعية، منها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣). فالدين الذي يتضمن التوحيد والعدل والنبوة والمعاد لم يتم إلا بعد إثبات إمامة علي يوم الغدير، فكيف لا نجعل الإمامة من أصول الدين، والدين لم يكن مرضياً عند

(١) ظ: عقائد الإمامية، ٦٥ - ٦٦.

(٢) ظ: عصر الشيعة، ٢٣٣.

(٣) المائدة: ٣.

الله تعالى إلا بالإمامة. وكذلك آية المودة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١). أي إن الدين في كفة بما يتضمّنه من توحيد وعدل ونبوة ومعاد، ومودة أهل البيت في كفة أخرى، والمودة التي أرادها الله والنبى (ﷺ) إنما هي أجر الرسالة وجهده، وهذه حقائق قرآنية وليست من باب المغالاة^(٢).

أمّا الأشاعرة والمعتزلة فيعتبرون أن الإمامة بمعنى الخلافة جزء من الشورى، وأنها جزء من سلطة الأمة، وأن الإمامة ب (البيعة والاختيار والشورى).

بينما يؤكد الشيعة الإمامية أن الإمامة ب (النص) و (التعيين من السماء) لهؤلاء الأئمة، وأن الأمة لا شأن لها في اختيار الإمام، والشورى لا دخل لها في اختيار الإمام، والبيعة لا دخل لها في اختيار الإمام^(٣).

ثالثاً: عصمة الأئمة:-

الأدلة على عصمة الأئمة (عليهم السلام) من القرآن والسنة الشريفة كثيرة منها:-

١- آية التطهير: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) ظ: الحداثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، الشيخ محمد السند، ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) التشيع والوسطية الإنسانية: اكرم عبد الكريم ذياب، ٢٠.

أَلْبَيْتٍ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً ﴿١١﴾. إِنَّ القول في عصمة الأئمة (عليهم السلام) هو إنهم قائمين مقام الأنبياء (عليهم السلام) في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم صغيرة إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم وتعلق بظاهر الروايات التي لها تأويلات فاسدة، والمعتزلة بأسرها تخالف في ذلك وتجوز من الأئمة وقوع الكبائر والردة عن الاسلام^(١). ولما ثبت عندنا من نص كل سابق على لاحقه بالعصمة ووجوب الطاعة، بل لنص القرآن العزيز على طهارتهم وعصمتهم بآية التطهير التي قد احتوت من التأكيدات واللطائف على ما لا يخفى على أهل المعاني والبيان. وقد تواتر النقل عندنا بأنهم المقصودون بهذه الآية^(٢).

وهذا ما أراده النبي (صلى الله عليه وآله) بدليل قوله: عندما نزلت هذه الآية، قال: يا علي هذه الآية نزلت فيك، وفي سبطيك، والأئمة من ولدك، فقال: يا رسول الله وكم الأئمة من بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم ابنك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمد ابنه، وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ظ: أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٦٥.

(٣) ظ: وصول الأخبار إلى آخر الأخبار: والد البهائي العاملي، ٤٥ وما بعدها.

جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمد ابنه، وبعد محمد عليّ ابنه، وبعد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن الحجة من ولد الحسن، هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله عن ذلك، فقال: يا محمد: هم الأئمة بعدك، مطهرون، معصومون، وأعداؤهم ملعونون^(١).

٢- ومن السنة الشريفة: وصّى النبي محمد (ﷺ) بالكتاب وأهل البيت (عليه السلام) في حديث الثقلين وهو من التواتر أيضاً عند الفريقين بقوله: 'إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي'^(٢).

وحديث الثقلين من جملة الأحاديث التي لا يشك مسلم في صدورهما من النبي (ﷺ) فقد رواه عنه أكثر من ثلاثين من الصحابة، وأورده من علماء أهل السنة ما يقارب الـ ٥٠٠ شخصية من مختلف طبقاتهم منذ زمن التابعين حتى عصرنا الحاضر من مؤرخين ومفسرين ومحدثين وغيرهم. وهذا الحديث يدل بوضوح على عصمة الأئمة من العترة ووجوب إطاعتهم، وامتنال أوامرهم، والاهتداء بهديهم في الأمور الدنيوية والدنيوية، والأخذ

(١) ظ: هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: الحر العاملي، ١ / ١٧.

(٢) ظ: كتاب سليم بن قيس، ٢٠١، والهداية الكبرى: الحسين بن سليمان الخصبي، ١٨، والأمالى: الطوسي، ١٦٢، ومناقب آل أبي طالب: ٣ / ١، والتحصيل: ابن طاووس، ٦٣٦، وبحار الأنوار: المجلسي، ١٠ / ١٦٠.

بأقوالهم في الأحكام الشرعية وغيرها. كما يدل على بقائهم وعدم خلو الأرض منهم إلى يوم القيامة كما هو الحال بالنسبة إلى القرآن^(١). وللاطلاع أكثر على أسانيد هذا الحديث ومتونه التي اتفق عليها الفريقان مراجعة كتاب حديث الثقلين^(٢).

ودلالة الحديث على عصمة الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) لأسباب منها:

١ - لأنَّ النبي (ﷺ) أمر فيه باتباع أهل البيت (عليه السلام)، وقرنهم بالكتاب وهو منزّه عن الباطل، وحاشاه أن يأمر باتباع المخالفين للكتاب والسنة.

٢ - لأنَّه جعل التمسك بهم مانعاً من الضلال كالكتاب، ومن كان جائزاً عليه الضلال لا يكون مانعاً منه، وصرح فيه بعدم الافتراق بين الكتاب والعترة في وقت من الأوقات.

٣ - لأنَّه (ﷺ) صرَّح في بعض طرقه بقوله: (هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض)^(٣). وهذا تخصيص بعد

(١) التحقيق في نفى التحريف عن القرآن الشريف: السيد علي الحسيني الميلاني، ٤٢ / هامش رقم ١.

(٢) حديث الثقلين: نجم الدين العسكري.

(٣) ظ: مسند الرضا (عليه السلام)، داود بن سليمان الغازي، ٢٠٨، والأُمالي: الشيخ الطوسي، ٤٦٠، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ١/ ٢١٦ هامش رقم ١، والطرائق في معرفة الطوائف: السيد علي بن طاووس الحلبي، ١٠٣، والمراجعات: السيد شرف الدين الموسوي، ٧٤، والغدير: الشيخ الأُميني،

تعميم، وهذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين.

ولا يمكن نسيان الحديث النبوي الشريف الذي إتفق عليه الفريقان وهو قوله (ﷺ) :

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١).

هذا غيض من فيض في الروايات الدالة على عصمة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ويوجد منها الكثير، أعرض البحث عن الخوض فيها منعاً للإطالة، ولأنه ليس غرض البحث الرئيس هو إثبات عصمة الأئمة بقدر بيان أحقية الإمام الحسين (عليه السلام) بالخلافة طبقاً لحديث النبي محمد (ﷺ).

ووفقاً لكل ما سبق من الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لذا وجب على الأمة إتباع الإمام الحسين وأولاده

٣/ ١٨٠، وفدك في التأريخ: السيد محمد باقر الصدر، ١٧٢ هامش رقم ١، ومنهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني، ١/ ١٧٨.

(١) ط: غنية النزوع: ابن زهرة الحلبي، ٢٩٩، والسرائر: ابن إدريس الحلبي، ١٥٧، ومختلف الشيعة: العلامة الحلبي، ٣/ ٣٣٣، والتنقيح الرائع لمختلف الشرائع، المقداد السيوري، ١/ ٣٤١، ومفاتيح الشرائع، الفيض الكاشاني، ٣/ ٢١٠، والحدائق الناضرة، البحراني، ٢١/ ٣٩٥، ومفتاح الكرامة: السيد محمد جواد العاملي، ٢١/ شرح ص ٥٨٩، ومكاتيب الرسول: الأحمدي الميانجي، ١/ ٥٦١، والصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العاملي، ١٨/ ٧٣.

المعصومين (عليه السلام) لأنهم المقصودون والموصوفون بالعصمة إلا أن الأمة اختارت غير ذلك فكان عاقبة أمرها موكل إليها.

رابعاً: الإمامة والخلافة: —

شغلت مسألة الإمامة والخلافة حيزاً واسعاً عند المسلمين في كتبهم، سنتهم وشيعتهم، وذكر لنا القرآن الكريم طوائف من الآيات لها علاقة بمسألة الإمامة والخلافة منها:

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١). عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إن الله تعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً. وإن الله اتخذهُ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذهُ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وإن الله اتخذهُ خليلاً قبل أن يجعلهُ إماماً، فلمَّا جمع له الأشياء قال: إنني جاعلك للناس إماماً. وبجعله إماماً صار قدوة مفترض الطاعة. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقال الله تعالى: بأن الظالم في الجملة لا ينالها ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل سفيه. فلم تزل الإمامة والخلافة في ذرِّيته الطاهرة حتى ورثها الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾. فكانت لهم خاصة فقلّدها (عليه السلام) علياً بأمر الله تعالى فصارت في ذريته الأصفياء الأتقياء البررة الكرماء الذين هم أولو الأمر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وهذا مما لا شك فيه^(٣).

وخير من فسر الآية الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام)، عندما سُئل عن تفسيرها، فكان جوابه: أن تمثل بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطَاعُوا وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾^(٤). قال: يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً. وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدْ لَهُ نَصِيرًا﴾^(٥) أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ ﴿٦﴾ يعني الإمامة والخلافة، فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٧﴾ نحن والله الناس الذين عنى الله تعالى. (والنقير: النقطة التي في وسط النواة) ﴿٨﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٩﴾

(١) آل عمران: ٦٨.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني، ٥/١١٣.

(٤) النساء: ٥١.

(١) نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من فضله، وهي الإمامة والخلافة

دون خلق الله جميعاً^(٢).

٢- في قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٣). يستفاد منه أن داود (عليه السلام) بعدما جعله الله خليفة لنفسه صار ولياً، وحق له الحكم بين الناس، ولذا فرّعه بالفاء^(٤).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): (فو الله الذي أكرمنا أهل البيت بالنبوّة فجعل منا محمداً وأكرمنا من بعده بأن جعلنا أئمة المؤمنين، لا يُبلّغ عنه (صلى الله عليه وآله) غيرنا ولا تصلح الإمامة والخلافة إلاّ فينا، ولم يجعل الله معنا أهل البيت لأحد من الناس فيها نصيباً ولا حقاً. أمّا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فخاتم النبيين ليس بعده رسول ولا نبي، ختم الأنبياء برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة، وختم بالقرآن الكتب إلى يوم القيامة، وجعلنا من بعد محمد خلفاء في أرضه وشهداء على خلقه، وفرض طاعتنا في كتابه وقرننا بنفسه ونبيه في الطّاعة في غير آية من القرآن)^(٥). وبحديث تاسع أئمة أهل البيت الإمام علي

(١) النساء: ٥٢-٥٤.

(٢) شرح الأخبار: القاضي النعماني، ١/٢٤٧، والمراجعات: السيد شرف الدين، ٨٨ هامش رقم ١.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) نظام الحكم في الإسلام: الشيخ المنتظري، ٣٣ فما بعدها.

(٥) كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي، ٢٠٧.

بن موسى الرضا (عليه السلام) والذي يبين فيه بوضوح أن الإمامة والخلافة لا تصلح إلا للأئمة الذين هم أهل لذلك الأمر.

وقد تكرر القول بأن الاسلام لا يصح إلا مع الولاية، لأن الله تعالى قرن طاعة ولاية الأمر وطاعة رسوله (ﷺ) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

ونقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بسند صحيح الحديث القدسي المسمى (حديث سلسلة الذهب) : عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن محمد بن علي (عليه السلام)، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، عن الحسين بن علي (عليه السلام)، عن أبي طالب (عليه السلام)، عن النبي (ﷺ)، عن جبرئيل عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: (يقول الله تبارك وتعالى: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من [عذابي] ناري)^(٢).

(فحصر الأمان من العذاب في ولاية علي، لأن الإقرار بالولاية

(١) النساء : ٥٩.

(٢) الأمالي ٣٠٦، وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحاكم الحسكاني، ١/ ١٧٠، وبحار الأنوار ٣٩/ ٢٤٦، ومسند الإمام علي (عليه السلام): السيد حسن القبنجي، ٧/ ٢٥٢، والشيعية في أحاديث الفريقين: السيد مرتضى الأبطلجي، ٨٥، والصحيح من سيرة النبي الأعظم: السيد جعفر مرتضى العاملي، ٩٢/ ٣٢.

يستلزم الإقرار بالنبوة، والإقرار بالنبوة، يستلزم الإقرار بالتوحيد، فالموالي هو القائل بالعدل، والقائل بالإمامة، والعدل مع التوحيد هو المؤمن، والمؤمن من آمن. فالموالي لعلي هو المؤمن الآمن، وإلا فهو المنافق الراهق من غير عكس^(١).

ولكلمة الولاية منزلة كبيرة في بحوث "الإمامة والخلافة" لورودها في واحد من أهم ما استدلل الشيعة به على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) وهو حديث الغدير^(٢). الذي كان في حجة الوداع في منطقة (غدير خم) وأمام جمع كبير من الصحابة قال: (صلى الله عليه وآله) فيه: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله"^(٣).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤) على عدم لياقة من عبد صنماً أو وثناً لمنصب الإمامة والخلافة، تعريضاً بمن تصدى لها

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين: رجب البرسي الحلبي، ٣٣.

(٢) تفسير القرآن المجيد: الشيخ المفيد، ٣٢.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ١٦٧، والكافي: ٨ / ٢٧، والأمال: الشيخ الصدوق، ٥٠، وتهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ١ / ١٠، والاحتجاج: ٢ / ٢٥٢، وتحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله): ٤٥٩، ودراسات في الحديث والمحدثين: هاشم الحسيني، ٣١١، ومسند الإمام الرضا (عليه السلام)، عزيز الله العطاردي، ١ / ١٢١.

(٤) البقرة: ١٢٤.

ممن عبد الصنم مدة مديدة، لانقضاء تلبسهم بالظلم وعبادتهم للصنم^(١). وكانت للشيعة الإمامية الريادة في إثبات قضية الإمامة، من خلال ما كتبوا وصنّفوا عبر تاريخهم المديد، ونظرة عاجلة إلى فهارس مصنفات الشيعة تؤكد هذه الحقيقة. وإنَّ هذه القضية في الدين من الصميم، فلا بد من البحث والتحقيق، لنحدد بذلك تكليفنا الشرعي بحسب طاقتنا، فإنَّ أماننا معاد وحساب وجنة ونار، والحق تعالى يقول: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢). والقضايا الدينية حيّة لا تموت، والحق أحق أن يتبع ويجب البحث عن الحقيقة، والباحث الجيد يتبع مؤدي الدليل، فإنَّ به تعرف الرجال، لا أنه يعرف بالرجال، ولا يجب إهمال القضايا ذات الأهمية، لأن ذلك ينجر إلى التشكيك والانكار في تلك القضايا ومن ثمَّ عدم التصديق بها^(٣). وفي عدد الأئمة نقل سليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ) بسنده: قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَزَالُ عَزِيزًا إِلَىٰ إِثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً، ثُمَّ قَالَ: كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمَهَا فَقُلْتُ: لِأَبِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)) فقال كلهم من

(١) كفاية الأصول : الأخوند الخراساني، ٤٩.

(٢) الصافات : ٢٤.

(٣) كتاب الأربعين : محمد طاهر القمي الشيرازي، ٧ فما بعدها.

قریش^(١).

وقد روى البخاريّ (ت: ٢٥٦هـ) الحديث نفسه بسنده أيضًا عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول يكون اثنا عشر أميرًا. فقال: كلمة لم اسمعها فقال أبي أنه قال كلهم من قریش^(٢).

وحاول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) تفسير العدد (إثنى عشر) خليفة بالخلفاء الأربعة، وبعض خلفاء بني أمية وبني العباس. بحسب ميوله، برفع قسم منهم إلى مرتبة الخلافة المنصوص عليها في حديث الرسول ﷺ وترك الآخرين، وقال: بأنهم الخلفاء العدول الذين أرادهم النبي ﷺ وهو تفسير باطل لا يتقبله العقل السليم^(٣).

وبين الإمام الحسين (عليه السلام) مواصفات الإمام في جوابه على رسالة أهل الكوفة نقل الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ): «فلعمري ما الإمام إلا الحاكم

(١) مسند ابو داود الطيالسي، ١٠٥، ومسند أحمد: أحمد بن حنبل، ٨٧/٥، وصحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ٣/٦، وسنن الترمذي: ٣/٣٤٠، ومسند أبو يعلى: ١٣/٤٥٧، والمعجم الكبير: الطبراني، ١٩٥/٢، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ١٩١/٥، وتاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ١٣.

(٢) ظ: صحيح البخاري، ٨/١٢٧، والمعجم الأوسط: الطبراني، ٤/١٨٩، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ٨/١٨٤، وكنز العمال: المتقي الهندي، ١٢/٢٤.

(٣) ظ: تفسير القرآن العظيم، ٣/٣١٢.

بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك الله^(١).
لوحظ في هذه الكلمات قَسَم الإمام الحسين (عليه السلام) بِعُمَرِهِ وهذا شيء
عظيم يجب ملاحظته، والمواصفات التي ذكرها الإمام تنطبق على مَنْ يكون
مختاراً من الله تعالى وليس من الناس.

وقد صرَّح الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن الأئمة وعددهم: — عن
أبي حمزة الثمالي (عليه السلام)) (ت: ١٥٠ هـ) قال: «سمعت علي بن الحسين (عليه السلام)،
يقول: إِنَّ الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده، من نور عظمته،
فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله
ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله (ﷺ)». ولم ينس الأمام
الحسين وولده السجاد (عليهما السلام) ذكر ولدهما الإمام الثاني عشر المهدي
المنتظر (ع)، نقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بسنده: قال الحسين (عليه السلام)
منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وآخرهم
التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق يحيي الله تعالى به الأرض موتها، ويظهر

(١) الإرشاد: ١٨٦، وبحار الأنوار: ٣٣٥/٤٤، ولواعج الأشجان: ٣٦، وتأريخ الكوفة: السيد

البراقبي، ٣٢٥، وقادتنا كيف نعرفهم: ٥٩٦/٣، والأئمة الإثني عشر: الشيخ السبحاني، ٧٥.

(٢) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٨١، والكافي: كتاب الحجة، ٥٣١/١، والوافي في شرح الكافي: الفيض

الكاشاني، ٣٠٧/٢، وبحار الأنوار: ٢٠٢/٥٤، وبلاغه الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، ٢٢٩،

والعقائد الإسلامية: مركز المصطفى (ص)، ٦٥/١.

به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبه يرتد فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون، فيؤذون فيقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزله المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله (ﷺ) ^(١).

ونقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بسنده عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه): قال علي بن الحسين سيد العابدين (عليه السلام): القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة ^(٢).

مناقشة ورأي:

ظهر جلياً للبحث من خلال الكتاب والسنة النبوية المطهرة أنه سبحانه تعالى اعطى الولاية إلى رسوله (ﷺ)، وإلى قسم من الرسل السابقين (عليه السلام) وكذا إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) عند الإمامية، ولهذا وجب على الناس طاعتهم في أوامرهم التي تصدر منهم، لأن فيها الصلاح للناس في دينهم ودنياهم، وبسبب عدم طاعتهم حدث التشطي الإسلامي وتباعد

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/٦٩، وكفاية الأثر: الخزاز القمي، ٢٣٢، وبحار الأنوار: ٥١/

١٣٣، ومعجم أحاديث الإمام المهدي (عج): الشيخ علي الكوراني، ٥/٣١٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٢-٣٢٣، وبحار الأنوار: ٥/١٣٥، وأعيان الشيعة: ٢/٥٦،

ومعجم أحاديث الإمام المهدي (عج): الشيخ علي الكوراني، ٣/١٩٤.

المسلمون فيها بينهم وأصبحت الأمة الإسلامية ضعيفة.

وفي ضوء ما تقدم تجلّى لنا أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وولده الإمام السجاد (عليه السلام) قد مهّدا لدولة العدل الإلهي المنتظر دولة ولدهما الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، وإنهما أرادا أن يخبرا عن المشروع المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وتأكيدهما أنّ خاتم الأئمة هو الإمام المهدي المنتظر هو خير دليل على تبنيهما هذا المشروع العظيم.

المبحث الخامس: آيات العبادات

إنَّ أساليب علاقة الإنسان بخالقه تتسع باتساع الحياة وطرق التعامل معها ، فهي ليست موقوفة على أسلوب واحد أو نمط واحد، وإنَّ الانسان أحوج ما يكون إلى أنماط من الصلة بالله تعالى تكون فيها الروح هي الحاضرة بالدرجة الأولى، بعيداً عن معترك الحياة وشؤونها، فالحج والصيام هجرتان إلى الله تعالى في لونين مختلفين، تعيش الروح مع كل منهما نمطاً من أنماط التكامل والسمو، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصوم يجعله يشعر بمعاناة الآخرين، وفي الزكاة والصدقات حركة جهادية تنفلت فيها الروح من أسر الأنا ومن أسر المادة لتذوق حلاوة الإحساس بالمسؤولية بإزاء عباد الله، وفي الصلاة انقطاعٌ لا نظير له إلى الله تعالى، وقوف وامثال وخضوع في أشكال شتى وأذكار متعددة تنتقل خلالها الروح من روض إلى روض، ومن فناء إلى فناء، ومن موعظة إلى أخرى، إنها مدرسة للروح ومنتجع للقيم ، من هنا كانت العبادات التي أوجبها الشريعة السمحة بمثابة الفرص النموذجية لتألق الروح وتساميتها وتكاملها^(١).

(١) ظ: السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، مركز الرسالة، ٥-٧.

والعبادة هي إحدى الغايات القصوى لكل من التكوين والتشريع ، حيث إنه سبحانه خلقهم وأرسل إليهم رسله بعد ذلك ليعبدوه ؛ والعبادة موجبة لاستكمال النفوس ^(١) . أي إنّ العبادة تصل بالإنسان إلى مرحلة الكمال، لأنّ العبادة خضوع وانقياد لله سبحانه وتعالى .

المطلب الأول: الصلاة

ليست العبادة لنفعه تعالى، لأنّه غنيّ مطلق، بل إنّما كلفنا لقصد نفعنا ليجعلنا مستحقين للثواب كرمًا منه وفضلًا، فينبغي للعاقل الرشيد أن يدخل في العبادة بقلبه بتمام الإقبال والرغبة والسرور، ولا سيما الطّهارة التي هي إشارة إلى طهارة القلب ووسيلة إلى الصّلاة التي هي أفضل الأعمال وعمود الدّين ومناجاة الرّب وأول ما يسأل عنه الإنسان فإن قبلت قبل سائر عمله وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها ^(٢) .

وعن أنواع العبادة نقل الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ) بسنده عن هارون بن خارجة، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (إِنَّ الْعِبَادَ ثَلَاثَةٌ : قوم عبدوا الله عز وجل خوفًا فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبًّا له،

(١) ظ: كتاب الطهارة، السيد الخوئي، ٤ / شرح ص ٤٧١ .

(٢) ظ: العقد الحسيني، والد البهائي العاملي، ٣٩ .

فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة^(١).

وأجزم قاطعاً إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأخوته وأصحابه (رضي الله عنهم) قد عبدوا الله تعالى حباً له، وبذلك جسدوا أفضل أنواع العبادة تجسيداً حقيقياً لأنَّ عبادتهم كانت خالصة لله ولم تشوبها شائبة.

سيذكر البحث أنموذجين ممَّا ورد في عبادة الحسين (عليه السلام) وأصحابه:

الأول: بات الحسين (عليه السلام) وأصحابه (رضي الله عنهم) - ليلة عاشوراء - ولهم

دوي كدوي النحل، ما بين رাকع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر عليهم من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً، وكذا كانت سجية الحسين (عليه السلام) في كثرة صلاته وكمال صفاته^(٢).

الثاني: وفي خضم المعركة وتحت صليل السيوف لم يغيب فرض

(١) ظ: الكافي، ٨٤ / ٢، والوافي: ٣٦٦ / ٤، والحدائق الناضرة: المحقق البحراني، ١٧٨ / ٢، ومستند الشيعة: المحقق النراقي، ٥٠ / ٢، ومصباح الفقاهة: السيد الخوئي، ٧١٢ / ١، وميزان الحكمة: ٣ / ١٨٠٠.

(٢) ظ: بحار الأنوار، ٣٩٤ / ٤٤، وليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، ٦، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٤٥.

(*) أبو ثمامة الصائدي عمرو بن عبد الله بن كعب: روى عن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) روى عنه أبو إسحاق الهمداني وعبد العزيز بن رفيع: من شهداء الطف رضوان الله عليه، كان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، وكان بصيراً بالأسلحة ولهذا لما جاء مسلم بن عقيل (عليه السلام) إلى الكوفة قام معه وصار يقبض الأموال ويشترى بها الأسلحة، أستشهد في معركة الطف. ظ: الجرح والتعيل، الرازي، ٣٤٠ / ٩، الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، ٣٤٠ / ٩.

الصلاة عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه النجباء (عليهم السلام):

فقد روى الطبري (ت: ٣١٠ هـ): لَمَّا رَأَى أَبُو ثَمَامَةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِدِيَّ*، إِنَّ الصَّلَاةَ حَضَرَتْ، قَالَ لِلْحُسَيْنِ (عليه السلام): يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ إِنِّي أَرَى هَؤُلَاءِ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنْكَ وَلَا وَاللَّهِ لَا تَقْتُلْ حَتَّى أَقْتُلَ دُونَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَأَحَبُّ أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي قَدْ دَنَا وَقْتَهَا. قَالَ: فَرَفَعَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: (ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ الذَّاكِرِينَ، نَعَمْ هَذَا أَوَّلُ وَقْتَهَا)، ثُمَّ قَالَ: (سَلَوْهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنَا حَتَّى نَصْلِي) فَقَالَ لَهُمُ الْحَصِينُ بْنُ نَمِيرٍ: إِنَّهَا لَا تَقْبَلُ فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ (عليه السلام): زَعَمَتِ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) لَا تَقْبَلُ وَتَقْبَلُ مِنْكَ يَا [خَمَار] حَمَار^(١).

فَدَعَا (عليه السلام) لِأَبِي ثَمَامَةَ الصَّائِدِيَّ (عليه السلام) لِأَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، اعْتِنَاءً بِهَا، وَاهْتِمَامًا بِطَاعَةِ اللَّهِ (ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ) كَمَا يُحِبُّ، وَمِمَّا يُجِبُّهُ سُبْحَانَهُ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا. فَالْتِجَاعُ عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَاتِ وَالْفَضَائِلِ هُوَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِأَنْ تَسُودَ السُّنَنُ الشَّرِيفَةُ، وَالْأَخْلَاقُ الْكَرِيمَةُ فَالْأَخْلَاقُ عِنْدَهُمْ تَظْهَرُ مَرَّةً فِي صُورَةِ فَعْلٍ، وَمَرَّةً أُخْرَى فِي صُورَةِ

(١) ظ: تاريخ الطبري، ٣٣٤/٤، والكامل في التاريخ: ٧٠/٤، ولواعج الأشجان: ١٥٤ - ١٥٥،

ومعالم المدرستين: ١١١/٣، وكربلاء الثورة والمآسة: أحمد حسن يعقوب، ٣١٦،

وعظ وإرشاد، ومرة ثالثة في صورة تقرير^(١).

ثم قال الحسين لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله (عليه السلام): تقدّما أمامي حتى أصلي الظهر فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه وهم يحملون أسلحتهم حتى صلى بهم صلاة الخوف^(٢).

وهنا قام الإمام الحسين (عليه السلام) بتطبيق الآية القرآنية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣) في أرقى مصاديقها وفي أحلك الظروف.

وكذا فعل الإمام الحسين (عليه السلام) عندما أمر أصحابه بحمل أسلحتهم مقتدياً بقوله تعالى لجده الرسول الكريم (ﷺ): ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٤).

(١) ظ: الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، ٢٩.

(٢) ظ: البداية والنهاية : ابن كثير، ١٩٩/٨، وبحار الأنوار: ٢١/٤٥، ولواعج الأشجان: ١٥٦،

والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٦٥.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) النساء: ١٠٢.

وذكر علي بن بابويه القمي (ت: ٣٢٩هـ) في باب صلاة الخوف: - إذا كنت راكبًا وحضرت الصلاة وتخاف من سبع أو لص أو غير ذلك، فلتكن صلاتك على ظهر دابتك، وتستقبل القبلة وتومئ إيماء إن أمكنك الوقوف، وإلا استقبل القبلة بالافتتاح، ثم امض في طريقك التي تريد حيث توجهت بك راحلتك مشرقًا ومغربًا. وتنحني للركوع والسجود، ويكون السجود أخفض من الركوع، وليس لك أن تفعل ذلك إلا آخر الوقت، وإن كنت في حرب هي لله رضا وحضرت الصلاة، فصلّ على ما أمكنك على ظهر دابتك، وإلا تومئ إيماء أو تكبر وتهلل^(١).

أما عن كفيّتها فقد ذكر الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ): أن كفيّة صلاة الخوف هي أن يفرق الإمام أصحابه فرقتين: فرقة يجعلها بإزاء العدو تدافعه، وفرقة خلفه، ثم يكبر ويصلي بمن وراءه ركعة واحدة، فإذا نهض إلى الثانية صلوا لأنفسهم ركعة أخرى، وهو قائم يطول القراءة، ثم جلسوا فتشهدوا وسلموا ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم، فجاءت الفرقة الأخرى، فلحقوا الإمام قائمًا في الثانية، فاستفتحوا الصلاة وأنصتوا القراءة فإذا ركع ركعوا بركوعه وسجدوا بسجوده، فإذا جلس للتشهد قاموا فصلوا ركعة أخرى وهو جالس، ثم جلسوا معه فسلم بهم وانصرفوا بتسليمه، ووافقنا على

هذا الترتيب والتحديد الشافعي^(١).

ذكر محمد جعفر المشهدي (ت : ق ٦هـ) : إن إمامنا المهدي (عجل) الله تعالى فرجه الشريف) وصف جده الحسين (عليه السلام) بقوله : (كنت للرسول (ﷺ) ولداً، وللقرآن سنداً، وللأمة عضداً، وفي الطاعة مجتهداً، حافظاً للعهد والميثاق، ناكباً عن سبيل الفساق، تتأوه تأوه المجهود، طويل الركوع والسجود، زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها، ناظراً إليها بعين المستوحشين منها^(٢)).

وما هذه الشهادة من خاتم أئمة أهل البيت ومخلص البشرية من الظلم والجور الإمام المهدي المنتظر إلا لتبين حقيقة عبادة جده الإمام الحسين (عليه السلام) للناس وإنه اجتهد كثيراً في العبادة بالرغم من الظروف التي كانت تحيط به آنذاك. فكان قدوة حسنة كما كان جده المصطفى (ﷺ) مثلاً أعلى في الاجتهاد بالعبادة إلى أن تورمت قدماء من شدتها فأنزل الله تعالى :

﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ^(٣) . ولا تختلف عبادة الركن الآخر

(١) ظ: الناصريات، ٢٦٣، وغنية النزوع : ابن زهرة الحلبي، ٩٢، وجامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق، علي بن محمد القمي، ٩٤.

(٢) المزار : ٥٠٢، وبحار الأنوار : ٩٨ / ٢٣٩، والصحيفة المهدية : محمد بن جعفر الكاشاني، ٢١١، وحياة الإمام المهدي (عج) : الشيخ باقر شريف القرشي، ٦١، والإمام الحسين (عليه السلام) في أحاديث الفريقين، السيد علي الأبطحي، ١٢ / ٢.

(٣) طه : ١-٢.

من أركان الخطاب الحسيني الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) عن عباده آبائه. ذكر ابن سعد (ت : ٢٣٠هـ) : بسنده قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا مشى لا تتجاوز يده فخذته ولا يخطر بيده قال: وكان إذا قام [يتوضأ] إلى الصلاة أخذته رعدة فقليل له: مالك فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي^(١).

وفي تفسير الآية: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢). نقل الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السيمياء: المراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجّاد من كثرة السجود، وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ يفسرها: أي من التأثير الذي يؤثره السجود^(٣).

والعلة التي من أجلها سُمي الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ذو الثغفات. نقلها الشيخ الصدوق (ت : ٣٨١هـ) بسند صحيح عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، قال: كان لأبي (عليه السلام) في موضع سجوده آثار

(١) ظ: الطبقات الكبرى : ٢١٦/٥، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ٤١/ ٣٧٨، وتهذيب الكمال : المزي، ٢٠/ ٣٩٠، وسير أعلام النبلاء : الذهبي، ٤/ ٣٩٢، وشرح إحقاق الحق : السيد المرعشي، ٢٨/ ٤٦، ومسند الإمام السجاد (عليه السلام): ٢/ ١٩٥.

(٢) الفتح : ٢٩.

(٣) ظ: الكشف، ٣/ شرح ص ٥٥٠، والبحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، ٨/ ١٠١، وتفسير أبي السعود، أبو السعود، ٨/ ١١٤، وروح المعاني، الألوسي، ٢٦/ ١٢٥.

ناتية وكان يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثغفات، فسمي ذو الثغفات^(١). والثغنة: واحدة ثغفات البعير، وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ، كالركبتين وغيرهما^(٢). وقيل: (كُلُّ ما وَلِيَ الأرض من كُلِّ ذي أَرْبعٍ إذا بَرَكَ أو رَبَضَ، والجَمْعُ ثَفْنٌ وَثَفَاتٌ)^(٣). والثغنة^(*)، وتسمية ذو الثغفات الإمام السجاد (عليه السلام) لكثرة عبادته وسجوده لله ولأنه الشخصية الأكثر كمالاً من حيث العبادة والعقيدة والسلوك.

أمّا عن صومه (عليه السلام): نقل المجلسي (ت: ١١١١هـ) بسنده عن علي بن أبي حمزة: سألت مولاة لعلي بن الحسين (عليه السلام) بعد موته فقلت: صفني لي أمور علي بن الحسين (عليه السلام)، فقالت: أطنب أو أختصر؟ فقلت: بل اختصري، قالت: ما أتيت به بطعام نهراً قط، ولا فرشت له فراشاً بليل قط^(٤).

(١) ظ: علل الشرائع، ١/ ٢٣٣، ووسائل الشيعة، ٦/ ٣٧٧، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٤، ومدينة المعاجز: ٤/ ٢٤٢، وجامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي، ٥/ ٢٢٩، وميزان الحكمة: ٢/ ١٢٥٤.

(٢) ظ: الصحاح: الجوهري، ٥/ ٢٠٨٨.

(*) بكسر الفاء: هي من الإنسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ، ظ: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ١٠٨.

(٣) تاج العروس: الزبيدي، ١٨/ ٩٥.

(٤) ظ: بحار الأنوار: ١/ ٢٣٢، ووسائل الشيعة: ١/ ٨٩، وأهل البيت في الكتاب والسنة، محمد

الريشهري، ٢٨٥، وقادتنا كيف نعرفهم: ٤/ ٢٤-٢٥.

هذه الكلمات القصيرة وضحت عبادة الإمام السَّجَاد (عليه السلام) فهو في النهار صائم وفي الليل قائم وهذا هو ديدن الأئمة (عليهم السلام) في عبادتهم، لأنَّهم يعرفون الله حق المعرفة فيقومون بما أمروا به على أحسن وجه.

المطلب الثاني : أعظم الجهاد

اختار المؤلفان عنواناً لهذا المطلب بعد قراءته للكثير من المصادر التي تتحدث عن أشخاص صرخوا بكلمة الحق أو كلمة العدل بوجه الطغاة من الحكام، ووجد البحث سنداً له في ذلك ، وهو حديث النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الذي رواه الفريقين بطريقتين مختلفتين وهو الآتي :

ذكر أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) في مسنده أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) :

قال : (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)^(١).

وفي طريق آخر نقله الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) بسنده عن أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : (إنَّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان

(١) مسند أحمد : ١٩/٣ ، ومسند أبي يعلى : أبو يعلى الموصلي، ٣٥٣/٢ ، والمعجم الكبير : الطبراني ٢٨٢/٨ ، والمستدرک : الحاكم النيسابوري: ٥٠٦/٤ ، وعمدة القاريء : العيني، ٢٢٤/٧ ، وعوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ٤٣٢/١ ، وعون المعبود : العظيم آبادي، ٣٣٠/١١ ، وميزان الحكمة : ٦٥٦/١ .

جائر^(١).

وفي شرح الحديث : (أفضل الجهاد) أي من أفضله، بدليل رواية الترمذي أن أعظم الجهاد (كلمة عدل أو حق) والمراد بالكلمة ما أفاد أمرًا بمعروف أو نهياً عن منكر من لفظ أو ما في معناه ككتابة ونحوها (عند سلطان جائر) أي ظالم، إنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب أو يُغلب، وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف^(٢).

وقيل إنَّ معناه إبلاغ السلطان الظالم الحق بالمشافهة أو الكتابة ونحوهما أفضل أنواع الجهاد، لأنَّ ظلم السلطان يسري إلى جم غفير، فإذا كفَّه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، وهو من مناصحة ولالة الأمور في كل زمان لمن قدر عليه، مع العلم والحلم والصبر^(٣).

وتطبيقاً لهذا الحديث الشريف ينقل البحث الروايات التي صرخ

(١) سنن الترمذي: ٣/٣١٨، وكنز العمال: المتقي الهندي، ٣/٦٥، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٩/٢٩٣، وتهذيب الكمال: ١٧/٤٠٥، وتأريخ الإسلام: الذهبي، ١٥/٢٥٧، وكشف الخفاء: العجلوني، ١/١٥٣.

(٢) ظ: عون المعبود، العظيم آبادي، ١١/٣٣٥.

(٣) ظ: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، أحمد عبد الرزاق الدرويش، ٤/٣١٨.

بكلمة الحق أو العدل بعض أصحاب الخطاب الحسيني بوجه السلاطين الجائرين :-

نطق الإمام الحسين (عليه السلام) بكلمة الحق هو ضد يزيد بن معاوية الذي بعث له عمه عتبة بن أبي سفيان ليأخذ البيعة له، فكان رد الإمام الحسين (عليه السلام) واضحاً وبيّناً، نقله الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بسنده: «فقال الحسين (عليه السلام): يا عتبة، قد علمت أننا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحق الذي أودعه الله (ﷻ) قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله (ﷻ)، ولقد سمعت جدي رسول الله (ﷺ) يقول: إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان، وكيف أباع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله (ﷺ) هذا»^(١). ومن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) قيس بن مسهر الصيدائي (ﷺ) الذي قال كلمة الحق علناً بوجه عبيد الله بن زياد هو: قيس بن مسهر الصيدائي الذي أقبل إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب فصعد ثم قال: أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقت به بالحاجر فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب

(١) الأمالي: ٢١٦، وبحار الأنوار: ٤٤ / ٣١٢، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ١٦١، والأخلاق

الحسينية: جعفر البياضي، ٢٠٠٦.

قال: فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمى به فتقطع فمات^(١).

جسد قيس بن مسهر الصيدائوي^(٢) قول النبي^(ﷺ) بموقفه الشجاع هذا، وكان نتيجة إعلانه كلمة الحق أن حُكِمَ عليه بالقتل من قبل عبيد الله بن زياد والي الحاكم الجائر يزيد بن معاوية. وقيل إن الذي أُلقي من القصر هو: عبد الله بن يقطر* أخو الإمام الحسين^(عليه السلام) من الرضاعة^(٣).

وهناك ثائر آخر هو: عبد الله بن عفيف الأزدي^(عليه السلام) البصير الذي وهبه الله نوراً في بصيرته قد ثار في وجه الطاغية عبيد الله بن زياد حينما خطب على تلك الوحوش الكاسرة والبهائم الحقيرة من أهل الكوفة بعد مقتل سيد

(١) ظ: مقتل الحسين^(عليه السلام): أبو مخنف، ٧٢، وتاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧، والإرشاد: ٢ / ٧١، وبحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧١، ولواعج الأشجان: ٨٠، ومعجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ١٥ / ١٠٣، ومواقف الشيعة: الأحمدي الميانجي، ٢ / ٣٣٢-٣٣٣.

(*) عبد الله بن يقطر الحميري: كان لدة الحسين^(عليه السلام)، واللدة: الترب الذي ولد معك وتربى، لأن يقطر أباه كان خادماً عند رسول الله (ص) وزوجته كانت حاضنة للحسين^(عليه السلام)، فلذا عرف عبد الله برضيع الحسين^(عليه السلام)، وإلا فالحسين لم يرضع من غير ثدي أمه فاطمة (عليها السلام) رماه ابن زياد من أعلى قصر الكوفة فتكسر وبقي فيه رmq، فقام إليه عمرو الأزدي فذبحه. ظ: تاريخ الكوفة: البرقي، ٣٢٢، والأبواب: الشيخ الطوسي، ١٠٣، ورجال ابن داود: ابن داود الحلبي، ١٢٥، وجامع الرواة: محمد علي الأردبيلي، ١ / ٥١٨، وأبصار العين في أنصار الحسين^(عليه السلام)، الشيخ محمد السماوي، ٩٣.

(٢) ظ: روضة الواعظين: القتال النيسابوري، ١٧٧، والبداية والنهاية، ٨ / ١٨١،

الشهداء معلناً السب والشتم للإمام الحسين (عليه السلام) فانبرى إليه البطل الفذ عبد الله بالرد عليه^(١).

نقل البلاذري (ت: ٢٧٩هـ): خطب ابن زياد على منبر الكوفة: الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين وشيعته فوثب عبد الله بن عفيف الأزدي وكان شيعياً وكانت عينه اليسرى ذهبية يوم الجمل واليمنى يوم صفين، فلما سمع مقالة ابن زياد قال له: (يا ابن مرجانة إنَّ الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه! يا ابن مرجانة أقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟!). فامر ابن زياد: بإحضاره فلاحقوه إلى بيته وقاتلهم ثم قتل^(٢).

وفي موضع آخر عند دخول سبايا أهل البيت (عليهم السلام) حدثت محاورة بين الإمام السجاد (عليه السلام) وشيخ من أهل الشام: نقلها السيد ابن طاووس الحلبي (ت: ٦٦٤هـ): بعد حديث للإمام السجاد (عليه السلام) مع أحد شيوخ الشام ممن تجاوز على أهل البيت (عليهم السلام) عند دخولهم الشام، وبعد تعريفه من قبل الإمام السجاد (عليه السلام) بأنهم المخصوصون بمجموعة من الآيات القرآنية منها: أية

(١) ظ: النظام السياسي في الإسلام: الشيخ باقر شريف القرشي، ١١٢ - ١١٣.

(٢) ظ: أنساب الأشراف: ٣ / ٢١٠، وتاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١، والفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي،

١٢٣ / ٥ - ١٢٤، والكامل في التاريخ: ابن الأثير، ٤ / ٨٣، وجواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني

العالمي، ٧٨ / ٤.

القربى^(١) وآية الرجس^(٢). قال الراوي : فبقى الشيخ ساكتا نادما على ما تكلم به وقال : بالله إنكم هم ! فقال : علي بن الحسين (عليه السلام) : (تالله إننا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله (ﷺ)) فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إنا نبرأ إليك من عدو آل محمد (ﷺ) من جن وإنس ، ثم قال هل لي توبة ؟ فقال له : نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال : أنا تائب فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل^(٣).

هذا هو جزاء من ينطق بالحق عند أفراد السلطة الظالمة، خوفاً من إنتشاره، وبالتالي تمرد الناس على أفراد تلك العصابة التي أخذت الخلافة غصباً من مستحقها.

مناقشة ورأي:

إستمع الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كلام أحد أصحابه وهو عمرو بن عبيد (أبو ثمامة الصائدي) وكان في جوابه تشجيعاً له ودفعاً إلى الخير؛ لأنَّ الصلاة عمود الدين لن تسقط في كل الأحوال، ولكنها تخفف في أحوال معينة

(١) الشورى: ٣٣.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) ظ: اللهوف في قتلى الطفوف، ١٠٣، وبحار الأنوار: ٤٥ / ١٢٩، ولواعج الأشجان: ٢١٩ -

٢٢٠، ومستدرک سفينة البحار: علي النمازي، ٥ / ١١٠، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٤٢٩ -

٤٣٠، وموسوعة شهادة المعصومين: ٢ / ٣٦٦.

كما في حال الحرب أو الزلزال أو الخوف من شيء خطير، وهذا ما حدث عندما صلى الإمام الحسين (عليه السلام) بأصحابه صلاة الخوف التي بينها سابقاً. وقد اختار البحث شذرات من عبادة الأئمة (عليهم السلام)، وإلا فالمقام لا يتسع لذكر كل الروايات التي توضح شدة ارتباطهم مع الله تعالى في العبادة قولاً وفعلاً وتقريباً، فعبادتهم تختلف عن الناس، هذا القول يوضح أنَّ عبادتهم خاصة بهم، وليس لأمر دنيوي أو أخروي كما هو الحال مع بقية الناس، فعبادة الأئمة تختلف عن عبادة الناس الذين يتأملون دخول الجنة، وخوفاً من النار، أمّا الأئمة فليسوا كذلك.

وقد بينها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في دعائه: (‘ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك’)^(١). وظهرت معادن الكثير من الشجعان الذين قالوا كلمة الحق بوجه السلاطين الجائرين، فكانت عاقبتهم الشهادة لأنهم قالوا الحقيقة ومن ثمَّ أضحوا مصداقاً لحديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن خلال البحث والاستقصاء في المصادر التي طالعها البحث وجد آيات العبادات قليلة، إذ تم ذكر البعض منها في الفصل

(١) نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلي، ٢٤٨، وكنز العرفان في فقه القرآن: المقداد السيوري، ١/٣٢، وزبدة البيان في أحكام القرآن: المحقق الأردبيلي، ١٠٧/ هامش رقم ١، وبحار الأنوار: ٦٧/ ١٨٦، ومستدرک نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء، ١٦٥، وميزان الحكمة: ٤/٣٦٤٢، والأسماء الثلاثة: الشيخ السبحاني، ٧٨.

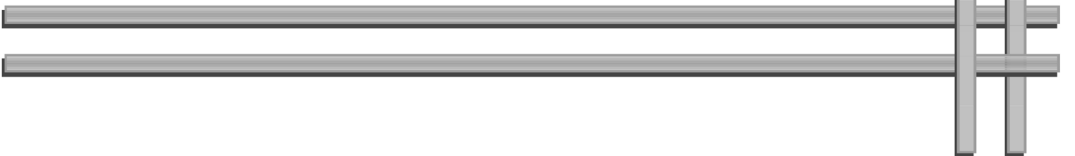
(٢٣٤)أثرُ القرآن الكريم في الخطابِ الحسينيِّ

الأول والبقية تم تقسيمها على مطلبين، الأول : الصلاة، والثاني : أعظم
الجهاد.



الفصل الثالث

المفاهيم التربوية والأخلاقية في النص القرآني
وأثرها في الخطاب الحسيني



ويضمّ:

المطلب الأول : الإصلاح

المطلب الثاني : التحذير من الغرور بالدنيا والركون إليها

المطلب الثالث : البكاء في الخطاب الحسيني

المطلب الرابع : الوفاء بالعهد

المطلب الخامس : سرعة استجابة الدعاء

المطلب السادس : التوبة

المطلب السابع : الرفق بالحيوان

توطئة:

ستتناوش في هذا الفصل المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسيني، التي كانت تشمل كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وكانت هذه المفاهيم بمثابة دروس للإمة الإسلامية تنير دربها نحو الطريق القويم الذي اختطه من قبل رسول الله (ﷺ) ثم جاء بعده وصيه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولده الحسن (عليه السلام) وعندما جاء الحسين (عليه السلام) وأخوته وأولاده (عليهم السلام) أكملوا السير على نفس هذا الطريق، فكل هذه المفاهيم التربوية والأخلاقية مستمدة جذورها من القرآن الكريم، لتكون بعدهم خير دليل على سيرتهم العطرة المليئة بالدروس والعظات والعبر. ولتتخذها الأمة بعدهم أنموذجاً يحتذى به في جميع مجالات الحياة.

وسنستعرض في هذا الفصل لبعض هذه المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسيني التي كان للنص القرآني أثر واضح فيها.

المبحث الأول : الإصلاح

الإصلاح لغةً : (ص ل ح الصلاح ضد الفساد، وبابه دخل ونقل الفراء صُلِحَ أيضًا بالضم وهذا يصلح لك أي هو من بابتك والصلاح بالكسر مصدر المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث ، وقد اصطلاحا وتصالحا واصالحا بتشديد الصاد والإصلاح ضد الفساد^(١)).

الإصلاح اصطلاحًا: «إزالة الفساد وإقامة الشيء، ومنه إصلاح العمل، وإصلاح المال، وإصلاح المعيشة، وإصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، ونحو ذلك. وربما يكون دفعًا للفساد ولا يلزم أن يكون إزالة له بعد وجوده دائماً»^(٢).

«مصدر يعني به عمومًا تقويم الاعوجاج وإزالة الفساد، يقال: صلح الشيء ويصلح إذا استقام، وأصلح الشيء بعد فساد قَوْمٍ اعوجاجه»^(٣).

وكان الهدف الأسمى للإمام الحسين (عليه السلام) من نهضته المباركة هو الإصلاح وهذا ما توضح في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية (ت: ٨١ هـ)، إذ

(١) مختار الصحاح : الرازي، ١٩٤.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري، ٣/ ٣٩٠.

(٣) موسوعة المصطلح في التراث العربي والديني والأدبي: محمد الكتاني، ١/ ٢١٩.

نقل المجلسي (ت: ١١١١ هـ) فحوى الرسالة وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أنَّ الحسين يشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنَّ الجنة والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، وإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ﷺ) أريد أن أمر بالمعروف وأنه عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. قال: ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل^(١).

ذكر الشيخ باقر شريف القرشي (ت: ١٤٣٣ هـ): أنَّ هذه الوصية أفصحت عن المبادئ العليا التي خلدت قصة الحسين (عليه السلام) وإستوعبت جميع لغات الأرض، وأخذ الناس يقيمون لها الذكرى مقتبسين منها الإيمان

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٢٩، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ١٧٩، ولواعج الأشجان: ٣٠، وموسوعة كلمات الحسين (عليه السلام): ٣٥٤، وكربلاء الثورة والمآساة: ١١٤، والصحيح من سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العاملي، ٣ / ٢٨٨.

بالله، ومقتبسين منها العبر والعظات التي تنفعهم في جميع ميادين حياتهم، إنها من دون شك ستظل تساير الركب الانساني وهي ترفع شعار العدل، وشعار الحق، وشعار الكرامة، وتضئ الطريق، وتوضح القصد أمام كل مصلح يعمل من أجل صالح الانسان^(١).

وأجاب المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) عن سؤال توجه له عن السبب الرئيس لخروج الإمام الحسين (عليه السلام): (السؤال: ما السبب الحقيقي لخروج الإمام الحسين (عليه السلام) ونحن بعد إيماننا بإمامته وعصمته في غنى عن ذلك ولكن هناك من يشكل عليه - صلوات الله عليه - من المخالفين ونحن مضطرون للجواب على هذا السؤال فما هو رأيكم في الموضوع؟

الجواب: قد بينه هو بنفسه (سلام الله عليه) حيث قال: "وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.. وقال: خرجت لأمر بالمعروف وأنه عن المنكر، ولا شك أن التجاهر بالفسق الذي كان شيمة المتسمي بخليفة الرسول (ﷺ) صار يشكل خطرًا عظيمًا على الإسلام والمسلمين، وكان لا بد للإمام (عليه السلام) كأبي مسلم غيور، أن يقوم ضد ذلك الطاغية المتغلب، وإن كان يعلم أن ذلك يؤدي إلى قتله، شأنه شأن كل الأنبياء والمرسلين الذين

قاوموا الظلم والطغيان والكفر والجحود، حتى (استشهدوا سلام الله عليهم أجمعين))^(١).

وفي وقتنا الحاضر لا يمكن نسيان فتوى الجهاد الكفائي التي صدرت من سماحة السيد عليّ الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) وأعلنت في خطبة الجمعة بالحرم الحسيني المطهر بتاريخ ١٥ / شعبان / ١٤٣٦ هـ، ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م، عن طريق سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (أعزه الله) ضد المجموعة الإرهابية (داعش) التي تدعي الإصلاح في الظاهر لكنها تبطن الكفر والنفاق في الباطن، حالها كحال الدولة الأموية المنحرفة عن تعاليم السماء. وقد حفظت هذه الفتوى البلاد من شر هؤلاء الأندال الذين عاثوا في الأرض الفساد وأساءوا للإسلام بفعل أعمالهم التي فعلوها في المناطق التي احتلوها.

أما الإصلاح في القرآن الكريم فيعد من أعظم المفاهيم التي دعا لها الله تعالى وأرسل بها الأنبياء ووصى بها الأئمة (عليهم السلام) وسيتناول البحث أنموذجاً للإصلاح تمثل بنبي الله شبيب (عليه السلام) الذي خاطب قومه: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

(١) إستفتاءات السيد السيستاني (دام ظله الوارف) : رقم السؤال ١٩٨١ بتاريخ ٢٤ / رمضان المبارك

وَالَيْهِ أُنِيبُ ﴿١﴾.

يا ترى ماهو الإصلاح الذي أراده النبي شعيب (عليه السلام)؟

إِنَّ شُعَيْبًا (عليه السلام) أَرَادَ أَنْ يُفْهِمَ قَوْمَهُ أَنَّ فِي عَمَلِهِ هَذَا هَدَفًا مَعْنَوِيًّا وَإِنْسَانِيًّا وَتَرْبَوِيًّا، وَأَنَّهُ يَعْرِفُ حَقَائِقَ لَا يَعْرِفُهَا قَوْمُهُ، وَالْإِنْسَانُ دَائِمًا عَدُوٌّ مَا جَهِلَ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ وَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّنِي أَقُولُ لَكُمْ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَنْقَسُوا الْمِكْيَالَ، وَأَنَا أَبْخَسُ النَّاسَ أَوْ أَنْقُصُ الْمِكْيَالَ، أَوْ أَقُولُ لَكُمْ لَا تَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ وَأَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، كَلَّا فَإِنَّنِي لَا أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَبَدًا، وَإِنِّي أُرِيدُ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ. وَهَذَا هُوَ هَدَفُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، حَيْثُ كَانُوا يَسْعَوْنَ إِلَى إِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ، وَإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ، وَإِصْلَاحِ الْعِلَاقِ وَالرُّوَاطِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ وَأَنْظِمَتِهَا، ثُمَّ يَنْبَهُهُمْ إِلَى مَسْأَلَةِ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَهِيَ أَنَّ كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَصَالِحَهُ وَيَنْسَى مَصِيرَهُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ بَغْضِهِ وَعَدَائِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ أَوْ التَّعَصُّبِ الْأَعْمَى وَاللَّجَاجَةِ فِي شَيْءٍ مَا (٢).

وأشار النبي إلى أحد المفاصل الاقتصادية التي هي من إفرازات عبادة الأصنام والشرك، وكانت رائجة جدًا عند أهل مدين يومذاك، وقال: وَلَا تَنْقَسُوا الْمِكْيَالَ أَيَّ حَالِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَنَقْصَانِهِ يَعْنِي عَدَمَ إِيفَاءِ حَقُوقِ النَّاسِ وَالبَخْسِ فِي الْبَيْعِ. ويشير النبي شعيب (عليه السلام) إلى علتين، الأولى: هي قوله

(١) هود: ٨٨.

(٢) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٧ / ٣٩ - ٤٠.

إني أراكم بخير وإنَّ قبول نصحي يكون سبباً لتفتح أبواب الخير عليكم، فعلى هذا لا مدعاة لعبادة الأصنام وإضاعة حقوق الناس، والأخرى: إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط بسبب إصراركم على الشرك والتطيف في الوزن وكفران النعمة^(١).

ونقل قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ) بسنده: (عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: إنَّ أول من عمل المكيال والميزان شعيب النبي (عليه السلام) عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثم إنَّهم بعد طففوا في المكيال وبخسوا في الميزان ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ فعذبوا بها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾^(٢).)^(٣) تبين للبحث من خلال سرد بعض ما فعله قوم شعيب (عليه السلام) وعلى الرغم من نصيحهم المستمر من نبيهم شعيب (عليه السلام) إلا أنَّ عنادهم وطغيانهم أدى إلى حلول عذاب الله بهم وهذا من سنن الله في الكون والأرض والإنسان في أنَّ الطغيان والتكبر لا يخلف إلا سوء العاقبة والعذاب، فالتطيف والتبخيس هو ما اقترفه هؤلاء القوم وفيه من المفاصد الاقتصادية والاجتماعية ظلم كبير يقع على المستهلك ومن ثمَّ على الدخل القومي والفردى فنزل بساحتهم

(١) ظ: م. ن، ٧ / ٣٣ - ٣٤.

(٢) الأعراف: ٩١.

(٣) قصص الأنبياء: ١٤٥، وبحار الأنوار: ١٠٨ / ١٥٧، والنور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين

:نعمة الله الجزائري، ٢١١، ومستدرك سفينة البحار: مرتضى الشاهرودي، ١٠ / ٢٢٩.

عذاب الله تعالى. ولعلّ أول من تلفظ بمفهوم الإصلاح وعمل به في القرآن الكريم هو ذاك النبي الكريم شعيب (عليه السلام) وقصته القرآنية المذكورة في هذه الآيات المباركات نبراس عمل للإمام الحسين (عليه السلام) في الإفادة منها علماً وعملاً وتطبيقاً وسلوكاً. فكانت كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) المرسلة إلى أخيه محمد بن الحنفية (رضي الله عنه)) أو الإعلان والبيان الأول لنهضته بيان للأمة المصير الذي ستناله بعد اتباعها معاوية ويزيد والتأريخ أثبت ذلك، فبعد انتهاء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، شاهد ما حدث للأمة من ابتعاد عن تعاليم الإسلام ودخول الموجات الفكرية والثقافية الوافدة إليه من الأمم الأخرى، والخلاف العقدي بدأت بوادره في المجتمع الإسلامي وهذا من إرهاصات عدم الإصلاح والإصلاح في أمة الإسلام، ومع كل الحقائق التي ذكرت، يوجد إلى الآن من يمجّد ويشير بالبّنان إلى الدولة الأموية وهذا هو من نتاج صراع الحق مع الباطل والخير مع الشر الذي بيّنه القرآن الكريم في الكثير من آياته، وأوضح عاقبة الأقوام التي لم تسر على طريق الإصلاح الذي رسمه الله تعالى عن طريق الأنبياء (عليهم السلام) إلا أنّ بعضهم يتجاهله عمداً لأنّه لا يسير على وفق ميوله الضالة.

المبحث الثاني: التحذير من الغرور بالدنيا والركون إليها

الغرور لغةً:

(من الفعل غرَّ، والغُرُورُ كسور الثوب الذي يطوى عليها، والواحد غُرٌّ، والغرور الشيطان، والغرارة الدنيا، وغرَّرَ بماله إذا حمّله على خطر)^(١).
الغرور اصطلاحًا: (سكون النفس إلى ما يوافق الهوى وينساق إليه الطبع من العجب بالنفس ولا سيما في موقع الجاه والغنى وهو مذموم في الشرع)^(٢).

وحَفَلَ الخطاب الحسيني بالكثير من الأقوال التي تحث الناس على عدم الغرور بالدنيا: نقل الحراني (ت: ق ٤هـ) عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله في وصف الدنيا: (إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرِفُهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَخَسِيسٌ عَيْشٌ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا. إِنَّ النَّاسَ عِبِيدُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ لَعِقُوا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ فَإِذَا

(١) المحيط في اللغة، صاحب بن عباد: ٤/ ٥١٠.

(٢) موسوعة المصطلح في التراث العربي والديني والأدبي: محمد الكتاني، ٢/ ١٧٦٣.

محصولا بالبلاء قل الديانون^(١).

وذكر الشيخ الصدوق (ت : ٣٨١هـ) عن الإمام السجاد (عليه السلام):
إنه أقبل على رجل من جلسائه فقال له: اتق الله وأجمل في الطلب ولا تطلب
ما لم يخلق فإن من طلب ما لم يخلق تقطعت نفسه حشرات ولم ينل ما
طلب. ثم قال: وكيف ينال ما لم يخلق، فقال الرجل: وكيف يطلب ما لم
يخلق؟ فقال: من طلب الغنى والأموال والسعة في الدنيا فإنما يطلب ذلك
للراحة، والراحة لم تخلق في الدنيا ولا لأهل الدنيا، إنما خلقت الراحة في
الجنة ولأهل الجنة، والتعب والنصب خلقا في الدنيا ولأهل الدنيا، وما أعطي
أحد منها جفنة إلا أعطي من الحرص مثليها ومن أصاب من الدنيا أكثر كان
فيها أشد فقرا لأنه يفتقر إلى الناس في حفظ أمواله، ويفتقر إلى كل آلة من
آلات الدنيا فليس في غنى الدنيا راحة ولكن الشيطان يوسوس إلى ابن آدم أن
له في جمع المال راحة وإنما يسوقه إلى التعب في الدنيا والحساب عليه في
الآخرة، ثم قال (عليه السلام): كلا، ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا بل تعبوا في

(١) تحف العقول : ٢٤٥، بحار الأنوار : ٧٥ / ١١٧، وليلة عاشوراء في الحديث والأدب : الشيخ

عبد الله الحسن، ١٠٥، وجمهرة خطب العرب في عصر العربية الزاهرة : أحمد زكي صفوت، ٢ / ٤٧.

الدنيا للآخرة^(١).

وفي جواب عن سؤال سألَه يهودي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن سبب تسمية الدنيا بهذا الاسم: قال لأنها أدنى من كل شيء^(٢). وهذا وإن دلَّ على شيء فهو يدل على أنَّ هذه الدنيا فانية، وماهي إلا قنطرة للعبور للآخرة، ومهما عمل الإنسان فإنه سوف يلاقي نتيجة عمله الذي عمله في الآخرة. وقد ورد النهي عن الغرور بالدنيا والركون إليها في الكتاب الكريم بعدة آيات منها^(٣):

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٤).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

(١) ظ: الخصال، ٦٤ / ٦٥، وموسوعة أحاديث أهل البيت: الشيخ هادي النجفي، ١ / ٤٨٥ - ٤٨٦،

وبلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): ٢٠١، وسر الإسراء في شرح حديث المعراج: الشيخ علي

سعادات برور، ١ / ٢٥٤، ومسند الإمام السجاد (عليه السلام): ٢ / ٢٥٣.

(٢) ظ: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ١ / ٢.

(٣) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥٠٠.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

يَجْحَدُونَ ﴿١﴾.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ

بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ غِيثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

مَنَعُ الْغُرُورِ ﴿٣﴾.

غير أن أكثر من يتصف بالغرور بالدنيا والركون إليها هم : ضعفاء

الإيمان، والطغاة والمخدوعون بمباهج الدنيا ومفاتها، ويتذرعون إلى

تسويع إغترارهم بالدنيا بزعمين فاسدين، وقياسين باطلين :

أحدهما: إِنَّ الدنيا نقد، والآخرة نسيئة، والنقد خير من النسيئة.

والآخر: إِنَّ لذائد الأولى ومتعها يقينية، ولذائد الثانية - عندهم - مشكوك،

والمتيقن خير من المشكوك. وقد أخطأوا وضلوا ضلالاً مبيناً، إذ فاتهم في

زعمهم الأول أَنَّ النقد خير من النسيئة إن تعادلا في ميزان النفع، وإلا فإن

(١) الأعراف: ٥١.

(٢) فاطر: ٥.

(٣) الحديد: ٢٠.

رجحت النسبته كانت أفضل وأنفع من النقد، فلذا نذ الأولى فانية، منغصة بالأكدار والهموم، والثانية خالدة هائلة. فقد أثبتتها الأنبياء والأوصياء والأئمة (سلام الله عليهم) والعلماء، وأيقنوا بها يقيناً لا يخالجه الشك، فارتياح المغرورين بالآخرة والحالة هذه، هوس يستنكره الدين والعقل^(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢). نقل علي الطهراني (ت: ١٣٥٣ هـ): فلا تغتروا بملاذها ونعيمها ولا يخدعنكم حب الجاه والرياسة وطول البقاء فإن ذلك نافذ بائد، ويبقى الوزر ولما كان الإنسان بعضهم سخييف الرأي قليل العقل فيغتر بأدنى شيء وقد يكون فوق ذلك ولا يغتر به، ولكن إذا جاءه غار وشيطان كامل وزين له ذلك الشيء وهون عليه مفسده وبيّن له ملاذ ومنافع يغتر به ويوقع نفسه في المعصية، والغرور الذي عادته أن يغتر غيره، والشيطان والدنيا وزينتها بهذه الصفة وإنّ الخلق يغترون بها وقيل: المراد من الغرور إبليس^(٣).

ذكر محمد عزة دروزه (ت: ١٤٠٤ هـ): أن هذه الآيات جاءت تذكّر الناس بنعم الله عليهم وتحذّرهم من الاغترار بالدنيا والاستماع إلى وساوس

(١) ظ: أخلاق أهل البيت، محمد مهدي الصدر، ١٣٠-١٣١.

(٢) فاطر: ٥.

(٣) ظ: تفسير مقتنيات الدرر، ٣٨/٩.

الشیطان عدوهم، الذي هو وحزبه في النار، فعلى الناس أن يحذروه وأن يتخذوه عدوًا ليتقوا شره، والمتبادر أن ينطوي في هذا تقرير أن السامعين يعرفون أن الإغواء والإغراء وتزيين الشهوات من وساوس الشيطان وهو ما قررته عنهم آيات عديدة مر ذكرها، والآية ليست بصدد دعوة الناس إلى نفوذ أيديهم من الحياة الدنيا، فقد احتوى القرآن على آيات كثيرة تبيح للناس الاستمتاع بالحياة وطيباتها وزينتها، وحذر من الاغترار والانشغال بها اغترارًا وانشغالًا ينسيان صاحبهما واجباته نحو الله ونحو الناس ويدفعانه إلى الاستغراق في المتع والشهوات بدون تورع من إثم وإسراف^(١).

اتفق المفسران على أن الكثير من الناس يغتر بالدنيا ويركن إليها لعدة أسباب منها حب الجاه والرياسة والمال فهو بذلك الاغترار يركن إلى الشيطان الذي يصور له عمله بأبهى صورة. أما مساوئ الاغترار بالدنيا والركون إليها فنقلها السيد محمد مهدي الصدر (ت: ١٣٥٩هـ) وهي :

١ - من أبرز مساوئ الغرور أنه يلقي حجابًا حاجزًا بين العقل وواقع الانسان، فلا يتبين آنذاك نقائصه ومساوئه، من جشع، وحرص، مما يسبب نقصه وذمّه.

٢ - إن الغرور يُشقي أربابه، ويدفعهم إلى معاناة الحياة، ومصارعتها،

دون اقتناع بالكفاف، أو نظر لزوالها المحتوم، مما يُظنيهم ويُشقيهم.

٣ - والغرور بعد هذا وذاك، من أقوى الصوارف والملهيات عن التأهب للآخرة والتزود من الأعمال الصالحة، الموجبة للسعادة الأخروية، ونعيمها الخالد^(١).

وعلاج الغرور يتمثل باستعراض الآيات والنصوص الواردة في ذم الغرور بالدنيا وأخطاره الرهيبة وإجماع الأنبياء والأوصياء والحكماء على فناء الدنيا، وخلود الآخرة، فجدير بالعقل أن يؤثر الخالد على الفاني، ويتأهب للسعادة الأبدية والنعيم الدائم. والإفادة من المواعظ البليغة، والحكم الموجهة، والقصص الهادفة المعبرة عن ندم الطغاة والجبارين، على إغترارهم في الدنيا، وصرف أعمارهم باللهو والفسوق. ومن عبّر الطغاة والجبارين ما قاله أبو جعفر الدوانيقي (ت: ١٥٨ هـ) لَمَّا حضرته الوفاة (بعنا الآخرة بنومة). وردّد هارون العباسي (ت: ١٩٣ هـ) وهو ينتقي أكفانه عند الموت: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ ۖ﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ وما هذا الاعتراف منهما إلا دليل على غرورهما^(٣).

(١) ظ: أخلاق أهل البيت، ١٣٥.

(٢) الحاقة: ٢٨ - ٢٩.

(٣) ظ: أخلاق أهل البيت، ١٣٦ - ١٣٧.

مناقشة ورأي:

بعد الانتهاء من ذكر تفسير الآية الكريمة وأخذ قولين من أقوال الإمامين الحسين وولده السجاد (عليهما السلام) تبين أن مفهوم عدم الغرور بالدنيا والركون إليها هو في الأصل والأساس مفهوماً قرآنياً نطقت به الآيات الكريمات وتذكر أغلب سور القرآن الكريم هذا المفهوم التربوي والأخلاقي.

وقد جاد الخطاب الحسيني لیسایر هذا المنهج القرآني متأثراً به أيما تأثر من خلال ما استعرض البحث من أقوال الإمام الحسين (عليه السلام) وولده السجاد (عليه السلام) وشدة زهدهما للدنيا وعدم اكتراثهما بها لأنها فانية ولا تدوم لأحد، مهما كانت صفته التي يتمتع بها، فقد مات الأنبياء والأوصياء وغيرهم من الناس، ولم يتبق من ذكرهم إلا سيرتهم الحسنة التي نقلت إلينا، وأصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) الميامين (عليهم السلام) فقد آثروا طاعة الإمام المعصوم على طاعة الحاكم الظالم، الذي اغتر به الكثير من الناس بسبب إعطائهم الأموال ووعدهم بالحكم لتحقيق غاياته غير مشروعة، ومن ثم خسروا رضوان الله تعالى.

المبحث الثالث : البكاء في الخطاب الحسيني

البكاء لغةً: ('من الفعل بكأ، ويقال: البكائي على كثير البكاء، والبكّي على فُعُول جمع بالك')^(١).

البكاء اصطلاحًا:

('هو: سيلان الدمع عن حزن وعويل إذا كان الصوت أغلب كالرُغاء والثُغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت والقصد إذا كان الحزن أغلب')^(٢).

وفي الخطاب الحسيني نجد أنَّ الحسين (عليه السلام)، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبيته، وحث المؤمنين عليه، إذ قال (عليه السلام): ('أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى [استعبر]')^(٣).

وأكد الأئمة (عليهم السلام) بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) البكاء عليه. فأجاب الإمام السجاد (عليه السلام) عن كثرة بكائه، إذ نقل ابن عساكر (ت: ٥٧١

(١) معجم مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، ١٢٨.

(٢) مفردات الفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ١٤١.

(٣) فضل زيارة الحسين (عليه السلام) : محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري، ٤١، ومناقب آل أبي

طالب: ٣ / ٢٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٧٩، ومستدرک الوسائل: ١٠ / ٣١١

هـ) بسنده عن الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: سئل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن كثرة بكائه فقال: لا تلوموني فإنَّ يعقوب فقد سبطا من ولده فبكا حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات ونظرت أنا إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي ذبحوا في غداة واحدة فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً^(١).

في هذا الحديث ربط الإمام السجاد (عليه السلام) عمله بما في القرآن الكريم من قصة يعقوب (عليه السلام) وبكائه، وهو نبي متصل بالوحي والغيب، إذ لا ينبع فعله عن العواطف الخالية من أهداف الرسالات الإلهية. وكان يمثل فاجعة الطف في أشجى مناظرها الدامية، وبأقصر عبارة وافية. فهو يؤكد على سبب بكائه، بحيث يعذره كل سامع. فجعل الإمام (عليه السلام) من قضية كربلاء مدعاة لكل الناس إلى إحيائها، وتزويدها بوقود الدموع، وإروائها بمياه العيون، وهم لا يعدونها قضية خاصة بعائلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحسب، بل هي مصاب كل الناس، وكل الرجال الذين لهم كرامة في الحياة وكان البكاء واحداً من الأساليب التي جعلها وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء^(٢).

(١) تأريخ مدينة دمشق : ٤١ / ٣٨٦، وكشف الغمة في معرفة الأئمة : ٢ / ٣١٤، وتهذيب الكمال :

٢٠ / ٣٩٩، وأعيان الشيعة : ١ / ٦٣٦، ومعجم الرجال والحديث : محمد حياة الأنصاري، ٢ /

٢٣٢، ووركت السفينة : مروان خليفات، ٥٢٣

(٢) ظ: جهاد الإمام السجاد (عليه السلام)، السيد محمد رضا الجاللي، ١٨٤.

وكان الإمام زين العابدين (عليه السلام): قد تحمل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وعاصر أحداثها، فكان عليه أن يؤدي رسالتها، لأنه شاهد صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمة أسرارها، وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو أوثق من يروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبرين عنه بصدق واتخذ الإمام السجاد (عليه السلام) من البكاء عادة، بل اعتمدها عبادة، فقد كانت - وفي تلك المدة بالذات - وسيلة هامة لأداء المهمة الإلهية التي حمل الإمام (عليه السلام) أعباءها. والناس، لما رأوه يذرف الدموع ليل نهار، لا يفتأ يذكر الحسين الشهيد ومصابئه، فهم: بين من يدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن والدمع الذارف المنهمر؟ وعلى من يبكي الإمام (عليه السلام)؟ فكان ذلك سبباً لاستمرار الذكرى في الأذهان، وحياتها على الخواطر، وبقاء الأهداف حية نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتكديس النعمة والنفرة من القتلة الظلمة. وبين من يعرف الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأنه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور على مكارهها، فإنه لم يبك بهذا الشكل، من أجل أذى يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، بل هي سنة الحياة بكاء مثله، ليس إلا لأجل قضية أكبر وأعظم، خاصة البكاء بهذا الشكل الذي لا مثيل له في عصره^(١).

(١) ظ: جهاد الإمام السجاد (عليه السلام)، السيد محمدرضا الجلاي، ١٨١ - ١٨٢.

ونقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بسنده عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: البكاءون خمسة: آدم (عليه السلام)، ويعقوب (عليه السلام)، ويوسف (عليه السلام)، وفاطمة بنت محمد (عليها السلام)، وعلي بن الحسين (عليه السلام)، فأما آدم (عليه السلام) فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب (عليه السلام) فبكى على يوسف (عليه السلام) حتى ذهب بصره، وحتى قيل له ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(١). وأما يوسف (عليه السلام) فبكى على يعقوب (عليه السلام) حتى تأذى به أهل السجن... وأما فاطمة بنت محمد (عليها السلام)، فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين (عليه السلام) عشرين سنة أو أكثر من ذلك، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة^(٣).

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) ظ: الأماي، ٢٠٤، ووسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢ / ٩٢٢، وبحار الأنوار: ١٠٩ / ٦٩،

وحوار مع فضل الله حول الزهراء (سلام الله عليها): السيد هاشم الهاشمي، ٢٢٦.

وبهذا يكون البحث قد أوضح التشابه بين البكاء في القرآن الكريم والبكاء في الخطاب الحسيني، الذي يعبر عن مدى شدة تأثر الناس بهذا الأسلوب التربوي الأخلاقي، الذي يعبر عن مزيج من العواطف الحزينة التي تراود به في مواقف معينة.

وتوظيف البكاء في سبيل نشر مظلومية أهل البيت (عليه السلام) خلال ما تعرضوا له بسبب وقوفهم ضد الظلم والطغيان الذي كان يسير به أفراد من الحكام الظلمة.

وقد ورد ذكر البكاء في القرآن الكريم بكافة مشتقاته في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(١). وفي تفسير هذه الآية القرآنية :

ذكر علي بن إبراهيم القمي (ت : ٣٢٩هـ) في تفسير الآية الكريمة بسنده : (عن عبد الله بن الفضيل الهمداني عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: مرَّ عليه رجل عدو لله ولرسوله، فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ثم مرَّ عليه الحسين بن علي (عليه السلام)، فقال: لكن هذا لتبكينَّ عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلا على

يحيى بن زكريا والحسين بن علي (عليهما السلام) ^(١).

وقال الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) في تفسيره للآية الكريمة : «روى زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: بكت السماء على يحيى بن زكريا، وعلى الحسين بن علي (عليه السلام)، أربعين صباحا، ولم تبك إلا عليهما. قلت: وما بكاؤهما؟ قال: كانت تطلع حمراء، وتغيب حمراء» ^(٢).

وعن بكاء الأرض روى السيد ابن طاووس الحلبي (ت : ٦٦٤ هـ) بسنده : «عن حماد عن معمر، قال: إنَّ أول ما عرف الزهري أنَّه كان عند عبد الملك بن مروان، فسأل جلساءه من منكم من يعلم ما صنعت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فلم يكن عند أحد منه علم، فقال الزهري : بلغني أنَّه لم يقلب يومئذٍ منها حجر إلا وجدوا تحته دمًا عبيطًا» ^(٣).

ونقل جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) بسنده : «عن عبيد عن إبراهيم رضي الله عنه قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على إثنين. قيل لعبيد أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه وحيث

(١) تفسير القمي : ٢ / ٢٩١، مناقب آل أبي طالب، ٣ / ٢١٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٩ / ١٠٩، وزبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني، ٦ / ٢٨٧، والبرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني، ٥ / ١٧، وبحار الأنوار : ٤٥ / ٢١٥، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام) : ٤٧١.

(٣) التشریف بالمنن في التعريف بالفتن : ٣٣٦، وبحار الأنوار : ٤٥ / ٢٠٤، وشجرة طوبى : محمد مهدي الحائري، ٢ / ٣٩١.

يصعد عمله، قال: وتدرى ما بكاء السماء؟ قال: لا. قال: تحمّر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قُتل احمّرت السماء وقطرت دمًا، وإنّ حسين بن علي يوم قتل احمّرت السماء، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن زياد قال لما قتل الحسين احمرت آفاق السماء أربعة أشهر وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن عطاء رضي الله عنه قال بكاء السماء حمرة أطرافها^(١).

فالبكاء مفهوم تربوي أخلاقي قرآني، جعل منه القرآن الكريم مادةً أخلاقيةً وسلوكًا عمليًا للتعبير عن الحزن بكل أنواعه وبخاصة فيما يتعلق بشيء هو أعز ما في الوجود، إذ صَوَّر القرآن الكريم بكاء يعقوب النبيّ (عليه السلام) على يوسف (عليه السلام) وشدة ذلك البكاء لا لفقد أحد الأبناء الذي يمثل جزءًا واعتراضًا على أمر الله، بل كان بكائه لخوفه من خلو الأرض من (معصوم) لأن الأرض إذا خلت من معصوم (نبيّ كان أو إمام) تسيخ بأهلها.

فجاءت مقولة الإمام الحسين (عليه السلام) لتصور لنا هذا المعنى بدقة متناهية عندما قال: (أنا قتيل العبرة...)، وكذلك فعل الإمام السجاد (عليه السلام) كلّ ذلك موافقةً للقرآن الكريم وترسيخًا لمفاهيمه التربوية والأخلاقية.

المبحث الرابع : الوفاء بالعهد

العهد لغةً: (من ع ه د _ (العهد) الأمان واليمين والذمة والحفاظ والوصية و (عهْد) إليه من باب فهم أي أوصاه)^(١).
العهد اصطلاحاً:

(حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وسُمِّيَ المَوْثُقُ الذي يلزم مراعاته عهداً وعهد الله تارةً يكون في عقولنا وتارةً يكون بما أمرنا به الكتاب والسنة رسله)^(٢).

وإنَّ الوفاء بالعهد من أكثر الأمور تأكيداً في الإسلام، سواء كان العهد مع الله أو مع رسوله، أو مع الأئمة، أو مع سائر الناس، ولذا لا يترك هذا الحكم سبحانه إلا ويؤكد له ليكون أوقع في النفس، ويتعاون العقل والعاطفة في إنفاذه، ولقد كان بعض المعاهدين مع الرسول (ﷺ) ينقضون عهدهم معهم، بحجة أنه وأصحابه قلة ضعيفة، وأنَّ قريش، وسائر الكفار كثرة قوية، ولكن هذا السبب من عموم لا وجه له، فإنَّ الوفاء بالعهد لا تظهر قيمته فيما

(١) مختار الصحاح : ٤٦٠.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الإصفهاني، ٥٩١ - ٥٩٢.

كان الأمر على قدم المساواة مع طرف المعاهدة وغيرهم وفي الإسلام أمثلة كثيرة ترشد إلى مصير الوفي الصابر، وإن رفّت ألوية الغادر المستعجل أياماً، وفي الآخرة تظهر نتائج الأعمال، فمن أهان الناس أهين، ومن احترامهم احترم^(١).

وفي الخطاب الحسيني تعددت العهود التي أعطيت للإمام الحسين (عليه السلام) وأول من نقض العهد هو معاوية بن أبي سفيان.

إذ نقل الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في جواب الإمام الحسين (عليه السلام) على معاوية: - (أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه؟ بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقهما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة ربك واستخفافاً بذلك العهد^(٢)). فبنو أمية جُبّلوا على نقض العهود منذ زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) مروراً بالأئمة الذين عاصروهم.

ونقل الطبري (ت: ٣١٠هـ) أن أهل الكوفة كتبوا للإمام الحسين (عليه السلام): (بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي من شيعته من

(١) ظ: تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ٣ / ٢٦٠-٢٦٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١ / ٢٥٥، والاحتجاج: الطبرسي، ٢ / ٢٠، وجامع الرواة: محمد بن علي الأربلي، ١ / ٦٣٠، وبحار الأنوار: ٤٤ / ٢١٣، وشجرة طوبى: ١ / ٨٢، ومعجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ١٤ / ٩٩.

المؤمنين والمسلمين أما بعد: فحيهلاً فإن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام عليك، وكتب شبت بن ربعي وجماعة معه: أما بعد فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار وطمت الجمام فإذا شئت فاقدم على جند لك مجندة والسلام عليك^(١). ثم كتب الإمام الحسين (عليه السلام) كتاباً آخر وأرسله مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا آخر الرسل:— (بسم الله الرحمن الرحيم: من حسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلکم إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحق منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله)^(٢).

فالملاحظ في كتاب أهل الكوفة أنهم عاهدوا الإمام الحسين (عليه السلام) بأنهم معه وينظرون قدومه بسرعة فهم على حد تعبيرهم (جند مجندة)، والجندي هو من يعطي العهد والميثاق ببذله الغالي والنفيس في سبيل من

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٢، وظ: وإعلام الوری بأعلام الهدى، ١ / ٤٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٢، وظ: وإعلام الوری بأعلام الهدى، ١ / ٤٣٦.

أعطاه عهدًا ووعدًا وميثاقًا، ولإجابتهم بحسن النية أرسل إليهم أخاه وابن عمه مسلم بن عقيل (عليه السلام).

وفي الطريق إلى كربلاء التقى الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحر بن يزيد الرياحي في القادسية، وقد نقل الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ): كان مجيء الحر من القادسية وكان عبد الله بن زياد بعث الحصين بن تميم وأمره أن ينزل القادسية ويقدم الحر بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين فلم يزل الحر موافقا للحسين حتى حضرت صلاة الظهر فامر الحسين (عليه السلام) الحجاج بن مسروق أن يؤذن فلما حضرت الإقامة خرج الحسين (عليه السلام) في إزار ورداء ونعلين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:- أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم آتكم حتى أتنى كتبكم، وقدمت علي رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم فاعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لقدومي كارهين انصرفتم عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم فسكتوا^(١).

وقد دلّ سلوكهم هذا على نقض العهد من قبلهم بعد قتلهم مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وهاني بن عروة (عليه السلام)، وعبد الله بن يقطر (عليه السلام)، وفي

(١) ظ: الإرشاد، ٢٤٩ - ٢٥٠، ومستدرك الوسائل، الميرزا حسين الطبرسي، ٢٩ / ٤، وأعيان الشيعة

خطبته أراد الإمام الحسين (عليه السلام) إلقاء الحجة على الجند بأنه ما جاء إلى الكوفة إلا بعد ورود الكثير من الكتب والعهود تطلب منه القدوم لإنقاذهم من الحكم الظالم.

نقل أبو مخنف (ت: ١٥٧ هـ) بسنده :- (أنَّ الحسين خطب بأصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنَّ رسول الله (ﷺ) قال: «مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالَفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يَغْيِرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ»^(١). أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَظَلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَمُوا حَلَالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرِي وَقَدْ أَتَنِي كِتَابُكُمْ وَقَدِمْتُ عَلَى رِسَالِكُمْ بِيَعْتَكُمْ أَنْكُمْ لَا تَسْلَمُونِي وَلَا تَخْذَلُونِي، فَاِنْ تَمَمْتُمْ عَلَى بِيَعْتِكُمْ تَصِيْبُوا رِشْدَكُمْ، فَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِيكُمْ، فَلَكُمْ فِي لَكُمْ بِنَكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمًا، وَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتَرَّ

(١) وجد نص الحديث في الكثير من مصادر الإمامية والسؤال لماذا لم يرو البخاري ومسلم هذا الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام)؟، هل يشكون في صدقه؟ أم أن رواية الحسين (عليه السلام) - وإن صدق - لا تتوافق مع مذهبه ورؤيته وليذهب الصدوق إلى الجحيم. ظ : الطريق إلى مذهب أهل البيت، د. أحمد راسم النفيس، ٧٨.

بكم، فحظكم، أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

بان للقارئ والسماع أن الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته لجيشه ولجيش الحر بن يزيد الرياحي (رضي الله عنه) استظهر لهم العهد الذي قطعوه له وذكرهم بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يوجب الوقوف بوجه الحاكم الظالم لردعه عن ظلمه لأنه ناكث لعهد الله تعالى، وكذا قومه الذين حللوا الحرام وحرموا الحلال، وذكرهم بأنه حفيد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بقوله: (أنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله) ليعيد عليهم مقارعة جده للطغاة السابقين، ويختم حديثه بأن الذي ينكث العهد فهو ينكثه على نفسه.

ونقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بسند صحيح عن الإمام السجاد (عليه السلام) في أهمية الوفاء بالعهد: (قال: قلت لعلي بن الحسين (عليه السلام): أخبرني بجميع شرايع الدين، قال: قول الحق، والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد)^(٢). وفي شرح هذا الحديث نقل قاسم محمد العاملي: في هذا الحديث

(١) مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، ٨٦، وتاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤، والكمال في التاريخ:

٤٨ / ٤، ومسند الإمام الشهيد: ١ / ٤٨١.

(٢) الخصال: ١١٣، وإعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن محمد الديلمي، ١٣٢، وبحار الأنوار: ٧٢ / ٢٦، وجامع أحاديث الشيعة: ١٤ / ٢٨٨، وفقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ١٧٨.

ثلاث جمل قصار حوت ما فيه قوام الإنسانية وصلاح المجتمعات، وقطعت كل طرق الفساد، فما أقصرها في ألفاظها وما أثقلها في معانيها! حيث يصعب على العالم التقي الحليم، من غير من عصمه الله، الالتزام بها إلا بشق الأنفس والسداد والتوفيق من الله^(١).

أمّا ناقض العهد (الخائن، الغادر) فقد ذكر سليمان السجستاني (ت: ٢٧٥هـ): (بسنده عن عبد الله بن دينار، أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ الغادر يُنْصَبُ له لواءٌ يوم القيامة فيقال: هذه غدره فلان ابن فلان)^(٢).

وفي شرح هذا الحديث نقل العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ): أنَّ الغادر أي الخائن لإنسان عاهده أو أمنه، يُنْصَبُ له لواء أي علم خلفه تشهيراً له بالغدر وتفضيحاً على رؤوس الأشهاد، فيقال: أي ينادى عليه يومئذ هذه غدره (فلان بن فلان) أي هذه الهيئة الحاصلة له مجازاة غدرته^(٣). بعد ذكر نماذج من الخطاب الحسيني التي تحدثت عن العهد وأهمية الوفاء به، سيتحدث البحث عن العهد في القرآن الكريم وبعدها سيذكر تفسيراً لإحدى

(١) ظ: رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ على المجتمع المؤمن، ٢٦٣.

(٢) سنن أبي داود: ١ / ٦٢٦، وسنن الترمذي: ٣ / ٧١، والسنن الكبرى: النسائي، باب الغدر، ٥ / ٢٢٤، والغدير: الشيخ الأميني، ٧ / ١٤٦، وطرق حديث الأئمة الأثني عشر: الشيخ كاظم آل نوح، ٢٨.

(٣) ظ: عون المعبود: ٧ / ٣٠٩.

الآيات التي تم ذكرها أنفاً لبيان المراد من ذكر العهد فيها ثم سيتحدث عن العهد في الخطاب الحسيني هل وفى به أصحابه أم لا ؟ فقد وردت لفظة العهد والوفاء به في القرآن الكريم بكافة اشتقاقاتها في خمسة وأربعين موضعاً^(١)، منها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٣).

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤).

٤ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنََّّ الْعَهْدَ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٢) البقرة : ١٢٥ .

(٣) يس : ٦٠ .

(٤) البقرة : ٢٧ .

كَانَ مَسْئُولًا^(١).

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(٢).

ذكر السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) في تفسيره للآية السابقة: الأمانة ما ائتمن عليه من مال ونحوه، ولعل جمعه للدلالة على أقسام الأمانات الدائرة بين الناس، وربما قيل بعموم الأمانات لكل تكليف إلهي أو ائتمن عليه الانسان وما أو ائتمن عليه من أعضائه وجوارحه وقواه أن يستعملها فيما فيه رضى الله وما ائتمنه عليه الناس من الأموال وغيرها، والعهد بحسب عرف الشرع ما التزم به بصيغة العهد شقيق النذر واليمين، ويمكن أن يراد به مطلق التكليف المتوجه إلى المؤمن فإن الله سبحانه سمي إيمان المؤمن به عهداً وميثاقاً منه على ما توجه، والآية تصف المؤمنين بحفظ الأمانات من أن تخان والعهد من أن ينقض، فإذا آمن أحد أمانة أودعها عنده أو عهد عاهده وقطع على ذلك استقر عليه ولم يتزلزل بخيانة أو نقض^(٣). ويدل تفسير هذه الآية على أهمية الوفاء بالعهد ولذلك جعله الله تعالى من أفضل صفات المؤمنين التي قالها الله تعالى في هذه السورة ولا شك في أن من يتصف بهذه الصفات فقد نال رضا الله تعالى، وختاماً لهذا المطلب وفي زماننا الحاضر

(١) الإسراء: ٣٤.

(٢) المؤمنون: ٨.

(٣) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ١٥ / ١١.

طلب منا أئمتنا (عليهم السلام) عهداً يجب الوفاء به ؟ نقل الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) بسند صحيح عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاء لهم يوم القيامة^(١). إذا زيارة قبور أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هي أحد العهود التي يجب المداومة عليها. ويعد الوفاء بالعهد من الأمور النظامية، فيلتزمون به أشد الالتزام ويستنكرون نقض العهد أشد الاستنكار، ويجعلون ذلك من الرذائل والذمائم، ويسقط اعتبار ناقض العهد لديهم، فكل عهد فيما بينهم يلزم الوفاء به بلا فرق فيه بين عهودهم القولية أو الفعلية^(٢).

وتأسيساً على ما تقدم تبين للبحث أن الالتزام بالوفاء بالعهد وعدم نقضه مفهوم قرآني آخر دلّت عليه النصوص القرآنية المستفيضة التي بلغت حدّ الخمس وأربعين موضعاً وقد استنطق هذه النصوص جميعها الإمام الحسين (عليه السلام) في خطابه المشتمل على الخطب والرسائل والكتب، وقد شدّد من خلال ذلك على وجوب الالتزام بهذا المفهوم القرآني الأخلاقي

(١) الكافي : ٤ / ٥٧٦، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) : الشيخ الصدوق بإسناد مختلف، ٣ / ٣٣٨،

ورسائل الكركي : المحقق الكركي، ٢ / ١٦٣، وجواهر الكلام : الشيخ الجواهري، ٢٠ / ٨٧.

(٢) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام : السيد عبد الأعلى السبزواري، ١٦ / شرح ص

الشامل الذي عليه عماد مسيرة البشر على الأرض وعماد صناعة حضارية إنسانية متقدمة، فالإمام الحسين (عليه السلام) لم ينفك في جميع خطبه ورسائله عن التأثير بالنص القرآني أيما تأثر، فكان خلقه وكلامه القرآن بعينه، والقرآن الكريم هو النص الخالد الذي يساير الزمان والمكان إلى يوم يبعثون، وهو البحر الذي لا ينضب ماؤه، والشجرة المعطاء التي لا تيبس، وكل هذه الصفات التي ذكرت موجودة في الخطاب الحسيني، فهو خطاب حي ومتجدد مع كل زمان لأن أصله القرآن الكريم.

المبحث الخامس: سرعة استجابة الدعاء

الدعاء لغةً: - (من الفعل دعا - دَعَاه صاح به و (دَعَوْتُ) الله له وعليه أدعوه (دُعَاءً) والدَّعْوَةُ المرة الواحدة والدُّعَاءُ أيضًا واحد - الأدعية -^(١).

الدعاء اصطلاحًا: - (هو طلب الفعل مع نوع من الخضوع أو التذلل لمن يوجه إليه وهو العبادة وما تقوم عليها من إستغاثة بالله وإستعانه به والإستغفار من الذنوب)^(٢).

والدَّعاء: هو الرابط الروحي بين العبد والمولى، وأنَّه من أحب الأعمال إلى الله، لأنَّه مخ العبادة وسلاح المؤمن، ومقاليد الفلاح، وتبلغ أهمية الدعاء درجة بحيث يأمر الله سبحانه عباده بالدَّعاء، ويضمن الإجابة عليه وهو الدَّعاء الخارج من قلب مملوء حبًّا للمولى، من قلبٍ طاهرٍ، هو الدَّعاء الذي تسبقه العبرة والدَّمعة الدالة على الاشتياق إلى لقاء المحبوب، هو الدَّعاء في جنح الليل المظلم، إذا نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت القلوب، هو الدَّعاء الذي يسبقه الثناء على الله والمدح والتَّمجيد له، والصَّلاة على النَّبي وآله وعلى كل حال فالثناء والمدح بذكر أسمائه الحسنی

(١) مختار الصحاح: ٢٠٥ - ٢٠٦..

(٢) موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي: ١/ ٩٩٠.

إذا كان خارجاً من قلب عارف عالم بها واقف على معانيها أفضل بكثير من غيره^(١).

أما مواضع استجابة الدعاء في الخطاب الحسيني فهي كثيرة منها :-
ذكر الطبري (ت : ٣١٠هـ) : أنَّ رجلاً من كندة يقال له مالك بن النسير أتاه فضرب الحسين (عليه السلام) على رأسه بالسيف وعليه برنس له فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدمى رأسه فامتلاً البرنس دمًا، فقال له الحسين (عليه السلام) : لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين. وجاء الكندي حتى أخذ البرنس وكان من خز فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أقبل يغسل البرنس من الدم فقالت له امرأته أسلب ابن بنت رسول الله (ﷺ) وتدخل بيتي أخرجه عنى فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً حتى جاء المختار الثقفي (رضي الله عنه) قال له : أنت صاحب البرنس لعنك الله. قال : لا. قال : بلى. ثم قال : اقطعوا يديه ورجليه، ودعوه يضطرب حتى يموت، فقطعوهما حتى مات^(٢).

ونقل أحمد بن أعثم الكوفي (ت : ٣١٤هـ) : (أقبل رجل من معسكر

(١) ظ: مجلة تراثنا، مؤسسة أهل البيت، ٢٠ / ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) ظ: تاريخ الطبري، ٤ / ٣٤٢٢، والأمالى : الشيخ الطوسي، ٢٤٤ هامش رقم ١، والكمال في التاريخ، ٤ / ٧٥، ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠ / ٤٥٧، وجواهر المطلب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محمد بن أحمد الشافعي، ٢٨٧ / هامش رقم ١، وشرح إحقاق الحق: ٢٧ / ٢٠٥.

عمر بن سعد على فرس له حتى وقف عند الخندق وجعل ينادي: أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة! فقال له الحسين: كذبت يا عدو الله! إني قادم على رب رحيم وشفيع مطاع، ثم قال الحسين: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا مالك بن حوزة! فقال الحسين: اللهم حزه إلى النار، وأذقه حرها في الدنيا قبل مصيره إلى الآخرة! فلم يكن بأسرع أن شبت به الفرس فألقته في النار، فاحترق^(١).

وذكر الشيخ المفيد (ت: ١٣٤ هـ): اضطربت به فرسه في جدول فوق وعدا به فرسه فضرب رأسه كل حجر وكل شجر حتى مات وعجل الله بروحه إلى النار^(٢).

وبرزت استجابة الدعاء عندما دعا الإمام الحسين (عليه السلام) لجون مولى أبي ذر: نقل المجلسي (ت: ١١١١ هـ) قال: تقدم جون مولى أبي ذر الغفاري وكان عبداً أسوداً، فقال له الحسين (عليه السلام): أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا، فقال: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء الحس قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم، والله إن ريحي لمتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس علي بالجنة، فتطيب ريحي ويشرف حسبي، ويبيض وجهي؟

(١) ظ: الفتوح، ٩٦/٥، وظ: الكامل في التاريخ، ٦٦/٤، وظ: البداية والنهاية، ١٩٦/٨.

(٢) ظ: الإرشاد، ١٠١/٢، وإعلام الوري بأعلام الهدى، ٤٦٢/١، ولواعج الأشجان، ١٤١،

وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ٤٧٦، وصحيفة الحسين (عليه السلام): ١٣٠.

لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم قاتل حتى قتل، فوقف عليه الحسين (عليه السلام)، وقال: اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، واحشره مع الأبرار)، وروي عن الإمام الباقر عن أبيه (عليه السلام): أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَحْضُرُونَ الْمَعْرَكَةَ، وَيَدْفَنُونَ الْقَتْلَى، فَوَجَدُوا جَوْناً بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمَسْكِ^(١).

من المحدثين المحقق الشيخ محمد السند الذي قال: أخذ الحسين (عليه السلام) على عاتقه إحياء مبادئ جدّه محمد (صلى الله عليه وآله) التي تعرّضت للتشويه والانحراف على أيدي بني أمية، فرى أَنَّ الحسين بن علي (عليه السلام) في يوم عاشوراء يضع خدّه على خدّ جون ذلك العبد، وهذا نوع عظيم من أنواع الاحترام عند العرب، فالحسين (عليه السلام) هنا يساوي بين جون - العبد الأسود - وبين علي الأكبر، السيد القرشي الذي ينتسب لرسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

وذكر الطبري (ت: ٣١٠هـ) بسنده: قال حدثني من شهد الحسين في عسكره أَنَّ حُسَيْنًا حِينَ غَلَبَ عَلَى عَسْكَرِهِ رَكِبَ الْمَسْنَةَ يَرِيدُ الْفَرَاتَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ وَيَلِكُمْ حَوْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ، قَالَ: وَضَرَبَ

(١) ظ: بحار الأنوار، ٢٢/٤٥ - ٢٣، وأعيان الشيعة، ١/٦٠٥، ومستدركات علم الرجال، ٢/٢٤٥ - ٢٤٦، ومستدرک سفینه البحار: ١٣٨/٢، وشجرة طوبى: ١/١١٧، وصحيفة الحسين (عليه السلام): ١٠٦، ومسند الإمام الشهيد: ٨٢/٢.

(٢) ظ: بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ٢٤٧.

فرسه واتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات فقال الحسين: اللَّهُمَّ أَظْمِئْهُ
[اللهم أظْمِئْهُ] قال: ثم رمى بسهم فأثبتته في حنك الحسين، قال: فانتزع
الحسين السهم ثم بسط كفيه فامتلاًتا دمًا ثم قال الحسين: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو
إِلَيْكَ مَا يَفْعَلُ بَابَن بِنْت نَبِيكَ، قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيرًا حتى صب
الله عليه الظمأ فجعل لا يروى، قال: القاسم بن الأصبغ لقد رأيتني فيمن
يروح عنه والماء يبرد له فيه السكر وعساس فيها اللبن وقلال فيها الماء وإنه
ليقول ويلكم أسقوني قتلني الظمأ فيعطى القلة أو العس كان مرويًا أهل البيت
فيشربه فإذا نزع من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول ويلكم أسقوني قتلني الظمأ
قال فوالله ما لبث إلا يسيرًا حتى انقذ بطنه كانقداد البعير^(١).

وقد وردت سرعة استجابة الدعاء في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) على
حرملة بن كاهل الأسدي الذي رمى العباس (عليه السلام) بسهم ومثله فعل مع أبو
بكر بن الإمام علي (عليه السلام) وقتل الطفل الرضيع عبد الله بن الحسين (عليه السلام)

(١) ظ: تاريخ الطبري، ٤/ ٣٤٤، وتأريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢٢٣، ومثير الأحزان: ٥٢٣، وسير أعلام
النبلاء: ٣/ ٣١٢، وسبل الهدى والرشاد: الصالحى الشافعي، ١١/ ٧٩، وبحار الأنوار، ٤٥/ ٣٠١،
ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢١٤، العوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٦١٣، ومسند الإمام
الشهيد: ٢/ ٢٩٤.

ذكر الأربلي (ت : ٦٩٣ هـ) : عن المنهال بن عمرو قال : حججت فدخلت على علي بن الحسين (عليه السلام) فقال لي : يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي ؟ قلت تركته حياً بالكوفة قال : فرفع يديه ثم قال : اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار . قال فانصرفت إلى الكوفة وقد خرج بها المختار وكان قد وجه في طلب حرملة بن كاهل فأحضر فقال : الحمد لله الذي مكنتني منك ثم دعا بالجزار فقال اقطعوا يديه ورجليه ثم قال النار النار فأتى بطن قصب ثم جعل فيها ثم ألهب فيه النار حتى احترق ، فقلت سبحان الله سبحان الله فالتفت إلى المختار فقال : مم سبحت فرويت له حديثي مع السجاد (عليه السلام) ، فقال المختار : الله الله أسمعت علي بن الحسين يقول هذا ؟ قلت : الله الله لقد سمعته يقول هذا فنزل المختار فصلى ركعتين ثم أطال ثم سجد وأطال ثم رفع رأسه وذهب فدعوته للغداء ، فقال يا منهال تخبرني أن علي بن الحسين (عليه السلام) دعا بثلاث دعوات فأجابه الله فيها على يدي ثم

(١) ظ : ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ، ١٧ / هامش رقم ١ ، ومقاتل الطالبين : أبو الفرج

الإصفهاني ، ٨٥ ، وإقبال الأعمال : السيد ابن طاووس ، ٣ / ٧٤ ، وموسوعة الإمام العسكري (عليه السلام)

تسألني الأكل عندك هذا يوم صوم شكر الله على ما وفقني له^(١).
وقد ورد الدعاء بكافة أشكاله ومضامينه في القرآن الكريم بكثرة في أكثر
من أربعين مرة^(٢) في عدة آيات من القرآن الكريم سيذكر البحث شذرات
منها:—

- ١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣).
- ٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ صدق الله
- ٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا﴾^(٥).

(١) ظ: كشف الغم في معرفة الأئمة، ٣٢٥/٢، ومناقب ابن شهر آشوب: ٢٧٦/٣، وذوب
النضار: ١٢١، والمحجة البيضاء في تهذيب الأحياء: ٢٤١/٤، ورجال تركوا بصمات على قسّمات
التاريخ: ١٥١، ومسند الإمام السجّاد (عليه السلام): ١٠١-١٥١.

(٢) ظ: المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، ٢٦٤-٢٦٦.

(٣) البقرة: ١٨٦.

(٤) النمل: ٦٢.

(٥) نوح: ٥-٦.

٤ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(١).

٥ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ

يَكُونُ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

سيتطرق البحث إلى تفسير إحدى آيات الدعاء توضيحاً للمعنى وهي

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣).

نقل الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ): في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي﴾ الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه، لا عن فعله،

لقوله سبحانه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. فدل بهذا على أنه سبحانه لا مكان له، إذ لو

كان له مكان، لم يكن قريباً من كل من يناجيه. وقيل: معناه إني سريع الإجابة

إلى دعاء الداعي، لأنَّ السريع والقريب متقاربان. فجاءت لفظة (قريب)

بحسن البيان بها، وقوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ مفهوم المعنى.

وقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ معناه فليجيبوني فيما دعوتهم إليه. وقيل: معناه

(١) الإسراء: ١١.

(٢) الفرقان: ٧٧.

(٣) البقرة: ١٨٦.

فليدعوني ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي: وليصدقوا بجميع ما أنزلته. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: لعلهم يصيبون الحق، ويهتدون إليه^(١).

وذكر ابن فهد الحلبي (ت: ٨٤١هـ) في تفسير الآية: اعلم أن هذه الآية قد دلت على أمور: الأول: تعريضه تعالى لعباده بسؤاله بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، الثاني: غاية عنايته بمسارعة إجابته ولم يجعل الجواب موقوفاً على تبليغ الرسول (ﷺ) بل قال: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾. ولم يقل: قل لهم: إني قريب، الثالث: خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل، الرابع: تشريفه تعالى لهم برد الجواب بنفسه لينبه بذلك على كمال منزلة الدعاء وشرفه عنده تعالى ومكانه منه^(٢).

مناقشة ورأي:

تبين للبحث بعد ذكر تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى يسمع الدعاء ويستجب له إذا كان من العبد الذي يلتزم بتعاليم الله تعالى وأوامره ونواهيه، فسرعة الاستجابة من قبل الله (سبحانه وتعالى) للداعي، والإيمان المطلق بتلك الاستجابة هي من المفاهيم القرآنية السلوكية التي زخر بها النص القرآني وبخاصه فيما حكى عنه القرآن الكريم من قصص الأنبياء (عليهم السلام) وسرعة

(١) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٩/٢ - ٢٠.

(٢) ظ: عدة الداعي ونجاح الساعي، ١٤.

الاستجابة لدعائهم ، لعظيم يقينهم بأن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، بشرط أن الداعي يمتلك شروط الدعاء من مظلومية تقى وورع فلذلك وجدنا الإمام الحسين (عليه السلام) عمل وفق هذا المفهوم الأخلاقي القرآني من خلال أدعية دعا بها الله سبحانه وتعالى متخذاً من القرآن الكريم ونصوصه المختصة بالدعاء ساحة لدعائه ومحوراً لعمله (عليه السلام).

ونلاحظ أيضاً أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يدع على هؤلاء القوم الذين حاربوه مباشرة بل قدم لهم النصيح والإرشاد لكنهم ابوا واستمروا في غيهم وعنادهم، فما كان منه (عليه السلام) إلا أن دعا عليهم بالكلمات التي نقلت سابقاً، فاستجاب الله دعاءه.

المبحث السادس: التوبة

١ - التوبة لغةً : (من توب وهي الرجوع من الذنب وتاب إلى الله يتوب توبًا ومتبًا، وتاب الله عليه وفقه لها، ورجل تَوَّاب تائب إلى الله^(١)).

٢ - التوبة اصطلاحًا: (هي الندم على الذنب وتقر بآلّا تعود إليه ولا عذر لك في إتيانه^(٢)). والتوبة باب إلى رحمة الله، فكثيرًا ما تهجم على الإنسان الذنوب خاصة في بدايات توجهه إلى الله وإذا أغلقت جميع أبواب العودة والرجوع بوجهه، فإنه سيبقى في نهجه هذا إلى الأبد، ولهذا نجد الإسلام قد فتح بابًا للعودة وسماه " التوبة "، ودعا جميع المذنبين والمقصرين إلى دخول هذا الباب لتعويض وجبران الماضي. وقد شددت الروايات على أهمية التوبة إلى الحد الذي نقرأ في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (إنَّ الله تعالى أشد فرحًا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها^(٣)). لكن ينبغي التأكيد على أنَّ التوبة ليست مجرد لقلقة لسان تكرار قول (استغفر الله) وإنما للتوبة شروط وأركان وإذا تحققت فإنَّها ستؤتي

(١) لسان العرب: ١/ ٤٤٩.

(٢) الكليات: الكفوي، ١٠٩٤.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٣٥.

ثمارها^(١).

ومن أكبر مصاديق التوبة وأوضحها قولاً وعملاً ما ضرب به الحر^(عليه السلام)))
من مثل : ذكر الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ): فلما رأى الحر بن يزيد أن القوم
قد صمموا على قتال الحسين (عليه السلام)، أقبل فوقف من الناس موقفاً، ثم أخذ
يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما بك؟ إن أمرك
لمريب، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى
منك؟! فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار
على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت. ثم ضرب فرسه فلاحق بالحسين (عليه السلام)
فقال له: جعلت فداك - يا ابن رسول الله - أنا صاحبك الذي حبستك عن
الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، وإني تائب إلى
الله تعالى مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟ فقال له الحسين (عليه السلام):
نعم، يتوب الله عليك فأنزل " قال: فأنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم
على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري. فقال له الحسين (عليه السلام):
(فاصنع - يرحمك الله - ما بدا لك). فنزل الحر للمعركة وقاتل قتال الأبطال
حتى استشهد دفاعاً عن الحق ومضى إلى الله سبحانه وتعالى وهو تائب توبة

نصوح^(١)، فكان بحق مثلاً للمؤمن التائب الشهيد الذي عرف الحق عبر توبته النصوح.

وهناك مثال آخر للتوبة وهي توبة سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه بعد معركة الطف: ذكر أبو مخنف (ت: ١٥٧هـ): بسنده قال: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين (عليه السلام) نادوا صيحة واحدة: (يا رب إنّا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنّا نشهدك يا رب أنّا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفره لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، قال: فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلون عليه ويكون ويتضرعون حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره ثم أمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين (عليه السلام) فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود، ثم أحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال: الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين (عليه السلام) اللهم إذ حرمتها معه فلا تحرمها فيه بعده، وقال أحدهم: والله لو أنّ القتال فيهم بمغرب الشمس أو

(١) ظ: الإرشاد، ٢٦٣ - ٢٦٤، والكامل في التاريخ، ٤ / ٦٤، ومثير الأحزان: ٤٣ - ٤٤، وبحار الأنوار: ٤٥ / ١١، ولواعج الأشجان، ١٣٤ - ١٣٥، وأبصار العين في أصحاب الحسين (عليه السلام): ٢٠٨ - ٢٠٩، ومعالم المدرستين: ٣ / ٩٩ - ١٠٠، وموسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٥٢٨ - ٥٢٩.

بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى ننالَه فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة. فقلنا له: صدقت^(١).

وكان سليمان (عليه السلام) خيرًا عابدًا ومن الذين نقلوا أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن أصحاب الإمام علي (عليه السلام) وكبير شيعة العراق في أيامه^(٢).

رجع سليمان وأصحابه فعسكروا بالنخيلة، ثم ساروا إلى ابن زياد، الذي قدم بجيش كبير من أهل الشام ليعيد العراق إلى السلطة الأموية التي نصبت مروان بن الحكم خليفة فلقوا مقدمته في أربعة آلاف عليها شرحبيل ابن ذي الكلاع، فاقتتلوا، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة بموضع يقال له عين الوردة، وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنة، ولما استحرّ القتل في التوابين وقتل زعيمهم سليمان بن صرد الخزاعي، وغيره من الزعماء، علم من بقي منهم أنهم لا طاقة لهم بمن يازئهم من أهل الشام، فارتحلوا وعليهم

(١) ظ: مقتل الحسين (عليه السلام): أبو مخنف الأزدي، ٢٩٠ - ٢٩١، وتاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٧ - ٤٥٨،

وأصدق الأخبار: السيد محسن الأمين، ١٥ - ١٦.

(٢) ظ: المستدرک: الحاكم النيسابوري: ٣/ ٥٣٠، والأبواب (رجال الطوسي): ٤٠، ومجمع الزوائد

: ٢/ ٢٤٠، وفتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ٦/ ٢٤٢، والكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي، ٣،

رفاعة، فساروا إلى قرقيسياء ثم عاد من بقي منهم إلى الكوفة^(١).

والآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التوبة وبيان فضلها أكثر من أن تحصى، وهي من صفات العاقل لأنَّ العاقل قصده لقاء الله تعالى دائماً وهمّه النزول في ساحته، فأكبر مقاصده وأعظم مطالبه أن يُطهّر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البعد عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التكليف بالموت، بخلاف الجاهل فإنَّ وصفه الإصرار على الذنوب والمعاصي والإقامة على الآثام والمناهي إذ هو لعميان بصيرته وفقدان سريره ونقصان عقيدته محجوب عن درك الآخرة، وهو من الغافلين ثم الإصرار بالذنب أعم من فعله على الاستمرار^(٢).

وقد وردت لفظة التوبة بكافة مشتقاتها مكررة في أكثر من سبع وثمانين موضعاً^(٣). وسيذكر البحث بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:-

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ

(١) ظ: المعجم الكبير، الطبراني: ٧ / ٩٨، والاستيعاب: ابن عبد البر: ٢ / ٦٥٠، وموسوعة طبقات

الفقهاء: ١ / ٣٤٩، والمراجعات: السيد شرف الدين، ١٣٠.

(٢) شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني، ١ / ٢٧٨.

(٣) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ١٦٧ - ١٦٩.

(٤) البقرة: ٣٧

بِاتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٣﴾﴾.

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٤﴾﴾.

٦- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) التوبة: ١١٧.

(٣) مريم: ٦٠.

(٤) هود: ٥٢.

لَنَا نُورُنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾. غيرها من الآيات القرآنية... ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورُنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾.

قال الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): عاد سبحانه إلى خطاب المؤمنين في دار التكليف، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ من معاصيه، وارجعوا إلى طاعته ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وقيل: التوبة النصوح هي التي ينصح الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم، مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ عسى أن يحطها عنكم، ويدخلكم الجنة^(٣).

وذكر المجلسي (ت: ١١١١ هـ) بسنده جواباً للنبي (ﷺ) عندما سُئِلَ عن التوبة النصوح؟ فقال: هي الخالصة التي لا يعاود بعدها الذنب^(٤).

(١) التحريم: ٨.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٠ / ٦٢ - ٦٣.

(٤) ظ: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ١١ / شرح ص ٢٩٥.

ومعاني التوبة النصوح هي :-

١ - إنَّ المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها، لظهور آثارها الجميلة في صاحبها، أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود إليها أبدًا.

٢ - إنَّ النصوح ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم، غسل نصوح : إذا كان خالصا من الشمع.

٣- أنَّ النصوح من النصيحة وهي الخياطة لأنها تنصح من الدين ما مزقته الذنوب، أو يجمع بين التائب وبين أوليائه وأحبائه، كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب.

٤ - إنَّ النصوح وصف للتائب، وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون عليه، حتى تكون قاعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلية^(١).

جمعت المعاني التي تم ذكرها كل معاني التوبة النصوح فلكل معنى يوضح معنى آخر.

٣- فضائل التوبة :

للتوبة فضائل جمّة، ومآثر جليلة، صورها القرآن الكريم، وأعربت

عنها آثار أهل البيت (عليه السلام). وناهيك في فضلها أنها بلسم الذنوب، وسفينة النجاة، وصمام الأمن من سخط الله تعالى وعقابه. وقد أبت العناية الإلهية أن تهمل العصاة الذين يتخبطون في دياجير الذنوب، دون أن يسعهم بعطفه السامي، فشوقهم إلى الإنابة، ومهد لهم التوبة، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِبْجَهْدَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

وقال تعالى حاكياً: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣).

بينت الآيات القرآنية السابقة فضائل التوبة ومدى ترحيب الله تعالى بالعبد التائب وبالتالي غفران وتطهيره من آثامه السابقة وتعويضه بشتى المنافع^(٤).

أما الأحاديث التي وردت على لسان النبي محمد (ﷺ) في التوبة فكثيرة يذكر البحث حديثين منها: قال رسول الله (ﷺ) : (باب التوبة

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) نوح: ١٠-١٢.

(٤) ظ: أخلاق أهل البيت، ١٧١-١٧٣.

مفتوح حتى يُنفخ في الصور^(١).

ونقل الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه، قال رسول الله (ﷺ): (مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب وإنَّ المؤمن عند الله أعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب ومؤمنة تائبة)^(٢).

ومن خلال هذين الحديثين تبين أنَّ الرسول (ﷺ) يحثُّ على التوبة ويشجع عليها وأنَّ المؤمن التائب يحبه الله ورسوله. وقد ورد في الحديث الشريف الذي نقله ابن أبي شيبه الكوفي (ت: ٢٣٥هـ) بسنده: عن أنس بن مالك، قال رسول الله (ﷺ): (كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوابون)^(٣).

مناقشة ورأي:

التّوبة بوصفها مفهوماً تربوياً أخلاقياً باب فتحه الله سبحانه وتعالى

(١) بغية الطالب عن زوائد مسند الحارث: علي بن أبي بكر الهيثمي، ٨٠، وثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، ٢٩٤، ووسائل الشيعة: ١٦ / ٩١، ويحار الأنوار: ٧٣ / ٣٧٤.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٣٣، وكفاية الأثر: ١١٩، وروضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ٢٩٣، ووسائل الشيعة: ١٦ / ٧٥.

(٣) المصنف: ٨ / ١٠٨، والكمال: عبد الله بن عدي الجرجاني، ٥ / ٢٠٧، وشعب الإيمان: أحمد بن الحسن البيهقي، ١ / ٢٥٤، والترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري، ٤ / ٩١، وتاريخ الإسلام: ٩ / ٥٣٢.

بعباده لئلا يأسوا من رحمته تعالى، لأنّه رؤوفٌ رحيمٌ بهم، وقد حثَّ القرآن الكريم عليها ورغبَ فيها من خلال استعراض جملة من النصوص القرآنية التي فيها قصص عن التوبة وفضائلها وما للعبد التائب عند الله تعالى من فضائل، وكذلك نقل البحث جذوه من أحاديث النبي محمد (ﷺ) التي تشجع المؤمنين على التوبة. وقد تشرب الإمام الحسين (عليه السلام) كل الخصال القرآنية في عالم الأخلاق والسلوك والتربية، فنراه وهو في ذروة نهضته المباركة وفي ساحات الوغى يقبل بالحُر بن يزيد الرياحي التميمي (رضي الله عنه)) تائباً لله تعالى، والأكثر من ذلك يؤكد للحُر قبول توبة الله عليه في قوله (نعم، يتوب الله عليك). وبعد استشهاد الحُر بن يزيد الرياحي (رضي الله عنه)) وقف الإمام الحسين (عليه السلام) في بعض أصحابه فندبه، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد سرت توبة الحُر بن يزيد الرياحي (رضي الله عنه)) وما وقفه على جسده بعد شهادته إلا خير دليل على ذلك. إذا فقد عمل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه كلُّ باتجاهه بمقومات التوبة الصادقة الواردة آثارها وشروطها وفضائلها في القرآن الكريم ومن ثمَّ قدموا أعز ما يملكون في سبيل ذلك كله ، فنالوا هذه الدرجة الرفيعة.

المبحث السابع : الرفق بالحيوان

الرفق لغةً : (ر ف ق) : (١) الرفق ضد العنف ، وقد رفق به يرفقُ بالضم رفقاً ورَفَقَ به وأرفقه وترفق به كله ، بمعنى وأرفقه أيضاً نفعه ، والرفقة الجماعة ترافقهم في سفره^(١) .

الرفق اصطلاحاً : (هو اللطف واللين والرأفة في حركة الفرد والمجتمع ، وإلتزام المسلمين بالرفق والشفقة والرحمة خلق أساسي في نهج الدعوة إلى الإسلام مع مَنْ يمكن أن يثمر به^(٢) .

فالرفق والشفقة والعطف هي كلها مفاهيم قرآنية تربوية أكدت عليها النصوص القرآنية ، وحُثَّت عليها في أبهى صورها ، وقد حملت النهضة الحسينية صور رائعة وجميلة لهذه المفاهيم بل تعدى الأمر إلى ما نتادي به حديثاً بعض المنظمات العالمية من الرفق بالحيوان . فقد كان للرفق بالحيوان نعم الرفق بالحيوان نصيباً في نهضة أبي الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) نذكر منها صورتين فقط لعلها تفي بالغرض المطلوب .

الأولى :- نقلها الطبري (ت : ٣١٠ هـ) : عندما وصل الإمام الحسين

(١) مختار الصحاح : ١٣٧ .

(٢) مجلة تراثنا ، مؤسسة أهل البيت (عليه السلام) ، ٤٥٨ / ٥٤ .

(عليه السلام) وأصحابه إلى منطقة ذي حسم أمر بأبنيته فضربت وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي (رضي الله عنه) حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين (عليه السلام) في حر الظهيرة والحسين (عليه السلام) وأصحابه معتمون متقلدوا أسيافهم، فقال الحسين (عليه السلام) لفتيانه: اسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً أي اسقوها قليلاً فاقبلوا يملأون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوها عن آخرها، فقال: علي بن الطعان المحاربي كنت مع الحر يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين (عليه السلام) مابي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية والراوية عندي السقاء، ثم قال: يا ابن الأخ أنخ الجمل فأنخته فقال اشرب فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء فقال الحسين (عليه السلام): أخنث السقاء أي اعطفه فلم ادر كيف افعل فقام فخنثه بيده فشربت وسقيت فرسي^(١).

الثانية: نقل الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) بسنده: - عن إبراهيم بن علي، عن أبيه قال: حججت مع علي بن الحسين (عليه السلام) فالتاثت (أي أبطأت) عليه الناقة في سيرها، فأشار إليها بالقضيب ثم قال: آه ! لولا القصاص وردَّ يده

(١) ظ: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٢، والإرشاد: ٢٤٨- ٢٤٥، وبحار الأنوار: ٤٤/ ٣٧٥- ٣٧٦، ولواعج الأشجان: ٨٩- ٩٠، وفقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، ٣٧٦ / هامش رقم ١، وقادتنا كيف نعرفهم، ٣/ ٦١٣، والعوالم الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٢٦، والأخلاق الحسينية: ٣٧٠.

عنها، وبهذا الإسناد قال: حجَّ علي بن الحسين (عليه السلام) ماشياً، فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكة^(١). أي إنَّه لم يضرب ناقته أو يعنفها بل صبر عليها طول ذلك الطريق الطويل.

وقد ورد عن الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في تفسير قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(٢). الحشر يكون لمستحق الثواب والعقاب وذلك يختص المكلفين، ويكون أيضاً لكل حيوان له [كذا] على الألم الذي دخل عليها، فإنَّ الله تعالى لا بد أن يعوضه وإن لم يكن مستحقاً لثواب أو عقاب^(٣).
وضحت هاتين الروايتين الرحمة الإنسانية التي يتمتع بها الإمامان الحسين (عليه السلام) والسجاد (عليه السلام) تجاه الحيوان وهي تمثل أسمى الدروس التربوية والأخلاقية، ففي الأولى حاول الإمام الحسين (عليه السلام) تجنب العنف وسفك الدماء وتمثل بالعطف على عدوه المشرف على الهلاك فقدم له الماء بيده الكريمة ولا يعتبر هذا ضعف بل هو غاية مثلى في الأخلاق فكان عمله قدوة يقتدى بها وفي الثانية وضَّح صبر الإمام السجاد (عليه السلام) تجاه دابته على الرغم

(١) ظ: الإرشاد، ٢٨٨، وروضة الواعظين: ١٩٩، وأعلام الورى بإعلام الهدى: ١/٤٩٠، وبحار الأنوار: ٤٦/٧٦، ووسائل الشيعة: ١١/٤٥٨، والموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري، ٣/ ٢٣٩.

(٢) التكويد: ٥.

(٣) ظ: الرسائل العشر، ٣١٣.

من بطئها وكان يردد (لولا القصاص). وقد وردت آيات قرآنية عدة تذكر منفعة الحيوان للإنسان منها:

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١).

٢ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّقِصْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ

وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٣).

٤ - قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٤).

٥ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ

الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾^(٥).

(١) الأنعام: ١٤٢.

(٢) النحل: ٨.

(٣) النحل: ٦٦.

(٤) الغاشية: ١٧.

(٥) النحل: ٨٠.

٦- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُؤْذِنُوا بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١).

٧ - قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٢). ولتقريب المعنى أكثر فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ أَكْلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٣).

عطف سبحانه وتعالى على ما عده فيما تقدم، من عظيم الأنعام ببيان نعمته في إنشاء الأنعام، فقال ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةً وَفَرَشًا﴾ قد قيل فيه أقوال: أحدها: إنَّ الحمولة: كبار الإبل، أو كل ما حمل من الإبل والبقر، والخيول، والبغال، والحمير، والفرش: الغنم و صغارها، أو إنَّ الفرش ما يفرش أصوافها وأوبارها، ويرجع الصفتان إلى الأنعام^(٤).

ونقل فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) في تفسير الآية: اعلم أنه تعالى

(١) المؤمنون: ٢١.

(٢) غافر: ٧٩.

(٣) الأنعام: ١٤٢.

(٤) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤/ ١٨٠ - ١٨١.

لما ذكر كيفية إنعامه على عباده بالمنافع النباتية أتبعها بذكر إنعامه عليهم بالمنافع الحيوانية. فقال: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾ وكثر القول في تفسير الحمولة والفرش وأقربها إلى التحصيل وجهان: الأول: أن الحمولة ما تحمل الأثقال والفرش ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش. والثاني: الحمولة - الكبار التي تصلح للحمل، والفرش - الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض بسبب صغر أجرامها مثل الفرش المفروش عليها^(١).

إذاً لا غرابة البتة في أن الخطاب الحسيني المتمثل بقول الإمام الحسين (عليه السلام) وولده الإمام السجاد (عليه السلام)، أنهما لا يغفلان عن الرفق بالحيوان وإظهار معاني الرحمة والشفقة، فالمتبع للنصوص القرآنية التي تناولت هذا الموضوع، لا يلقى أدنى صعوبة في بيان مثل هذه النصوص الكريمة، التي تحت على الرفق بالحيوان وبخاصة في قصة ناقة صالح وفصيلها التي ذكرت في الفصل الأول من البحث. وكذلك السيرة النبوية العطرة التي كانت مملوءة بأمثلة حيّة عن ذلك.

فجاء الخطاب الحسيني ترجماناً لكل هذه المعاني والمفاهيم التربوية والأخلاقية القرآنية التي تريد أن ترسخ في روح الإنسان - المسلم وغير

المسلم - روح التعايش والتسامح والأخلاق الحسنة التي بها تبنى الشعوب وتقوم الحضارات.

وبهذا يكون البحث قد انتهى من ذكر أهم المفاهيم التربوية والأخلاقية في الخطاب الحسيني وتبين مدى ارتباطها بتعاليم القرآن الكريم، ونلخص مما سبق إلى أنَّ النص القرآني ذو أثرٍ مستمر وفاعلٍ في الخطابات الحسينية وظهر ذلك التأثير من خلال بعض المفاهيم التي ذكرها القرآن الكريم .



الخاتمة وأهم النتائج

الخاتمة وأهم النتائج

بعد حمد الله والثناء عليه في عونه للباحث لإكمال فصول هذه الرسالة التي تناولت الثقلين الموصى بهما من رسول الله (ﷺ)، وأثره في خطاب خامس أصحاب الكساء وسيد الشهداء ضميم الثقل الثاني الإمام الحسين (عليه السلام) وأبنائه وأخوته وأصحابه الميامين (عليهم السلام)، لا بد لنا أن نحصل على نتائج لهذا البحث وهي كالآتي:

١- أفاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأبنائه، وأخوته، وأصحابه (عليهم السلام) من القرآن الكريم أيما فائدة في جلّ نصوصهم، وهذه النصوص تمثل منظومة دينية متكاملة، ولا نبالغ إذا قلنا: إنها دينية خالصة، إذ حاز القرب الإلهي فيها حيزاً واسعاً، إذ ندّ ذلك في وصاياهم ورسائلهم ومواعظهم الأخلاقية الجليلة، وكلماتهم الحكيمية، وأدعيتهم الكثيرة المتنوعة، وهذا ما نلمحه في تلكم النصوص، وقد تجلّى الأثر القرآني فيها من نحو: الثوابت العقدية، آيات الأحكام، والمفاهيم القرآنية التربوية والأخلاقية التي انسربت من قائلي الخطاب الحسيني.

٢- لاحظ الباحث تنوع الخطاب الحسيني، فهو تارةً يخاطب العقول، وأخرى يخاطب الضمائر والضمير آخر قلعة عند الإنسان لمقاومة الباطل، ويخاطب القلوب والعواطف تارةً أخرى، ولا يخفى ما للعاطفة من تأثير في

سلوك الإنسان.

٣- في ضوء رصدنا للأثر القرآني في الخطاب الحسيني تجلّى لنا أن نسق الأثر القرآني المباشر سواء كان الاستشهاد بجزء من الآية، أو بآية كاملة، أو بمقطع من الآيات هو المهيمن فيه، ومن هنا تبين مدى اتصال أصحاب الخطاب الحسيني،

بكتاب الله (ﷻ) منذ الصغر حفظاً وفهماً وتدبراً، وتطبيقهم للسنة النبوية المطهرة كذلك، أمّا في النسق القرآني الضمني أي: (المضامين والدلالات) فقد شغل حيزاً واسعاً في كلامهم وهذا ملمح أدائي وأسلوبى يظهر مدى اتصالهم بكتاب الله (ﷻ)، وتمكنهم منه فهماً وتدبراً واستنطاقاً.

٤ - تنوع أنساق الأثر القرآني في الخطاب الحسيني، من مباشر وغير مباشر يدلّ على ذوبان أصحاب الخطاب الحسيني في كتاب الله تعالى، لأنهم بصّروا امتزاج القرآن الكريم بحياة الإنسان وحركتها الحيوية المتجددة.

٥- تبدّى لنا أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد استشرف المضامين والمفاهيم التربوية والأخلاقية القرآنية السامية كالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوبة والوفاء بالعهد والتحذير من الغرور بالدنيا ومفهوم البكاء وآخرها الرفق بالحيوان، ولا يخفى أن هذا الاستشراف له أهمية في التواصلية والإبلاغية في الخطابات الحسينية لما تمثله من مضامين ودلالات ساميات.

٦- إنَّ الخطابَ الحسينيَّ خطابٌ عالميٌّ بامتياز يلاطف الوجود الإنسانيَّ لاشتماله على مضامين عالية ناغمت الشعور الإنساني، وهذا ما شاهدناه في الخطابات الحسينية ، لأنه مَتَحَ من النبع القرآنيِّ الصافي و ما يؤديه من تفعيل حركية النص والخطاب في هداية المجتمع الإسلامي خاصة، والبشرية عامة.

٧ - لوحظ التزام الإمام الحسين (عليه السلام) بالعهود التي أعطاها لأهل الكوفة، وهذا الالتزام هو حكم شرعي من القرآن الكريم، بقي الإمام (عليه السلام) مُتَلَزِمًا به، وقام الإمام الحسين (عليه السلام) بأداء الواجب الملقى على عاتقه بوصفه إمامًا معصومًا، وهو الوقوف بوجه الباطل، لتصحيح الواقع المنحرف.

٨ - أراد قائلو الخطاب الحسيني أن يكون خطابهم نابضًا بالحياة ، فضلًا عن حركية المشهد، فهذا الاستعمال التاريخي يجعل الخطاب الحسيني حركيًا ومتفاعلًا مع الحياة.

٩ - ظهر أنَّ الخطاب الحسيني يسعى إلى إصلاح القيم المثالية لدى الإنسان المسلم، إذ يُحدِّدُ لا ما هو كائن، وإنَّما ما يجب أن يكون، ومن هنا كُتِبَ لخطابه الديموميَّة والخلود، والدليل نحن الآن في القرن الحادي والعشرين من السنة الميلادية ونحتاج وقفه لفهم خطابه.

١١- كان أحد أهداف الإمام الحسين (عليه السلام): الشهادة الأخلاقية التي سيقمها على مساحة قليلة من الأرض وفي صحراء نائية عن العمران بعيدة عن حركة الناس، هي كربلاء، ولكن هذه الشهادة الأخلاقية ستكون بمنزلة الكتاب الذي يقلب حياة الأمة من الحالة البهيمة الميئة إلى الحالة الأخلاقية الحية.

١٢ - انبثق لنا أنَّ حرارة الخطاب الحسيني تجلّت بما توافر عليه من مضامين وقيم ومفاهيم قرآنية من جهة، وعظمة الموقف الجهادي، والمُعطى البطولي الذي تمثّل بالشهادة العظمى من أجل الإسلام والقيم الإنسانية العليا التي نادى بها كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

١٣ - في ضوء وقوفنا على الاستشهادات القرآنية في الخطاب الحسيني ولا سيما الصادرة من الإمام الحسين (عليه السلام)، تبين لنا أنَّ آخر استشهاد قرآني هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ولا يخفى أنَّ هذه الآية جمعت أوصاف الارتباط الروحي بالله (ﷻ) والامتزاج بالقيم الإسلامية العليا وسمو الفضائل والشمائل التربوية والأخلاقية.

١٤ - اعتمد الباحث في بحثه على أمات المصادر السنية والشيعية ليكون البحث رصيناً من جهة، وليبين أنَّ ما نقل عن أصحاب الخطاب الحسيني كان من كلا الفريقين توخيًا للدقة وعدم الميل، ونشدان الصدق التاريخي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على أبي الزهراء
محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.



ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

خيرُ ما نبتدأ به القرآن الكريم

📖 إِبصار العين في أنصار الحسين (عليه وعلية): الشيخ محمد

طاهر السماوي (ت: ١٣٧٠هـ)، تح: الشيخ محمد جعفر الطوسي، ط ١ /
مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية،
١٤١٩هـ.

📖 الأبواب (رجال الطوسي): الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن

الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تح: جواد القيومي الأصفهاني، ط ١، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٥هـ.

📖 أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري (ت:

١٤٢٨هـ)، ط ٥ / التوحيد للنشر، ١٤١٤هـ.

📖 الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي

(ت: ٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، طبع في
مطابع النعمان / النجف الأشرف، (ب. ط) ١٣٨٦هـ.

📖 إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار

الكتاب العربي / بيروت، (ب. ط. و. ت).

📖 اختيار معرفة الرجال: محمد بن أبي جعفر الطوسي (ت:

٤٦٠هـ): تصحيح وتعليق المعلم الثالث ميرداماد الاستربادي، تح: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، (ب. ط)، ١٤٠٤هـ.

📖 الاختصاص: أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، رتب فهارسه السيد محمود الزرندبي المحرمي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المشرفة، ط ٢ / دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ.

📖 الأخلاق الحسينية: جعفر البياتي، الناشر: منشورات أنوار الهدى، قم المشرفة، ط ١، المطبعة / مهر، ١٤١٨هـ.

📖 أخلاق أهل البيت: السيد محمد مهدي الصدر (ت: ١٤٢٨هـ)، مراجعة وتصحيح: عبد الكريم الزهيري، ط ١ / مطبعة قلم، ١٤٢٧هـ.

📖 الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالمفيد، (ت: ٤١٣هـ)، ط ٢ / المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف، ١٣٩٣هـ.

📖 الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ط ١ / دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

📖 أسس النظام السياسي عند الإمامية: الشيخ محمد السند

البحراني، ط ١ / قم المشرفة، ١٤٢٦ هـ.

📖 أسد الغابة في معرفة الصحابة : الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف (ابن الأثير)، دار الكتاب العربي / بيروت (ب. ط. و. ت).

📖 الأسماء الثلاثة: الشيخ جعفر بن محمد حسين الخياباني التبريزي السبحاني، (ب. ط. و. ت).

📖 إشارة السبق إلى معرفة الحق: أبو الحسن علي بن الحسن الحلبي (ت: ق ٦ هـ)، تح: الشيخ إبراهيم البهادري، ط ١ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٤ هـ.

📖 أصل الشيعة وأصولها: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت: ١٣٧٣ هـ)، تح: علاء آل جعفر، المطبعة: ستارة، ط ١ / الناشر: مؤسسة الإمام علي (عليه السلام)، ١٤١٥ هـ.

📖 أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط ١ / قم المشرفة، ١٤٢١ هـ.

📖 أعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن محمد الديلمي (ت: ق ٨ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، (ب. ط. و. ت).

📖 إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي،

(ت: ٥٤٨هـ)، تح: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ١ / قم
المشرفة، ١٤١٧هـ.

📖 أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، (ت: ١٣٧١هـ)، تح: حسن
الأمين، ط ٥ / بيروت، دار التعارف للمطبوعات، (ب. ت.).
📖 إفادات من ملفّات التاريخ: محمّد سليم عرفة، المطبعة: ستارة،
ط ١ / ١٤٢٧هـ.

📖 الأقسام في القرآن الكريم: الشيخ جعفر السبحاني، ط ١، المطبعة
: اعتماد/ قم المشرفة، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤٢٠هـ.
📖 الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:
٤٦٠هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة/ قم، ط ١/
الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المشرفة، ١٤١٤هـ.

📖 الأمالي: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين
بن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية -
مؤسسة البعثة، قم المشرفة، ط ١ / مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة،
١٤١٧هـ.

📖 الإمام الباقر وأثره في التفسير: الدكتور حكمت الخفاجي،
ط ١ / مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت، ١٤٢٦هـ.

📖 الإمام الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته: السيد محمد رضا

الحسيني الجلاي، نسخة الناشر : دار المعروف ، قم المشرفة، (ب. ط. و. ت).

📖 الإمامة الإلهية: تقرير بحث الشيخ محمد السند البحراني، تأليف السيد محمد علي بحر العلوم، ط ١ / منشورات الاجتهاد، قم المشرفة، ١٤٢٧ هـ.

📖 الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦ هـ)، تح: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاءه للطباعة والتوزيع، (ب. ط. و. ت).

📖 الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ١ / المصححة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، ١٤٢٨ هـ.

📖 الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، (ت: ٥٦٢ هـ)، تع: عبد الله عمر البارودي، ط ١ / دار الجنان، ١٤٠٨ هـ.

📖 أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩ هـ)، تح: الدكتور محمد حميد الله، المطبعة: مطابع دار المعارف بمصر، الناشر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر (ب. ط)، ١٩٥٩ م.

📖 الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: المحدث الشيخ عباس

القمي (ت: ١٣٥٩هـ)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ١ / ١٤١٧هـ.

📖 الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية: الشيخ جعفر النقدي (ت: ١٣٧٠هـ)، ط ٢ / المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨١هـ.

📖 أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم أبو عبد الله، العكبري، البغدادي الملقب الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، ط ٢ /، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ.

📖 بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، (ت: ١١١١هـ)، تح: محمد الباقر البهودي، ط ٢ / مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

📖 البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور محمد محمد تامر، ط ١ / منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٢١هـ.

📖 بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: السيد محسن الخزازي، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٥ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.

📖 البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)،

حققه وعلق عليه: علي شيري، ط ١ / دار إحياء التراث العربي / بيروت ١٤٠٨ هـ.

📖 البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم الحسيني البحراني (ت: ١١٠٧ هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة / قم المشرفة (ب. ط. و. ت).

📖 البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ / دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ هـ.

📖 بغية الطلب في تاريخ حلب: عمر بن أحمد العقيلي الحلبي - ابن العديم - (ت: ٦٦٠ هـ)، تح: الدكتور سهيل زكار، الناشر: مؤسسة البلاغ / بيروت، (ب. ط.) ١٤٠٨ هـ.

📖 تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري، (ت: ٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤ / دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧ هـ.

📖 تاريخ الطبري المعروف (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠ هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت (ب. ط. و. ت).

📖 تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحق بن جعفر اليعقوبي،

(ت: ٢٨٤هـ)، دار صادر / بيروت (ب. ط. و. ت).

📖 تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أحمد بن علي الخطيب البغدادي،
(ت: ٤٦٣هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ / دار الكتب العلمية /
بيروت ١٤١٧هـ.

📖 تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله
الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت: ٥٧١هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت، (ب. ط.)، ١٤١٥هـ.

📖 تجارب الأمم: أبو علي مسكويه الرازي (ت: ٤٢١هـ)، تح
:الدكتور أبو القاسم إمامي، ط ٢ / دار سروش للطباعة والنشر / طهران،
١٤٢٢هـ.

📖 تجارب محمد جواد مغنية: الشيخ محمد جواد مغنية
(ت: ١٤٠٠هـ)، تح: رياض الدباغ، الناشر: أنوار الهدى، المطبعة: مهر/
قم، ط ١ / ١٤٢٥هـ.

📖 التحصين: السيد ابن طاووس الحلبي (ت: ٦٦٤هـ)، تح:
الأنصاري، ط ١ / مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر / قم المشرفة، المطبعة
: نمونه / قم، ١٤١٣هـ.

📖 تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن شعبة الحراني،

(ت: ق ٤هـ)، ط ٢ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم
المشرفه، ١٤٠٤ هـ.

📖 التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي،
ط ١ / مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية،
١٤١٦ هـ.

📖 التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف: السيد علي
الحسيني الميلاني، ط ٢ / الناشر: الشريف الرضي - قم المشرفه، ١٤١٧ هـ.
📖 التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد علي ابن
حمدون (ت: ٥٦٢ هـ)، تح: إحسان عباس و بكر عباس، ط ١ / دار صادر
للطباعة والنشر، ١٩٩٦ م.

📖 التشریف بالمنن في التعريف بالفتن: السيد رضي الدين علي بن
موسى بن جعفر ابن طاووس الحلبي (ت: ٦٦٤ هـ)، تح: مؤسسة صاحب
الامر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ط ١ / النشر: كلبهار أصفهان،
المطبعة: نشاط - أصفهان، ١٤١٦ هـ.

📖 تصحيح اعتقادات الإمامية: محمد بن محمد بن النعمان ابن
المعلم أبي عبد الله العكبري، البغداديّ الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تح:
حسين درگاهي، ط ٢ / دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت،
١٤١٤ هـ.

📖 التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،

تح: د. محمد عبد الرحمن المرعشي، ط ٢ / دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٤٢٨هـ.

📖 تفسير أبي السعود: أبو السعود (ت: ٩٥١هـ)، دار أحياء التراث

العربي / بيروت، (ب. ط. و. ت).

📖 تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي (ت: ١٥٠هـ)، تح:

عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، مراجعة وتقديم: الشيخ محمد هادي معرفة، ط ١ / مطبعة الهادي، ١٤٢٠هـ.

📖 تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الغرناطي أبو حيان

الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد وعلي محمد معوض، ط ١ / دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٢٢هـ.

📖 التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن محمد الواحدي (ت:

٤٦٨هـ)، تح: عبد الرحمن بن عبد الجبار، دار المصور العربي / الاسكندرية (ب. ط. و. ت).

📖 تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي (ت: ٣٨٣هـ)، تح:

د. محمود مطرجي، الناشر: دار الفكر/ بيروت (ب. ط. و. ت).

📖 التفسير الصافي: الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، صححه

وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، المطبعة: مؤسسة

الهادي / قم المشرفة، ط ٢ / مكتبة الصدر ، طهران ، ١٤١٦ هـ.

📖 التفسير الكاشف : محمد جواد مغنّية (ت: ١٤٠٠ هـ) ، ط ٣ ، دار

العلم للملايين ، ص. ب : ١٠٨٥ / بيروت ، ١٤٠١ هـ.

📖 التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر بن

الحسين بن الحسن أبي علي التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤ هـ) ، ط ٣ ،

دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤٣٠ هـ.

📖 التفسير المبين: الشيخ محمد جواد مغنّية (ت: ١٤٠٠ هـ) ، ط

الثانية منقحة ومزودة ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ.

📖 تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز

المحكم: السيد حيدر بن علي الآملي ، (ت: ٧٨٢ هـ) ، تح: محسن الموسويّ

التبريزي ، ط ٢ ، المعهد الثقافي نورٌ على نور / مطبعة الأسوة ، ١٤٢٨ هـ.

📖 التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وموضوعاته : الدكتور

حكمت عبيد الخفاجي ، ط ١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع / عمان - الأردن

، ١٤٣٤ هـ.

📖 التفسير الوسيط: وهبة الزحيلي ، ط ٢ / الناشر : دار الفكر

المعاصر / بيروت ، دار الفكر / دمشق ، المطبعة : دار الفكر - دمشق

١٤٢٧ هـ.

📖 التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سيد محمد طنطاوي (ت:

١٤٢١هـ)، (ب. ط. و. ت).

📖 تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٥٢هـ)،

تح: محمد الكاظم، ط ١، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠هـ.

📖 تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، تح:

الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية/ طهران، (ب. ط. و. ت).

📖 تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت:

٣٢٩هـ)، المصحح: السيد طيب الجزائري، ط ٣، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر/ قم المشرفه، ١٤٠٤هـ.

📖 تفسير مقتنيات الدرر: الحاج مير سيد علي الحائري الطهراني:

الناشر الشيخ محمد الآخوندي، مطبعة الحيدري بطهران، (ب. ط. و. ت).

📖 تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي

(ت: ١٤٢٢هـ)، ط ١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ١٤٢٤هـ.

📖 تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن

الطيب الباقلائي (ت: ٤٠٣هـ)، تح: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، ط ٣، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، / ١٤١٤هـ.

📖 تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت: ٦٠٥ هـ)، ط ٢، دار الكتب الإسلامية/ طهران، (ب. ت).

📖 تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ المتقن جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢ هـ)، تح: الدكتور بشار عواد معروف، ط ٤، الناشر: مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٤٠٦ هـ.

📖 توحيد الإمامية: الشيخ محمد باقر الميانجي الملكي، تح: محمد البياباني الاسكوي، ط ١، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية، ١٤١٥ هـ.

📖 الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي (ت: ٥٦٠ هـ)، تح: الأستاذ نبيل رضا علوان، ط ١، المطبعة / الصدر - قم المشرفة، الناشر: مؤسسة أنصاريان، ١٤١٢ هـ.

📖 جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ب. ط)، ١٤١٥ هـ.

📖 جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق: علي بن محمد بن القمي السبزواري (ت: ٧٠٠ هـ)، تح: حسين الحسيني، ط ١، (ب. ت).

جامع الرواة: محمد علي الأردبيلي (ت: ١١٠١هـ)، مكتبة المحمدي، (ب. ط. و. ت).

جامع العلوم في إصطلاحات الفنون المسمى (دستور العلماء): القاضي عبد النبي بن عبد الرسول بن أحمد نكري (ت: ١١٧٣هـ)، ط ٢ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، ١٣٩٥هـ.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت (ب. ط)، ١٤٠٥هـ.

جrab النورة بين اللغة والاصطلاح : السيد محمد رضا الجلاي، (ب. ط. و. ت).

جمهرة الأمثال: أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش، ط ٢، الناشر: دار الجيل / بيروت، ١٣٨٤هـ.

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، ط المزيده ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي، ١٣٨١هـ.

جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي، ط ١، الناشر: دار الهدى، المطبعة: شريعت، ١٤٢٥هـ.

📖 جواهر الفقه: القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت: ٤٨١ هـ)، تح: إبراهيم بهادري، اشراف: العلامة الشيخ جعفر السبحاني، ط ١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١١ هـ.

📖 جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن النجفي، (ت: ١٢٦٦ هـ)، تح: عباس القوجاني، ط ٣، نشر: دار الكتب الإسلامية / طهران، ١٣٦٢ هـ.

📖 جواهر المطالب في مناقب الامام الجليل علي بن أبي طالب (عليه السلام): محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي الباعوني الشافعي (ت: ٨٧١ هـ)، تح: العلامة الخبير الشيخ محمد باقر المحمودي، ط ١، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم المشرفة، ١٤١٥ هـ.

📖 الحقائق الناضرة: المحقق البحراني (ت: ١١٨٦ هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (ب. ط. و. ت).

📖 الحادثة العولمة الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية: الشيخ محمد السند، تح: الشيخ علي الأسدي، ط ١، المطبعة / وفا، ١٤٢٧ هـ.

📖 الحسين من خلال القرآن الكريم: عبد الرسول غفار، ط ١، دار المحجة البيضاء / بيروت، ١٤١٦ هـ.

📖 حوار مع (فضل الله) حول الزهراء (عليها السلام): السيد هاشم

الهاشمي، ط ٢، الناشر / دار الهدى للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ.

📖 حياة الإمام الحسين (عليه السلام): الشيخ باقر شريف القرشي،

(ت: ١٤٣٣ هـ)، تح: مهدي باقر القرشي، ط ٢، اصدار قسم الشؤون الفكرية

والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ١٤٢٩ هـ.

📖 الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى

العالمي، ط ١، المطبعة/ دار السيرة: بيروت، ١٤١٤ هـ.

📖 الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣ هـ) تح:

مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، بإشراف السيد محمد باقر الموحد

الأبطحي، ط ١ / كاملة محققة، المطبعة العلمية / قم المشرفة، الناشر:

مؤسسة الإمام المهدي / قم المشرفة، ١٤٠٩ هـ.

📖 الخصال: الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تح: تصحيح وتعليق

: علي أكبر الغفاري، الناشر / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين بقم المشرفة، (ب. ط)، ١٤٠٣ هـ.

📖 الخصائص الحسينية: الشيخ جعفر التستري، (ت: ١٣٠٣ هـ)،

ط ٤، المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.

📖 خطاب الاستنصار من مكة الى المدينة: الشيخ محمد مهدي

الأصفي (ت: ١٤٣٦ هـ)، مطبعة مجمع أهل البيت (عليه السلام) النجف

الأشرف، (ب. ط)، ١٤٣١هـ.

📖 الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت):

٩١١هـ)، ط ١، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت، ١٤٢٣هـ.

📖 دراسات في الحديث والمحدثين: هاشم معروف الحسني، ط ٢،

الناشر: دار التعارف للمطبوعات / بيروت، ١٣٩٨هـ.

📖 دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين، (ب.

ط. و. ت).

📖 دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح

والإفساد: نبيل الحسيني، ط ١، منشورات العتبة الحسينية المقدسة /

١٤٣٥هـ.

📖 رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ: السيد لطيف

القزويني، (ب. ط. و. ت).

📖 رسالة في التعرّب بعد الهجرة ويلها نظرة في الحفاظ على

المجتمع المؤمن: الشيخ قاسم محمد مصري العاملي، ط ١، دار الغدير

للطباعة والنشر والتجليد / قم المشرفه، ١٤٢٤هـ.

📖 رسائل آل طوق القطيفي: الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل

طوق القطيفي (ت: ١٢٤٥هـ)، تح: شركة دار المصطفى (صلى الله عليه

وآله وسلّم) لإحياء التراث، ط ١ / ١٤٢٢هـ.

📖 الرسائل الأحمديّة: الشيخ أحمد آل طعان البحرانيّ القطيفيّ
(ت: ١٣١٥هـ)، تح: دار المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم) لإحياء التراث: قم المشرفة، ط ١ / ١٤١٩هـ.

📖 رسائل الكركي: المحقق الكركي (ت: ٩٤٠هـ)، تح: الشيخ محمد الحسون / إشراف: السيد محمود المرعشي، ط ١، المطبعة: مطبعة الخيام / قم المشرفة، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم المشرفة، ١٤٠٩هـ.

📖 رسائل ومقالات: الشيخ جعفر بن محمد حسين الخياباني التبريزي السبحاني، ط ١ المطبعة: اعتماد / قم المشرفة، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام): قم المشرفة، ١٤١٩هـ.

📖 روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: أبي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري العطيه، ط ٣، دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤٣٠هـ.

📖 الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: محمد بن جمال الدين مكّي العاملي (الشهيد الثاني ت: ٩٦٥هـ)، تح: السيد محمد كلانتر، ط ١، الناشر: منشورات جامعة النجف الدينية / ١٣٨٦هـ.

📖 روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: السيد محمد تقّي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ)، تح: السيد حسين الموسوي الكرمانيّ

والشيخ علي بنه الإشتهارديّ، (ب. ط. و. ت).

روضة الواعظين: الشيخ الفتال النيسابوريّ، (ت: ٥٨٠هـ)، تح:

محمد مهدي، منشورات الشريف الرضيّ، قم المشرفة، (ب. ط. و. ت).

رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل: الشيخ جعفر بن محمد

حسين الخياباني التبريزي السبحانيّ، (ب. ط. و. ت).

زبدة التفاسير: الملا فتح الله شكر الكاشانيّ: ط ١، تحقيق ونشر

: مؤسسة المعارف الإسلامية، المطبعة: عترت، ١٤٢٣هـ.

زبدة المعاني من تفسير الشوكانيّ: محمد بن علي بن عبد الله

الشوكانيّ (ت: ١٢٥٠هـ)، اختصره الدكتور محمد أبو زيد، ط ١، مطبعة

دار الفجر الإسلامي / دمشق ١٤٢٤هـ.

السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينيّة: مركز الرسالة، ط ١،

المطبعة: مهر / قم المشرفة، الناشر: مركز الرسالة، ١٤٢٠هـ.

سر الإسراء في شرح حديث المعراج: الشيخ علي سعادت برور،

ط ١، المطبعة/ سبهر، الناشر: مكتبة التشيع / إيران، ١٤١٦هـ.

سر السلسلة العلوية: أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود البخاريّ

(ت: ق ٤هـ)، تح: محمد صادق بحر العلوم، ط ١، منشورات المطبعة

الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، ١٤١٣هـ.

السرائر: محمد بن إدريس الحلّيّ (ت: ٥٩٨هـ)، ط ٢، مطبعة

مؤسسة النشر الإسلامي / قم المشرفة، ١٤١٠هـ.

📖 سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ب. ط. و. ت).
📖 سنن أبي داود: سليمان بن الاشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ)، تح: سيد محمد اللحام، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت، ١٤١٠هـ.

📖 سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت، ١٤٠٣هـ.

📖 سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت، ١٣٤٨هـ.

📖 سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط ٩، نشر: مؤسسة الرسالة / بيروت، ١٤١٣هـ.

📖 سيرتنا وستتنا: الشيخ الأميني (ت: ١٣٩٢هـ)، ط ٢، دار الغدير للمطبوعات / بيروت، ١٤١٢هـ.

📖 شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري (ت: ١٣٦٩هـ)، ط ٥، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٣٨٥هـ.

📖 شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي (ت: ١٤١١هـ)، تح: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم المشرفة، (ب. ط. و. ت).

📖 شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي نعمان بن محمد التميمي المغربي (ت: ٣٦٣هـ)، المحقق: السيد محمد الحسيني الجليلي، ط ٢، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبع: مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٤هـ.

📖 شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، ط ١، المطبعة: باكستان / دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ.

📖 التشيع والوسطية الإسلامية: أكرم عبد الكريم ذياب، (ب. ط. و. ت).

📖 شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، ط ١، الناشر: مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم المشرفة، (ب. ت).

📖 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ.

📖 شهداء أهل البيت (عليه السلام) قمر بني هاشم : الحاج حسين الشاكري، ط ١، المطبعة ستارة ، ١٤٢٠ هـ.

📖 شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري (ت: ٥٠٥ هـ) ، تح وتعليق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية، ١٤١١ هـ.

📖 صحيح البخاري: إسماعيل بن ابراهيم البخاري، (ت: ٢٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، (ب.ط)، ١٤٠١ هـ.

📖 صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ)، دار الفكر / بيروت، (ب.ط و ت).

📖 الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام): السيد جعفر مرتضى العاملي، ط ١، المطبعة: دفتر تبليغات إسلامي، الناشر : ولاء المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) : مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي ، ١٤٣٠ هـ.

📖 الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): السيد جعفر مرتضى العاملي ، ط ١، الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر، المطبعة : دار الحديث ، ١٤٢٦ هـ.

📖 الصحيفة المهدية (الصحيفة الهادية والتحفة المهدية): إبراهيم

بن المحسن الكاشاني (ت: ١٣٤٥ هـ)، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) - قم المشرفة (ب. ط. و. ت).

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منير البصري،
(ت: ٢٣٠ هـ)، دار صادر للطباعة والنشر/ بيروت، (ب. ط. و. ت).

طرق حديث الأئمة الإثنا عشر: الشيخ كاظم آل نوح (ت):
١٣٧٩ هـ)، الناشر: منشورات مكتبة القرآن والعتره، المطبعة: مطبعة
المعارف/ بغداد، (ب. ط. و. ت).

الطريق إلى مذهب أهل البيت (عليه السلام): د. أحمد راسم النفيس،
ط ١، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، المطبعة: فروردين /
١٤١٨ هـ.

العباس بن علي (عليه السلام): الشيخ محمد البغدادي، ط ١، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، الناشر: قسم الشؤون الفكرية في العتبة
الحسينية المقدسة، ١٤٣٣ هـ.

العباس بن علي رائد الكرامة والفداء في الإسلام: الشيخ باقر
شريف القرشي (ت: ١٤٣٣ هـ)، ط ١، دار أضواء للطباعة والنشر
والتوزيع/ بيروت، ١٤٠٩ هـ.

العباس بن علي الوفاء الخالد: عبد الأمير عزيز القرشي، ط ١،
مطبعة عمران / ١٤٣٤ هـ.

📖 العقد الحسيني : عز الدين الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي
(ت: ٩٨٤هـ) (والد الشيخ البهائي)، عنى بتصحيحه وطبعه السيد جواد
المدرسي اليزدي، المطبعة : گلبهار - يزد ، (ب. ت).

📖 العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليه السلام): الشيخ
جعفر بن محمد حسين الخياباني التبريزي السبحاني، (ب. ط. و. ت).

📖 علل الشرائع : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه
القمي (الصدوق ت: ٣٨١هـ)، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، ط ١،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ، ١٤٢٨هـ.

📖 عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: محمد محمود بن أحمد
العينى، (ت: ٨٥٥هـ)، نشر: دار احياء التراث العربي / بيروت، (ب. ط. و.
ت).

📖 عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس
الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ) ، ط ٢، دار الكتب العلمية / بيروت ،
١٤١٥هـ.

📖 عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين
بن بابويه القمي (الصدوق ت: ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه
العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات / بيروت ، ١٤٠٤هـ.

📖 عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(ت: ٣٧٦هـ)، شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدم له ورتّب فهرسه: الدكتور
يوسف علي طويل، ط ٣، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية
/ بيروت، ١٤٢٤هـ.

📖 الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت: ٢٨٣هـ)، تح:
السيد جلال الدين الحسيني، (ب. ط. و. ت).

📖 غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع: السيد حمزة بن علي
بن زهرة الحلبي، (ت: ٥٨٥هـ)، تح: إبراهيم البهادري، ط ١ مؤسسة الإمام
الصادق (عليه السلام) / قم المشرفة، ١٤١٧هـ.

📖 الفايق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري
(ت: ٥٣٨هـ)، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤١٧هـ.

📖 فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين رب الأرباب: السيد رضي
الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحلبي (ت: ٦٦٤هـ)، تح:
حامد الخفاف، ط ١، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث/
بيروت، ١٤٠٩هـ.

📖 فتح القدير الجامع بين علم الرواية والدراية من علم التفسير:
محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ)، عالم الكتب للطباعة
والنشر، (ب. ط. و. ت).

📖 الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي، (ت: ٣١٤هـ)، تح: علي شيري، ط ١، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٤١١هـ.

📖 فتوح الغيب في كشف قناع الريب: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣هـ)، تح: حمزة محمد سليم البكري، ط ١ / ١٤٣٤هـ.

📖 فقه الرضا (عليه السلام): علي ابن بابويه القمي (ت: ٣٢٩هـ)، تح: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، ط ١، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) / مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ.

📖 فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت: ١٤٢٢هـ)، ط ١، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر: بيروت، ١٤٢٣هـ.

📖 فدك في التأريخ: الشهيد السيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ) تح: الدكتور عبد الجبار شرارة، ط ١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٥هـ.

📖 الفردوس الأعلى: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت: ١٣٧٣هـ)، تح: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، ط ٣، الناشر: مكتبة فيروز آدابی / قم المشرفة، ١٤٠٢هـ.

📖 فضل زيارة الحسين (عليه السلام): محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري (ت: ٤٤٥هـ)، تح: السيد أحمد الحسيني / بإهتمام: السيد

محمود المرعشي، المطبعة: الخيام / قم، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامة، (ب. ط)، ١٤٠٣ هـ.

📖 في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ)، ط ١، المطبعة: ستار، الناشر: انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧ هـ.

📖 قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الراوندي (ت: ٥٧٣ هـ)، تصحيح وتعليق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، ط ١، الناشر: الهادي / ١٤١٨ هـ.

📖 القضاء والشهادات: الشيخ الأنصاري (ت: ١٢٨١ هـ)، تح: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط ١، المطبعة: باقري، قم المشرفة، الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤١٥ هـ.

📖 الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، (ت: ٣٢٩ هـ)، تح: علي أكبر غفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية / طهران، ١٣٦٣ هـ.

📖 كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي (ت: ١٠٩٨ هـ)، تح: السيد مهدي الرجائي، ط ١، المطبعة: أمير الناشر / ١٤١٨ هـ.

📖 كتاب الطهارة: تقرير بحث السيد الخوئي، (ت: ١٤١٣ هـ): علي الغروي التبريزي، ط ٣، منشورات مدرسة دار العلم / قم المشرفة، ١٤١٠ هـ.

📖 كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تح
الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، ط ١، منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، ١٤٠٨هـ.

📖 كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي،
(ت: ٧٦هـ)، تح: محمد باقر الأنصاري، ط ١، قم المشرفة، ١٤٢٢هـ.

📖 كربلاء الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، ط ١، الناشر:
الغدير للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت، ١٤١٨هـ.

📖 الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:
٥٣٨هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
بمصر، (ب. ط)، ١٣٨٥هـ.

📖 كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: الشيخ جعفر كاشف
الغطاء، (ت: ١٢٢٨هـ)، تح: عباس التبريزيان ومحمد رضا الذاكري وعبد
الحليم الحلبي، ط ١، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي/
اصفهان ١٤٢٢هـ.

📖 كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي
الفتح الأربلي (ت: ٦٩٣هـ)، ط ٢، دار الأضواء / بيروت، ١٤٠٥هـ.

📖 الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): أحمد بن

محمد بن ابراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تح: أبو محمد بن عاشور، ط ١، دار
أحياء التراث العربي / بيروت، ١٤٢٢هـ.

📖 كفاية الأصول : الأخوند الخراساني (ت: ١٣٢٩هـ)، تح :
مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ط ١، المطبعة : مهر / قم المشرفة،
١٤٠٩هـ.

📖 الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء
الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح : د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط ١،
مطبعة سليمان زاده : قم المشرفة، ١٤٣٣هـ.

📖 كنز الدقائق و بحر العجائب : محمد بن رضا القمي المشهدي،
تح : حسين دركاهي، ط ١، دار الغدير : قم المشرفة، ١٤٢٤هـ.

📖 كنز العرفان في فقه القرآن: الشيخ جمال الدين المقداد بن عبدالله
السيوري، (ت: ٨٢٦هـ)، نشر: المكتبة المرتضوية، طهران، (ب. ط)،
١٣٨٤هـ.

📖 كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتيقي
بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تح : الشيخ بكرى حياني والشيخ
صفوة السفاء، مؤسسة الرسالة : بيروت - شارع سوريا، (ب. ط)، ١٤٠٩هـ.
📖 اللباب في تهذيب الأنساب : عز الدين ابن الأثير الجزري (ت:
٦٣٠هـ)، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر/ بيروت، (ب. ط. و.

(ت).

📖 لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي
المصري، (ت: ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة / قم المشرفة (ب. ط)،
١٤٠٥هـ.

📖 اللهوف في قتلى الطفوف: السيد رضي الدين علي بن محمد بن
موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحلبي، (ت: ٦٦٤هـ)، ط ١،
منشورات سجده: قم المشرفة، ١٤٢٤هـ.

📖 لواعج الأشجان في مقتل الحسين (عليه السلام): السيد محسن الأمين
العاملي، (ت: ١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي / قم المشرفة، (ب. ط)،
١٣٣١هـ.

📖 ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، ط ١،
المطبعة: بهمن، ١٤١٨هـ.

📖 مآثر الإنافة في معالم الخلافة: أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت:
٨٢١هـ)، تح: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: سلسلة تصدرها وزارة
الارشاد والانباء في الكويت (ب. ط)، ١٩٦٤م.

📖 المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق:
الدكتور محمد حسين الصغير، ط ١، دار المؤرخ العربي / بيروت،
١٤٢٠هـ.

📖 متشابه القرآن ومختلفه : محمد بن علي بن شهر آشوب
المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، (ب. ط. و. ت).

📖 مثير الأحزان: الشيخ نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء
هبة الله ابن نما الحلبي، (ت: ٦٤٥هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف
الأشرف، (ب. ط.)، ١٣٦٩هـ.

📖 المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية : السيد
محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، ط ١، دار المرتضى للطباعة والنشر :
بيروت، ١٤٢٧هـ.

📖 المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة : الإمام عبد الحسين
شرف الدين الموسوي (ت: ١٣٧٧هـ)، مراجعة وتحقيق : محمود البدري،
ط ١، مؤسسة المعارف الاسلامية، ١٤٢١هـ.

📖 مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي، (ت: ١٠٨٥هـ)،
تح: أحمد الحسيني، ط ٢، نشر: مرتضوي، طهران، ١٣٦٢هـ.

📖 مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الفضل بن الحسن
الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تح: لجنة من العلماء والمحققين، ط ١، مؤسسة
الأعلمي للطبوعات: بيروت، ١٤١٥هـ.

📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسي

مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة، دار الكتب العلمية / بيروت (ب ، ط) ،
١٤٠٨هـ.

المحاسن : أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ) ،
تح: السيد جلال الدين الحسيني، الناشر: دار الكتب الإسلامية / طهران،
(ب. ط) ، ١٣٧٠هـ.

المحصول في علم أصول الفقه : فخر الدين محمد بن عمر بن
الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ، تح: الدكتور طه جابر فياض العلواني،
ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ.

المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز :
السيد حيدر الاملي (ت: ق ٨هـ) ، تح: محسن الموسوي التبريزي ، ط ٣ /
١٤٢٢هـ.

المحيط في اللغة : صاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ) ، تح: الشيخ
محمد حسن آل ياسين ، ط ١ ، عالم الكتب : بيروت ، ١٤١٤هـ.

مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي
(ت: ٦٦٦هـ) ، دار الكتاب العربي : بيروت ، (ب. ط. و. ت).

المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) : عماد إسماعيل أبي
الفداء (ت: ٧٣٢هـ) ، المطبعة : شركة علاء الدين للطباعة والتجليد ،
الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، (ب. ط. و. ت).

📖 مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول : محمد باقر المجلسي
(ت: ١١١١هـ)، تح: العلم الحجة السيد مرتضى العسكري - إخراج
ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرسولي، ط ٢ / ١٤٠٣هـ.

📖 مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ : سيد تحسين آل شبيب
الموسوي، ط ١، الناشر : دار الفقه للطباعة والنشر، المطبعة : شريعت / قم
المشفرة، ١٤٢١هـ.

📖 مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي
المسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، ط ٢، منشورات دار الهجرة: قم المشرفة،
١٤٠٤هـ.

📖 مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام: الشيخ زين الدين بن
علي العاملي الشهيد الثاني، (ت: ٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف
الإسلامية، قم المشرفة ط ١ / ١٤١٦هـ.

📖 المسائل العبرية: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي
المفيد، (ت: ٤١٣هـ)، تح: علي أكبر الإلهي الخراساني، ط ٢، دار المفيد
للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ١٤١٤هـ 📖 مستدرك الوسائل
ومستنبط المسائل: الشيخ حسين النوري الطبرسي، (ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق
ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، بيروت-لبنان، ط ٢ /
١٤٠٨هـ.

المستدرك على الصحيحين في الحديث: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥ هـ)، تح: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، (ب. ط. و. ت).

مستدرك نهج البلاغة: الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت): ١٣٦١ هـ)، الناشر: منشورات مكتبة الأندلس، (ب. ط. و. ت).

مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، (ت: ١٤٠٥ هـ)، ط ١، نشر: دار الأدب / قم المشرفة، ١٤١٤ هـ.

مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المشى التميمي، (ت: ٣٠٧ هـ)، تح: حسين سالم أسد، ط ٢، دار المأمون للتراث / دمشق، (ب. ت).

مسند أحمد: أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ هـ)، المكتب الإسلامي، دار صادر، (ب. ط. و. ت).

مسند الإمام السجاد أبي محمد علي بن الحسين (عليه السلام): الشيخ عزيز الله العطاردي، (ب. ط. و. ت).

مسند الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): الشيخ عزيز الله العطاردي، رابطة العلاقات والثقافة الإسلامية، مطبعة أوفست، (ب. ط. و. ت).

📖 مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السلام): الحافظ رجب البرسي (ت: ٨١٣هـ)، تح: السيد علي عاشور، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، ١٤١٩ هـ.

📖 المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، ط ١، مطبعة الإيمان، مصر، ١٤٢٩ هـ.

📖 معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، (ت: ١٤٢٨هـ)، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ب. ط)، ١٤١٠ هـ.

📖 المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن ايوب الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، تح: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (ب. ط. و. ت).

📖 معجم البلدان: شهاب الدين بن يعقوب بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: ٦٢٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب. ط)، ١٣٩٩ هـ.

📖 معجم الرجال والحديث: تأليف وتحقيق وترتيب: أبو أسد الله محمد حياة بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، (ب. ط. و. ت).

📖 المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن ايوب الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب. ط. و. ت).

📖 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد

الباقي ، وضع فهارسه : الشيخ حسين الأعلمي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : بيروت ، ١٤٢٠ هـ.

📖 معجم رجال الحديث وتفاصيل الرواة: السيد الخوئي، (ت: ١٤١٣ هـ)، نشر: مركز الثقافة، النجف الأشرف (ب. ط. و. ت).

📖 معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، (ت: ٣٩٥ هـ)،
تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المشرفة،
(ب. ط.)، ١٤٠٤ هـ.

📖 مفاتيح الأصول : السيد محمد الطباطبائي الكربلائي (ت: نحو ١٢٢٩ هـ) (ب. ط. و. ت).

📖 مفردات الفاظ القرآن الكريم : الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥ هـ)، تح : صفوان عدنان داوودي ، ط ٤ ، دار القلم ،
الدار الشامية/ بيروت ، ١٤٢٥ هـ.

📖 المفيد من معجم رجال الحديث : محمد الجواهري ، ط ٢ ،
المطبعة : العلمية ، الناشر : مكتبة المحلاتي / قم المشرفة ، ١٤٢٤ هـ.

📖 مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ) ، ط ٢ ، قدم
له وأشرف على طبعه كاظم المظفر، الناشر : مؤسسة دار الكتاب للطباعة
والنشر ، قم المشرفة ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها في النجف
الأشرف ، ١٣٨٥ هـ.

📖 المقنعة : أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري
البغداديّ الملقب بالشيخ المفيد (ت : ٤١٣هـ) ، ط ٢ ، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤١٠هـ.

📖 من المبدأ إلى المعاد (في حوار بين طالين) : الشيخ المنتظري ،
ط ١ ، الناشر : انتشارات دار الفكر ، المطبعة / قدس ، ١٤٢٥هـ.

📖 مناسك الحج : علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) ،
ط ١ ، مطبعة : قم المشرفة ، ١٤١٣هـ.

📖 مناقب آل أبي طالب : الشيخ مشير الدين أبي عبد الله محمد بن
علي بن شهر آشوب المازندراني ، (ت : ٥٨٨هـ) ، تح : لجنة من أساتذة النجف
الأشرف ، نشر : مطبعة الحيدرية ، (ب.ط) ، ١٣٧٦هـ.

📖 مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : محمد
بن سليمان الكوفي القاضي ، تح : الحاج الشيخ محمد باقر المحمودي (ت :
ح ٣٠٠هـ) ، ط ١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية : قم المشرفة ، ١٤١٢هـ.

📖 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج عبد الرحمن بن
علي بن محمد ابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد عبد
القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه : نعيم زرزور ، ط ١ ،
دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٢هـ.

📖 منتهى المطلب في تحقيق المذهب : الحسن بن يوسف بن علي

بن المطهر (العلامة الحلي ت: ٧٢٦هـ)، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية الإيرانية، الخط والإخراج: الحافظ علاء البصري، ط ١، الطبع: مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة / مشهد المقدسة، ١٤١٢هـ.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تح: سيد إبراهيم الميانجي، ط ٤، المطبعة: مطبعة الإسلامية / بطهران، (ب. ت).

مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري (ت: ١٤١٤هـ)، ط ٤، الناشر: مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري (قدس سره الشريف)، ١٤١٣هـ.

مواقف الشيعة: علي الأحمد الميانجي، ط ١، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام): الشيخ هادي النجفي، ط ١، دار احياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٣هـ.

موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: الشيخ محمد الريشهري، تح: مركز بحوث دار الحديث، ط ١، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٣٨٩هـ.

الموسوعة الفقهية الميسرة: الشيخ محمد علي الأنصاري، ط ١،

الناشر : مجمع الفكر الإسلامي قم المشرفة، المطبعة : باقريّ ، ١٤١٥ هـ.

📖 موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانويّ (ت : ١٠٨٥ هـ) ، تقديم : د. رفيق عجم ، تح : د. علي دحدوح ، ط ١ ، مكتبة لبنان : بيروت ، ١٩٩٦ م.

📖 موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) : معهد تحقيقات باقر العلوم (عليه السلام) ، ط ٣ ، نشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، قم المشرفة ، ١٤١٦ هـ.

📖 موسوعة مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) : العلامة أبو مخنف ، السيد عبد العزيز المقرّم ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، الشيخ عبد الوهاب الكاشي ، الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، ط ١ ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ، ١٤٢٩ هـ.

📖 موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني العلمي والأدبي : محمد الكتاني ، ط ١ ، الناشر : الشركة الجديدة ، دار الثقافة / الدار البيضاء ، المطبعة : دار الكتب العلمية / بيروت ، ٢٠١٤ م.

📖 ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ ، (ت : ٧٤٨ هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر : بيروت (ب . ط . و . ت).

📖 ميزان الحكمة : محمد الريشهريّ ، تح : دار الحديث ، ط ١ ،

الناشر : دار الحديث ، (ب. ت).

الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي،
(ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم
المشرفة ، (ب. ط. و. ت).

الناصرات، السيد علم الهدى المرتضى، (ت: ٤٣٦هـ)، تح:
مركز البحوث والدراسات العلمية، نشر: رابطة الفقهاء والعلاقات
الإسلامية/ قم المشرفة (ب. ط)، ١٤١٧هـ.

النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: المقداد السيوري
(ت: ٨٢٦هـ)، ط ٢، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.
النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ، ط / ، مؤسسة مناهل
المعرفة : بيروت، الناشر : مكتبة الغزالي / دمشق ، ١٤٠٥هـ.

نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: الحسين بن محمد بن الحسن بن
نصر الحلواني (ت: ق ٥هـ) ، تح: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه
الشريف - قم المشرفة، ط ١ المحققة، المطبعة : مهر / قم المشرفة، ١٤٠٨هـ.
النص الأدبي ومعرفته : عبد المجيد زارقط ، دائرة منشورات
الجامعة اللبنانية : بيروت (ب. ط)، ٢٠٠٨م.

نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري (ت: ٧٣٣هـ)، المطبعة :
مطابع گوستاتسوماس وشركاه ، الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (ب. ط. و. ت).

📖 نهاية المرام في علم الكلام: الحسن بن يوسف المطهر - العلامة الحلي - (ت: ٧٢٦هـ)، تح: فاضل العرفان، إشراف: آية الله جعفر السبحاني، ط ١، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ١٤١٩هـ.

📖 النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط ٤، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المشرفة، ١٣٦٤هـ.

📖 نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام)، تح: الشيخ محمد عبده، المطبعة: النهضة - قم - إيران، الناشر: دار الذخائر / قم المشرفة، ط ١ / ١٤١٢هـ.

📖 نهج الحق وكشف الصدق: الحسن بن يوسف المطهر - العلامة الحلي - (ت: ٧٢٦هـ)، تح: تقديم: السيد رضا الصدر / تع: الشيخ عین الله الحسني الأرموي، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة / قم المشرفة (ب. ط)، ١٤٢١هـ.

📖 نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين: نعمة الله الموسوي الجزائري (ت: ١١١٢هـ)، تح: السيد الرجائي، ط ١، طبع ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٧هـ.

📖 النور الساطع في الفقه النافع : الشيخ علي كاشف الغطاء
(ت: ١٣٥٢هـ)، المطبعة : مطبعة الآداب / النجف الأشرف ، (ب. ط) ،
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

📖 الهداية: محمد بن علي الحسين بن بابويه (الصدوق :
ت ٣٨١هـ): تح: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام) ، ط ١ ، المطبعة : اعتماد /
قم المشرفة ، ١٤١٨ هـ.

📖 الهداية الكبرى : أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت:
٣٣٤ هـ) ، ط ٤ ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ، ١٤١١
هـ.

📖 وركبت السفينة : مروان خليفات ، ط ٢ ، الناشر : مركز الغدير
للدراسات الإسلامية في بيروت ، (ب. ت).

📖 وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : الشيخ محمد بن
الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع)
لإحياء التراث ، ط ٢ ، المطبعة : مهر / قم - المشرفة ، ١٤١٤ هـ.

📖 وصول الأخيار إلى أصول الاخبار : الشيخ حسين بن عبد
الصمد العاملي (ت: ٩٨٤ هـ) ، تح : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، ط ١ ،
نشر : مجمع الذخائر الإسلامية ، طبع : مطبعة الخيام - قم المشرفة ،
١٤٠١ هـ.

ينابيع المودة لذوي القربى: سلمان بن ابراهيم القندوزي
الحنفي، (ت: ١٢٩٤هـ)، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، دار
الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

الرسائل والأطاريح:

* معالم النهضة الحسينية وأحكامها الشرعية: صلاح عودة الدعيمي،
رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣٧هـ -
٢٠١٦م.

البحوث:

* الأفعال الكلامية في الخطاب الأخلاقي عند الإمام الحسين (عليه السلام) -
دراسة تداولية - بحث تقدم به الدكتور رحيم الشريفي، والدكتور حسين
الفتلي، نشر في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية / المجلد ٢٤ /
العدد: ٤ / ٢٠١٦م.

المجلات والدوريات:

* مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء
التراث - قم المشرفة، ستارة - قم، ٥٤، ١٤١٩هـ.

المواقع الإلكترونية:

- ١- منتديات ستار تايمز : www.startem.net
- ٢- www.aqab.com